سلسلة قبائل العرب

٢

قبيلة شمر وأمراؤها

تأليف :

أنور عبد الحميد العسكر السباهي العاني الشمري

قبيلة شمر
و
أمرائها

- قبيلة شمر وأمراؤها
- تأليف: أنور عبد الحميد العسكر
- الطبعة الأولى / ١٩٩٦

دار معد للطباعة والنشر والتوزيع

سورية - دمشق - ✉ ١٠٨٧٧ - ☎ ٦٣٣٤٠١٠

سلسلة قبائل العرب - ٣ -

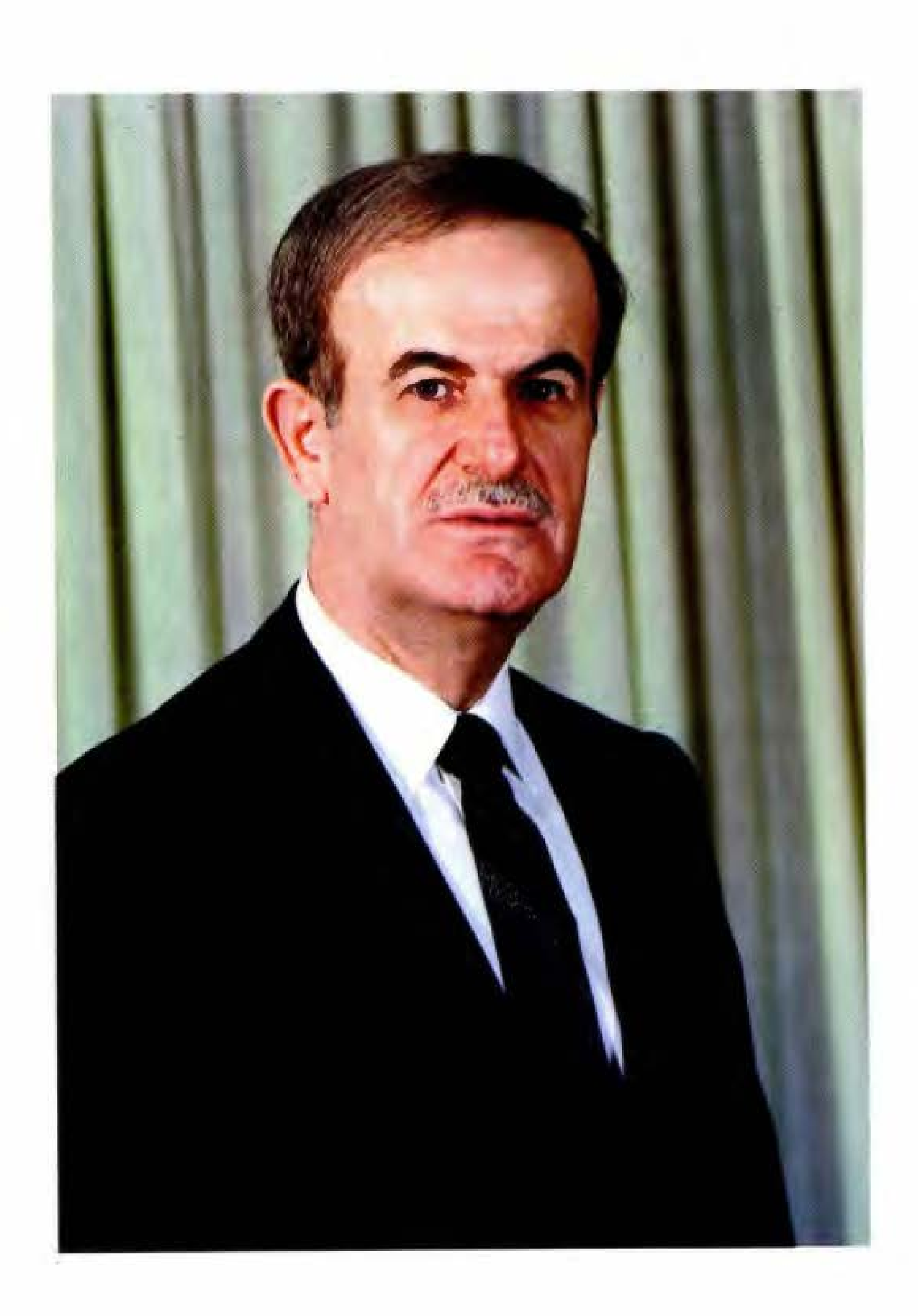
قبيلة شمر
و
أمراؤها



بقلم المؤلف

الحاج أنور عبد الحميد العسكر السباهي العاني الشمري


الى الزعيم القومي العربي الذي
رفع رأس أمته العربية
في كل مكان وزمان الى
سليل أهل بيت النبوة ع
الذي وقف من مؤتمر العريش
الخياني كموقف جده الحسين
السبط الشهيد في كربلاء
سيدي الرئيس فخري وفخر
أسرتي وابن عمي حفيد
المنتخب العاني
السيد الرئيس
حافظ الأسد





باسم الاسد الذي اشاع السعادة في وطني
أضيف اهدائي ثانيا لشبل الاسد سيادة اخي
الدكتور بشار حافظ الاسد
مع عظيم تحيات المؤلف أنور العسكر

المقدمـة

إن من يعكف على دراسة تاريخ قبيلة شمر فإنه سيدرك بلا أدنى ريب أنه يحتضن التاريخ قبل ولادته. ولأن ابتداء التاريخ يحدث دون أن يعرف أي قارىء ما الحدث الذي سينتهي ويقف عنده التاريخ، فقد نكون أكثر صدقاً إن قلنا : بشمر ابتدأ التاريخ .

ليس المقصود باسم شمر تعريف ذلك الحدث الذي ابتدأ به التاريخ، والتاريخ نفسه نقطة البدء الذي هو شمر، بل المعنى الذي هو أكثر سعة وأشمل معرفة أنّ لكلِّ زمن من أزمنة التاريخ شعوباً وملوكاً وأمراءً وقادة وفرساناً وكرماءَ من قبيلة شمر هم بمثابة محطات إليها يفد التاريخ ومنها ينطلق في مساره دون ان يعلم أي كائن إلى أين ينتهي خط هذا المسار.

ولئن كان لكل طريق أو خط خارطته الخاصة بمعالمه فإنّ خارطة سير هذا التاريخ وخاصة في ديار شبه الجزيرة العربية تبين لنا أهم معالم مرور هذا التاريخ هي " قبيلة طيء" القبيلة التي أعطيت السيادة على العرب.

علماً أنّ خارطة سير التاريخ هنا هيَّ كتب الأنساب وكل ما استطعنا نقله وحفظه من الخبراء بعلم أنساب القبائل والعشائر العربية.

هذه الكتب وهذه المعلومات التي تؤكد وأكدت على مر العصور والدهور إنّ شمَّرَ بطنٌ من قبيلة طيء .

وأبرز من يحمل اسم الطائية من عشائر قبيلة طيء هيَّ :

١ ـ سنجارة.

٢ ـ عبدة

٣ ـ الأسلم

٤ ـ زوبع ـ الثابت : فزوبع والثابت أبناء محمد الحارث الطائي .

وختاماً لهذه المقدمة صدق ربي حيث قال لها : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنا خلقناكم من ذكر ومن أنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ "صدق الله العظيم".

من هم شمر ؟ ومن هم آل جرباء ؟

شمر قبيلة عربية أصيلة عريقة كريمة الجذور ماجدة الفروع ، خالدة من خلال مامرَّ بها من وقائع وأحداث.

شمر في كل كتاب تاريخ. وتاريخها ساطع لأن صفحاته كثيرة ميادينها بالنزال والجود والنخوة والشهامة واسعة وخالدة تنحدر شمر من جدين :

١ ـ معظم قبيلة شمر قحطانيون . كعشائر سنجارة ، عبدة ، زوبع ، أسلم، صايح وهذه العشائر كلها لطيء فكهلان ، فقحطان، .

٢ـ عشيرة واحدة عدنانية : هي : الخرصة وهيَّ مركز القيادة الشمرية العامة قرشية الأصل عدنانية الجذور.

أما إمارة عموم شمر فهيَّ لبيت عائلة "الجرباء" هذه العائلة المنسوبة لآل البيت صلوات الله وسلامة عليهم وعلى أبنائهم وذريتهم الطيبين الطاهرين ومن ثم فلبنيْ هاشم فعدنان.

شاهدنا على قولنا أعلاه بيت الشعر النبطي المتوارث على ألسنة أبناء شمر كتوارث الفاتحة على لسان كل مسلم مع فارق التشبيه. وهو شاهد متواتر الاستشهاد من جيل إلى جيل منذ فجر الإسلام وإلى يومنا هذا الذي نحن فيه ٢٠/ ٤ / ١٩٩٤ تاريخ إنتهائنا من تدويننا هذا الكتاب.

الشاهد : [سيدٍ من سيدٍ متسلسلٍ = ما بين طه والبتول والولي] [١]

---

(١) طه، البتول، ، الولي: محمد رسول الله، البتول (فاطمة الزهراء) الولي: علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامةُ عليهم وعلى آل بيتهم أعني أبناءهم وذريتهم المعصومين.
لقد أكد الشاعر في بيته الآنف إن آل الجرباء أمراء شمر هم من آل البيت من سلالة الرسول وأحفاد علي والطاهرة البتول.

لكن هناك عشائر شمرية عرب الجبل جبل الدروز إسمهم (المساعيد) بسوريا يسكن الأردن حالياً أميرهم هايل بن سرور وأبناء عمومتهم في جنوب االعراق (المسعود) وهم خلق لا يحصيهم إلا الله أميرهم الحالي (عبد الواحد السمرمد أبو قياس).

ومن قبيلة شمر في جنوب العراق عشائر البوحجيم. وهم شعوب وقبائل: ناهيك عن شمر نجد وشمر سلطنة عمان (ديل البريل المحافظة التي تتاخم واحة البريمي شرقي دولة الإمارات العربية المتحدة) ثم شمر طوقة بجنوب العراق وهم أيضاً كالمناصير (والمناصير من الأسلم الغرير).

الموطن الأصلي لقبيلة شمر :

كل مصادر الأنساب تذكر وتؤكد أن قبيلة شمر هيٌ بطنٌ من قبيلة طيء اليمنية وقد إختصت بإسمها شمر منذ دخولها مدينتها حائل واستيلاءها على جبل طيء الذي أصبح يعرف بجبل شمر.

ومدينة حائل مدينة عريقة في القدم إذ جاء ذكرها على لسان الشاعر العربي الشهير (إمرىء القيس) في معرض ذكره لجزئي جبل شمر (أجا وسلمى)

(أبت أجأ أن تسلم العام جارها = فمن شاء فلينهض لها من مقاتل)

إلى أن قال في نفس القصيدة ذاكراً حائل :

يت لبوني بالقرية أُمنا   وأسرحها غباً بأكناف حائل

و ثعل جيرانها وحماتها   وامنع من رجال سعدٍ ونائل

ولأن ذكر المؤرخون أن شمر انسلخت عن طيء أول فتوحات الإسلام،

فإني أؤكد أن هذا البطن من طيء تمرد على طيء حيث ثار الفرع على الجذع من اليمن مهدهم الأول كما جاء في كتاب " الكامل في التاريخ" لإبن الأثير الجزري م/١/ح - ٢ / ص ٢٠٤ .

" كانت قبائل طيء تسكن الجرف من اليمن خرجت إثر تغلب (مراد وهمذان) عليها. وهذا أوهى الأسباب لأن من أهم الأسباب انهيار سد مأرب ثم حدثت لطيء حروب مع عدة قبائل وهذا يعد هلاك جديس وهروب الأسود العمليق إلى ما يعرف بجبل طيء. إلى أن يقول:

وعلى الرغم من أن الجبل الذي سكنته قبيلة طيء سمى بإسم القبيلة طيء، ثم اسم (شمر) ألا أن إسمه الحقيقي (جبل حائل) وهو موطن شمر بعد انهيار سد مأرب . إذ طيء أزاحت الأزد ، وشمر أزاحت طيء . (الكامل في التاريخ م / ١/ ج / ٢ / ص ٢٠٥).

ولكنّ الأصحّ هو غيرُ ما سبق لأنّ المؤرخين يؤكدون أن حائل عندما دخلها الفتح الإسلامي كانت طائية الهوية والمجتمع ، ومنها توجه ملك طيء عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج العدوي الطائي إلى الشام لأنه كان على النصرانية قبل أن يعود فيؤمن ويسلم.

مما يجعلنا متأكدين أنّ إنسلاخ الفرع (شمر) عن الأصل بعد الفتح الإسلامي أي ببداية العهد الأموي حصراً.

ومنذ ذلك اليوم وإلى الآن فإن موطن قبيلة شمر الأصلي هو حائل وجبلها (جبل شمر).

ومنذ ثلاثمائة سنة تقريباً خرج أمير شمر (فارس الأول) من نجده متوجهاً نحو الشمال حيث سهول ما بين الرافدين فمر في سواد العراق الأدنى ثم توغل

محارباً وفاتحاً إلى أن أسكن هو وأحفاده من آل الجرباء أمراء شمر قبيلتهم في جنوب العراق وأواسط الجزيرة بجزئيها العراقي والسوري يقول صاحب الكامل في التاريخ في حقيقة نسب آل جرباء أمراء شمر أصحاب أعرق وأعتق بيت حكم لقبيلة شمر ما نصه (في المجلد الثاني: ص ٢٠٥).

(ويطلق عليه جبل شمر أيضاً (أي جبل حائل) لأنّ هذا الفريق المهاجر من طيء صار يطلق عليه عشيرة شمر) .

وأمراؤها "عائلة الجرباء" ينتمون للعباس بن عبد المطلب رضيّ الله عنه، ولهم ميزة في الأحكام تدل على صحة ذلك فإن القاتل منهم لا يُقتل ولا يجلي عن أرضه ولا زالت لها الكلمة إلى سنة /١١٧٠/ هـ فهاجر من حائل نجد رئيسها فارس الجرباء الأكبر لاتفاقه مع الدولة العثمانية ونائبها سليمان الشاوي أمير العبيد.

ولوقائع حربية اضطرته لذلك، جاء إلى الجزيرة مع قليل من أتباعه وبسبب شيخ طيء الذي يقطن مع عشيرته أراضي (نصيبين) استطاع السكنى في الخابور ثم إجتمع عليه المهاجرون من شمر حتى كثروا . فحقدت عليهم قبيلة العبيد حسداً وأرادت إخراجهم كما أخرجت قبلهم عشيرة الموالي التي كانت تحكم تلك الجهات. فأشعلوا بلا سبب مشروع نار الحرب، وكانت نتيجتها الغلبة لشمر فأخرجوا العبيد فألجؤوهم إلى محل من جزيرة ابن عمر لا يزال يسمى جزيرة العبيد. (وهي الحويجة حويجة العبيد، وأحياناً تدعى حويجة الصايح) .

ثم احتلت شمر الجرباء الجزيرة ومدينة الموصل وما زالوا فيها ويبلغ عددهم (مائة ألف نسمة). وهؤلاء غير الفريق الذي في سواد العراق فإنه يسمى (شمر طوقة) ، وغير الذين بقوا في نجد، وهم شمر (عبدة) فقد صار أمرهم إلى آل الرشيد وكان النزاع بينهم وبين آل سعود مستمراً. والحرب سجالاً إلى أن قتل

محمد الرشيد سنة /١٣٣٨/ هـ فتم لآل سعود الاستيلاء على جميع نجد وتولى أمرهم عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل سعود وتسمى بالسلطان وصار يطلق الآن عليها سلطنة نجد . انتهى كلام إبن الأثير = طبعاً أصبح آل سعود الآن ملوك ما يعرف حالياً بالمملكة العربية السعودية) .

وجاء ذكرٌ لشمر في كتاب (قبائل بدو الفرات) للرحّالة البريطانية (الليدي آن بلنت) ترجمة أسعد الفارس ونضال خضر معيوف والكتاب ألفته الليدي بلنت بعام ١٨٧٨ م. وطبع بدار الملاح بدمشق ص ـ ١١٢ ما نصه :

فشمر قبيلة كبيرة قوية وتعتبر القبيلة المقاتلة الوحيدة في شرق الفرات، كما تعتبر المنافس والعدو التقليدي لعنزة منذ أن قدموا للقطر برأس هذه القبيلة الشيخ فرحان بن صفوق الذي ترث عائلته زعامة القبيلة أباً عن جد، ويقيم علاقات طيبة مع الحكومة العثمانية ، وقد منح مؤخراً لقب الباشا مع علاوة من باشوية بغداد تقدر بثلاثة آلاف جنيه كل عام، لأنه تكفل أن يبقى شعبه هادئاً قدر المستطاع وأن يحثهم على الإستكانة، والعمل كفلاحين في وادي دجلة: وجعل من نفسه قدوة لهم حيث أقام في منطقة الشرقاط ومدينة الشرقاط تبعد حوالي ستين ميلاً جنوب الموصل.

أسهب الباشا في شرح ملابسات الأحداث وقال: إن الأمر يتعدى حدود شخصية فرحان لأن شمر غير راضين مطلقاً عن خضوعه للحكومة. حتى إنه كان محطّ احتقار لأنّه ابن امرأة بغدادية ، ولأنه يتكلم التركية التي تعلمها في القسطنطينية منذ عدة سنوات عندما كان رهينة هناك.

وسمعنا أن الكثير من أتباع القبيلة كانوا قد تركوا فرحان وانسحبوا منذ مدة طويلة واضعين أنفسهم تحت إمرة عبد الكريم ـ الأخ غير الشقيق لفرحان ـ الرجل الأسطوري الذي سمعنا عنه كثيراً من القصص إنه الرجل العظيم في تاريخ البدو المعاصر.

وبدوري أدون ما سمعته عن هذا الرجل ـ الكلام لا يزال لليدي آن بلنت :

" كانت أم عبد الكريم من قبيلة طيء والطائيون من أنبل القبائل البدوية على الرغم من أنهم يعتبرون اليوم من روافد قبيلة شمر، ولهذا السبب كان أهل القبيلة يفضلونه على فرحان. ويفضلون قيادته لهم في كل الحروب. وبوجوده جعل سلطة أخيه الأكبر محدودة لا تتعدى مشارف بغداد ـ ويبدو أنه كان يجمع تحت إمرته نخبة من الفرسان الشجعان إستحوذ بهم على ثقة البدو من كل البادية. بالإضافة إلى كرمه وسخاءه وشجاعته. لم يكن يعقد صلحاً مع الأتراك ـ بل أذاقهم طعم البطش والقسوة والهزيمة أكثر من مرة كان صديق الطفولة لجدعان [1] ، لأن جدعان بحكم إحدى عادات السلم ـ كان قد أرسل لتعلم الفروسية في بيت صفوق (صفوك) والد عبد الكريم... إنها مبادرة سلمية تعبر عن حسن النية بين شمر والفدعان.

حافظ عبد الكريم على مودته لجدعان ، وساعده في بداية حياته العملية وقدأعطاه مالاً وجمالاً وأغاثه في أكثر من ضائقة ومَلَمّة ـ أَلاَ أنّ العداوة بين قبيلتي الرجلين جرتهما للتخاصم فيما بعد ـ فجدعان الفقير أصبح من خلال مهارته وشجاعته قائداً لقبيلة الفدعان، ومن ثم طمع أن يكون شيخاً على كل عنزة، ونتيجة لذلك وجد نفسه وجهاً لوجه مع صديقه القديم عبد الكريم ـ فجرت بينهما حروب ومنافسات وفي إحدى الغزوات حاصرت شمر جدعان إبن مهيدٍ في منتصف الليل في خمسين من أتباعه فانتظر الشمريون ساعات الصباح الأولى ليقوموا بالهجوم لأن أعراف البادية لا تجيز مهاجمة الخصم ليلاً. كانت فرصة الفدعان في النجاة ضئيلة. وكانوا يعدون أنفسهم للاستسلام والتسليم في الصباح لأن خيولهم متعبة والعدو يحكم الطوق حولهم ويستعد لشن الهجوم.

---

(١) جدعان : هو الشيخ جدعان بن مهيد شيخ عشائر الفدعان من عنزة في سورية.

تسلل رجل من شمر إلى صفوف الفدعان خلسة في منتصف الليل يحمل رسالة من يد عبد الكريم إلى جدعان ويقود فرساً بيضاء، فقال الشمّريُّ : إن عبد الكريم يرسل لك فرسه الخاصة تذكاراً للصداقة، ويرجوك أن تركبها غداً في ساحة النزال لأنها أنجب فرس في خيول شمر فامتطاها جدعان في اليوم التالي وقاتل عليها في معركة خاسرة، ولما سنحت له الفرصة هرب عليها ناجياً بنفسه، بينما أُخذ كل رجاله أسرى حرب. وذكرتنا هذه القصة بالسماحة التي كان يتحلى بها صلاح الدين الأيوبي رضيّ الله عنه.

كان عبد الكريم مزهواً في قومه ويضايق الأتراك في كل مناسبة. وهوالذي أعاد والي بغداد إلى من حيث أتى بعد ان قدم لزيارته، ومنذ ذلك التاريخ أعتبر عبد الكريم خارجاً على القانون في بغداد ، ولهذا استحق الموت بموجب القانون التركي فكانت نهايته - كما رويت لي - على الشكل التالي - الكلام لا يزال أيضاً لليدي آن بلنت - : " كان عبد الكريم مغرماً بابنة خاله من قبيلة طيء[1]، وبدورها كانت مولعة به وينوي الزواج منها ألا أن والدها - لأسباب غامضة كان قد اعطاها لخطيب آخر فأرسلت الفتاة رسالة إلى عبد الكريم تخبره بما حدث وتتوسل إليه أن ينقذها من الضيف الجديد. إنطلق عبد الكريم على رأس عشرين من الفرسان الشجعان يريد تخليصها إلا أن المؤامرة كشفت، فعندما وصل عبد الكريم وجد الزوج في مجموعة من رجاله يمتشق سيفاً على الفور شطر الفتاة قسمين أمام عيني عبد الكريم. وصاح به : فعلتها يا عبد الكريم ؟ انظر إليها إنها لك خذها أو اتركها كما تشاء .

لا أدري ماذا حدث بعد ذلك ، ولكن يبدو أن عبد الكريم قد طار صوابه وطاف أياماً حول المكان يقتل كل من يصادفه . ويقول بعضهم في ضرب من

---

(١) يقال: إن نساء طي هن من أجمل نساء البادية . (آن بلنت) . بل ينحصر الحسن والجمال الملكي في نساء (آل عساف) أمراء طيء. فإذا أعجب شخص ما بجمال فتاة، قال : كأن جمالها عسافي . (أنور).

المبالغة: إنه حاصر أربعين قرية فإضطر حاكم الموصل إلى أن يرسل جيشاً كبيراً لصده فساقوه جنوباً بإتجاه الفرات إلى ديار عرب المنتفك [١] حيث إستجار بشيخهم ناصر [٢] ألا أن الأخير كانت تربطه علاقات طيبة مع الحكومة التركية فأرسل عبد الكريم سجيناً إلى بغداد ، ومنها أُرسل إلى الموصل ليُشنق على مرأى من الناس فوق الجسر مثله مثل أي مجرم عادي.

نشرت أخبار نهاية عبد الكريم الرعب في نفوس شمر العراق ومضى وقت كان فيه قسم من شمر بدون قيادة ويشعرون بذل الإنكسار ولم يكن في عائلة صفوك من يستطع شغل منصب عبد الكريم.

وأصبحت الظروف مواتيه لأن يستعيد فرحان منصبه من جديد فاعترف به شيخاً على شمر كلها من جديد.

كانت المرأة الطائية ـ والدة عبد الكريم ـ شخصية محترمة، مسموعة الكلمة، فهربت إلى نجد مع فارس ـ ولدها الصغير ـ حاملة كل ما تستطيع حمله من ممتلكات ، وبقيت مع ولدها هناك أكثر من سنتين ، ألا أنهما عادا مؤخراً . وأخذ فارس يأخذ مكانة أخيه من جديد فالتف حوله معظم المحاربين من شمر.

---

(١) المنتفك : من عشائر الجنوب العراق وتكتب المنتفك وفي لهجة الفراتين وأبناء العراق تكتب وتلفظ المنتفج.

(٢) ناصر آل سعدون: شيخ عرب المنتفج وهو هاشمي الأصل حكم بعام ١٨٦٦ م عين والياً للقطيف، نفيَ إلى إستنبول عام ١٨٧٧م وسجن بعام ١٨٨١م

* رداً على ما قالته الليدي أن بلنت .

سبب إعدام الشيخ عبد الكريم الجرباء هو أنه بلغ من القوة الحربية وحسن السمعة بالمكارم ما جعله سيد البادية ما بين نجد وبلاد الرافدين وبوادي بلاد الشام بلا منازع كما أنه كان عربياً حراً غيوراً على أمته ووطنه العربي. تحالف مع العديد من شيوخ العشائر وخاصة شيوخ قبيلة عنزة للقيام بثورة موحدة وقوية لطرد المستعمر التركي وتعاهد معهم بإيمان مفحمة لكنهم خذلوه عند اندلاع ثورته وإستمر في ثورته وحيداً بقومه شمر إلى أن وقع أسيراً فأعدم في مدينة الموصل شنقاً.

كان فارس عالي الهمة يمتلك شخصية جذابة مدبرة، ولهذا وصفه باشا دير الزور بالرجل الشجاع ، لأنه ضم عدداً كبيراً من الأتباع واستقل بهم عن أخيه فرحان وسيطرته . ولأنه إستقطب النصف الشمالي من منطقة العراق كلّها . بدت لنا رؤية مثل هذا الرجل عملية ممتعة على إعتبار إنه لم يسبق لأوربي مقابلته من قبل.

وفي معرض حديث (الليدي أن بلنت) عن بطولات شيوخ وفرسان شمر فقد جاء في الصفحة ١١٥ / ١١٦ ما نصه :

" اعتقد الباشا أنه من الأفضل لنا أن نرسل رسالة إلى فارس نقترح عليه أمر الزيارة مفضلاً ذلك على السفر إلى جدعان بن مهيد. وتستطرد قائلة / الليدي أن بلنت / : (في الحادي والعشرين من كانون الثاني طرأ تعقيد جديد على مواقفنا في الدير جعلتني أشك بنوايا الباشا مقتنعة إنّه يخطط لإعادتنا إلى حلب من جديد. ففي هذا الصباح جاء رجل ليخبر الباشا أنّ عصبة من شمر أغارت على قبيلة البكارة ـ من القبائل الرعوية الصغيرة على الفرات ـ التي تقيم قبالة الدير على الضفة اليسرة من نهر الفرات.

وساق الغزاة ثمانين فرساً وخمسة آلاف شاة . وبعد عدة سطور في نفس الصفحة تستطرد الليدي أن بلانت فتقول : تبين فيما بعد أن الغزاة لم يكونوا من رجال فارس . ولكنهم رجال آخرون قدموا من الجنوب بقيادة (مجول بن فرحان)....

إنهم أقرباء فارس وخصومه بآن واحد. استنتج السيد (سكين)[1] أن فارساً قد إنتهز الفرصة ليؤلّب الحكومة ضد ابن أخيه.. وقدم عروضاً مناسبة لمساعدة الحكومة في حربها معه.

---

(١) سكين: هو القنصل البريطاني في حلب بالقنصلية البريطانية في سوريا.

في الثاني والعشرين من كانون الثاني رويت قصة أخرى عن الغزاة تقول: جاء مجول ليلة البارحة طالباً جزية من سكان الخيام القريبة من الدير بساطاً وكيساً من الشعير ونعجة من كل بيت.)

وفي الصفحة /١٧١/ تقول الليدي أن بلانت :

(لم تعد تفكر في بغداد بغير فكرة الخروج منها. وما أن خلعنا ملابسنا المبتلة وتناولنا العشاء حتى بسطنا ما تفكر به أمام الكولونيل نيكسون الذي أبلغناه أننا قد جئنا إلى بغداد ليس لمجرد التسلية أو الفرجة . ولكن جئنا لنتعرف على قبيلة "شمر" ولنلتحق بها في أقرب فرصة ممكنة)

وفي الصفحة /٢١٥/ وما بعدها تقول الليدي (آن بلنت) :

(كان الشيخ فرحان في سفر خارج الشرقاط عند نايف [١] ولا أحد يعرف متى يرجع إلى دياره ولا ندري لمن نعطي الرسائل التي نحملها إليه! كان هذا الغياب كارثة بالنسبة لنا ولكن رب ضارة نافعة في بعض الأحيان، لأنه قد هيأ لنا الحضور للحاق به بينما كنا نريد في رحلتنا القادمة قلب الجزيرة فإنطلقنا حالاً لأننا لا نتحمل الصعاب إذا لم نذهب حيث نريد.

إستقبلنا في خيمة الباشا بيرود ، ومثّل الشيخ الغائب شاب من أبناءه كان في الخامسة عشرة من عمره.

عجبنا لهذا الفتى كيف بقيَ جالساً حتى بعد أن أدينا التحية ! ولا ندري فيما كان دافعه إنعدام الذكاء أو ضعف الخبرة بإستقبال الغرباء!... تظاهر بأنه غير قادر على فهم كلامنا، واستدعى مترجماً سعياً وراء تقاليد جوفاء فارغة، إلا أننا لم نكن نعرف التركية، وعربية المترجم كانت بلهجة غير مألوفة.

---

(١) نايف : هو نايف بن محمد الفارس الحميدي هو ابن عم فرحان الصفوق.

ساد الصمت في المجلس ثم واصلنا التحدث إلى الجالسين معلنين عن مكانتنا بين الناس، ولم نكن نبالي لأننا ضيوف يحق لهم ذكر كل الأشياء المشرفة، ومثلنا لا مجال لانكارهم.

كانت طريقة عبد العزيز في إستقبالنا غبية، ويبدو أنها كانت سجية غير مقصودة ، ولم يقصد بها إزعاجنا، طلع النهار فبقينا في خيمتنا حتى جاءت من الفتى رسالة يعتذر فيها عما حدث في الليلة الماضية، ويدعونا فيها لتشريفه بشرب القهوة معه...

ويبدو أنه سيستجيب لكل رغباتنا، لأن رسالة النواب قد قرئت وفيها ترجيه لفرحان تسهيل مهمتنا في أي منطقة نريدها من شمر وإلى أن تقول فيما قالته: فإختصرنا الهدايا على بعض الحلوى والسكاكر التي أرسلت إلى زوجة فرحان المفضلة، تلك المرأة ذات النفوذ بالاضافة إلى أولادها. والملأ الذين يعيشون في خيمة الشيخ، بينما يعيش عبد العزيز وعبد المحسن وفتى آخر في خيام أخرى خاصة بهم بعد أن تزوجوا .

وباعتبار أن فرحان باشا من الباشوات فقد تزوج عدة مرات ولا تزال لديه ستُّ زوجات يقطنّ في الشرقاط [1] وكل امرأة كانت تعيش في خيمة منفصلة ولها كيان خاص ، ولا يزرن بعضهن إلا في ظروف العلاقات العامة.

كانت (فصال) أصغر نسوة فرحان وأقربهن إلى قلبه لأنها إبنة الشيخ

---

(١) تعقيب : انظر أن الفرنج هم أعداء دين وقومية ففي قول آن بلنت (لا تزال لديه ستة زوجات يقطن في الشرقاط. كيف تريد ان تفهم القراء الفرنج لمذكراتها أن المسلم شهواني لا قواعد دينية ولا خلقية تنظم حياته الزوجية. في حين إنها تعلم حق العلم إن المسلم لا يتملك إلا بأربع زوجات فإذا أحب زوجة خامسة فما عليه إلا أن يطلق واحدة من الأربع وتبقى بعصمته ثلاث فإذا تزوج الجديدة عاد نصابه لأربع زوجات. أما المطلقة تصبح أختاً له بالإسلام وغير هذا لا علاقة له بها إن شائت تذهب لأهلها و تتزوج أو يكفل إقامتها أولادها من زوجها أو أن تقيم بكنف زوجها يعاملها بأحسن ما يمكن للمسلم أن يعامل أخته.

سعدون [١] الزعيم الكردي في الجزيرة العليا، وتعيش وحدها معه ومع ولديها بدر وحامد إبني السنتين والثلاث سنوات، بالإضافة إلى أن فرحان هو إبن إمرأة بغدادية.

وجدنا هؤلاء الأولاد بطبيعة الحال من دم مختلط لا يمثل الشق العربي ربع مجموعه. وتستطرد آن بلنت فتقول بالصفحة /٢١٨/ : " وجدت (Wolfird) مرافقها يتحدث إلى رجل من هرمز في الموصل يعمل هنا بائع للتبغ ويلم بأنساب القبائل ، ومنه ومن الملا ومن اثنين أو ثلاثة من خدم الباشا إستطاع أن يعد قائمة بقبائل شمر وبجدول تقريبي لعددهم واستناداً إلى ذلك نقول: إن قبيلة شمر كلها لا تزيد في تعددادها عن أحدعشر أو إثنتي عشر ألف خيمة، وأحلافهم وروافدهم من القبائل لا يزيدون عن ثمانية أو تسعة آلاف خيمة، وربما تستطيع شمر أن تدفع عشرين ألف رمح إلى ساحة المعركة إذا اجتمعت كلها.

وفي الصفحة /٢٢٠/ تقول الليدي أن بلنت : " ولم تقل له شيئاً عن فارس تقصد (فرحان) بإستثناء السؤال عن مكانه ألا أنه لا أحد يعرف مكانه بالضبط . بينما يعرفون أنه وأخاه فرحان كانا في تنافر وخصومة . تحريت بعض الأسماء فوجدت ثلاثة رجال [٢] على الأقل يحملون اسم فارس وأن والد نايف هو من أعمام فرحان وليس من إخوته، وبالتالي لم يكن هو الشخص الذي نرغب بزيارته، ولهذا هممنا بالرحيل عن الشرقاط دون تأخير.

---

(١) سعدون : هو زعيم عشيرة الجرجرية، عشيرة كردية ويقال إنهم عرب الأصل ينتمون لعشيرة اليسار من طيء الصحاح وعلامه ذلك. أنهم يشتهرون من دون سائر الأكراد بالشجاعة والأنفة فمعظم عشائر العراق دفعت الجزية لأمراء شمر آل الجرباء. بإستثناء الجرجرية وشيوخهم آل سعدون وهم لا يزوجون إلا أمثالهم كأمراء شمر.

(٢) فارس الأول الذي جاء بهم من نجد، وفارس الحميدي، وفارس الصفوق.

ومن مذكرات آن بلانت تذكر أن إمارة شمر إنحصرت بفرحان باشا على الرغم من شدة بأس فارس وشجاعته وانتشار صيته الواسع كأمير وفارس وجواد وفهيم. ومن أنفة فارس أنه أقام حيناً من الدهر قرب مدينة (عانة) على ضفاف الفرات وأقام مدة أطول على ضفاف نهر الخابور بالجزيرة السورية أي بمتاخمة جبل سنجار).

وكيفما كان فعائلة الجرباء هي أقدم عائلة حكمت قبيلة شمر بإستثناء عائلة برزت فجأة في شمر وانفردت بحكم قبيلة شمر نظراً لاتساع شهرتها بالحكم والحروب مع آل سعود في نجد وقد يكون هذا سببه نجاح التحالفات الزمنية التي اتسم بها القرنان التاسع عشر والعشرين سواءاً بين دولة ودولة أو قبيلة ودولة وهذا ما كان من تحالف بين ابن رشيد أمير شمر والحكومة الإسلامية العثماية من جهة وآل سعود والإنكليز من جهة أخرى.

أما ابن رشيد تذكر آن بلانت في مذكراتها أنه: (إنه من عرب شمر ـ أي ابن رشيد ـ ، ويعيش بينهم شيخاً وليس بملك. وربما كان وكيلاً لإبن سعود في الرياض أو من معاونيه ألا أنه واسع الثراء. ثم أعادت قصة الجمال الثلاثة المحملة بالذهب التي أرسلها إلى مكة) في حين الحديث عن الجرباء هو الحديث عن أعرق بيت حكم دانت له شمر قديماً وحديثاً بكل قضها وقضيضها ولم تخضع لغيره وكوني أتحدث عن قدوم شمر من نجد لا بد لنا من أن نقول إن شمر مرت بهجرتين من نجد إلى الجزيرة وبلاد الرافدين: (خارطة تواجد قبيلة شمر).

تتحدث الليدي أن بلنت عن وصف لأهم أمراء شمر وهو " فارس بن عبد الكريم الجرباء " فتقول في الصحفة / ٢٥٧ / من مذكراتها : (وصلنا إلى خيمة كبيرة عند منعطف الوادي تقوم على سبعة أعمدة عرفنا من حجمها أنها لا بد وأن تكون خيمة الشيخ ، كانت تنتصب وحولها مجموعة من الخيام .

حيث يأخذ الوادي بعدها بالإتساع نحو السهل. فركبنا إليها دون إعلان مسبق وبدأنا نشعر لأول مرة بقلق عن طبيعة الاستقبال الذي يمكن أن يستقبلنا به الرجل الذي جئنا من ديار نائية لنراه ـ تعني فارساً ولكن لا داعي للقلق فالقوم شاهدونا وتسابق الخدم لاستقبالنا وهم يهمون لمسك أرسان خيولنا. بينما كل هؤلاء الذين في الخيمة وقفوا على أقدامهم . وردوا على سلامنا بصوت ودي مطمئن.

أقبل فارس في هيئة شاب طلق المحيا وسيم التقاسيم من الخيمة الداخلية وحيانا بإبتسامة كانت تنطوي على شرف كبير ونية طيبة، وشعرنا في الحال أننا في أمانٍ بين يديه.

أمرنا فارس بالجلوس وأراحنا على الفرش والوسائد. وجلس بنفسه إلى جانبنا مصغياً إلى تحياتنا التي رد عليها بأحسن منها.

فانسابت تحياته رائعة من إنسانٍ يعود لأصول نبيلة. سألنا بلطف عن كل مغامراتنا منذ أن غادرنا الدير، لأنه قد سمع عن وصولنا إلى الدير وعن محاولتنا لزيارته في الشهر الماضي.

وأخبرنا أنه كان يتوقع وصولنا منذ زمن بعيد، وطالما أننا جئنا فعلينا أن نبقى معه فبيته بيتنا وقومه قومنا.

على الرغم من العبارات التقليدية في بلاد الشرق فقد كانت كلماته تنطوي على صدق كبير في كل حرف ينطقه، وطريقته كانت تختلف عن طريقة أي شخص قابلناه حتى الآن في البادية. لأنها كانت صريحة وقلبية من شخص يثق بنفسه وبمكانته في قومه وقادر على التصرف دون إحراج أو تصنع كما يفعل البدو عندما يلتقون الغرباء. ويندر أن نجد رجلاً بهذه الصفات إلا

ذوي الأصل والنبلاء. كانت هذه إنطباعاتي الأولى ـ الليدي آن بلنت ـ عن هذا الشخص أكتبها حالاً دون تأخير ويبدو أننا وجدنا ضالتنا في هذا الشخص بعد أن كنا نأمل بصعوبة بالغة أن نرى سيد البادية.

وباعتباري متعبة يجب عليَّ تأجيل الوصف المطول حتى يوم غد لأننا باقون هنا بضعة أيام .

وتستمر الليدي بلانت في حديثها عن فارس فتقول عن أمه ـ عمشة ـ (كانت أهم شخصية بعد الشيخ فارس نفسه في هذه المضارب هيَّ دوُن شك شخصية أمه الخاتون (عمشة)[1] التي تشتهر بين القبيلة بلقب أم عبد الكريم. وأعتقد أنّ مناداتها بهذا الاسم له مدلوله وتأثيره السحري بين شمر ، وكان بمثابة الشمس الساطعة ـ وعليهم بتبجيل المتوفيّ لأن عبد الكريم في الحقيقة بطل من أبطال شمر سيبقى يذكر بينهم بفخر حتى الأجيال القادمة.

كانت القبيلة في حياته ـ عبد الكريم ـ حياة بطولة غنية وقوية وتتمتع بهيبة في كل البادية ومن الصّعب اليوم أن تعود لسابق عهدها ثانية لأنَّها وحدتها قد تحطمت وانقسم الشمريون إلى معسكرين ولن يستطع أي معسكر وحده مقاتلة أعدائه عنزة لقد كانت حياة عبد الكريم حياة بطولة (رومانسية) يصعب أن تجد مثيلاً لها. ونجد ذلك في ذكراه التي تضفي على حياة العائلة والقبيلة من ورائها الفخر والاعتذار .

وهو عامل من ثلاثة عوامل تجعل من قبيلة شمر تعطي الولاء لشيخها الحالي. كانت أمُّ عبد الكريم شخصيةً نسائيةً من النوع الوقورِ الجليلِ ومحطُّ تقديرٍ وإجلالٍ بين كلِّ القبائلِ في الجزيرة الشمالية، لأنها كما قلتّ من أصل طائي وتعتبر اختاً للشيخ حامد الذي تعرف عليه (ولفرد Walfird) قبل وصولنا إليه بيوم واحد.. عمشة لا بد من أن تكون في يوم ن الأيام إمرأة جميلة شأنها

---

(١) عمشة: هي: عمشة بنت عبد الله الحسين من قبيلة طيء ، وصفها ليارد ـ سائح دنمركي ـ عندما كانت إمرأة شابة بعام ١٨٤٣

شأن النساء الطائيات اللواتي يتمتعن بجمال رائع يجعلهن أجمل نساء البادية. إنها الآن عجوز سمينة والبدانة مقبرة الجمال - وعلى الرغم من وهن جسمها وعجزها فهيَّ إمرأة في شخصية مبجلة، ومشيتها تعتبر بمثابة قانون في كل المخيم (وتستمر الليدي بوصفها للأميرة عمشة العسافية الطائية والدة فارس فتقول): أما داخل بيت فارس فالسيدة تحكم بشكل مطلق ولا تسمح لأيِّ إمرأة أخرى أن تشاركها في السيطرة عليه. كان فارس متزوجاً من فتاة من طيء وتسكن في خيمة مجاورة . أما زوجته السابقة فمن أصل نبيل ولكنها توفيت تاركة ولداً جميلاً عمره تسع سنوات يسمى صلفيج ضمته الخاتون (عمشة) إلى محمد بن عبد الكريم الذي هو في العاشرة من عمره [1] وأخته منيفة في الثالثة عشرة بالاضافة إلى ولد جميل في الثانية عشرة من عمره يُدعَى طلالاً كان إبنَ أخِ لفارس ماتَ من قبلُ.

كان هؤلاء الصبيةُ يحتلونَ مكانةً خاصةً في خيمةِ فارسٍ ويحبُّهمْ أكثر من أولاده لأنَّهم من الأيتام. وهمْ اليوم جميعاً يُرَبُّوْنَ تربيةً مُهذَّبةً جدّاً ويتصرفون بأخلاق عالية في صراحة وشجاعة لا يماثلهم فيها أحد من الفتيان في العالم ولم أرَ في حياتي منظراً أجمل من طلال وهو يمتطي فرسه بمقدار ثلاثِ مراتٍ يومياً وكان يؤدّي أناشيدَ حربيةً مع عمه وعشرين من الخدم المخلصين(*) .

---

١) محمد ومنيفة: ابنا عبد الكريم الصفوق الذي شنقه الأتراك في الموصل وطلال هو ابن عبد الرزاق الصفوق الذي قتله الأتراك عند القاء القبض على أخيه. وكان الشمريون يرون فيهم بقية الشجعان الذين ماتوا.

تعقيب على كلام الليدي آن بلنت: الخدم عند أمراء شمر لا يتسلحون برماح أو سيوف أو بنادق ومسدسات إن أسلحتهم التقليدية هي أدوات الطبخ وفؤوس الحطب وتنظيف الرباع ومفارشها كما أن أمراء شمر وأعني آل جرباء بشكل خاص لا يستخدمون شمرياً إطلاقاً للخدمة والأمور التي قد تحط من قدر الفرد الشمري وعلاوة على هذا فإن الأمير الشمري عندما يركب فرسه يركبها ومعه فرسان شمر كل واحدٍ منهم يعرف نفسه وأهله وأصله ويظن بنفسه الشجاعة.

وفي وقت كان فيه الجميع يعجبون بشجاعة طلال بدأ الخوف يسيطر ودعوا الله لكي يحفظ طلالاً من الأذى غير أن الولد لم يكن يفكر بشيءٍ من هذا الخطر الذي يحدق به وبالآخرين ـ وأخذ يمارس بجواده الكر والفر حاملاً رمحاً ذات رأس فولاذية على ظهره طولها ستة "إنشات" وكثيراً ما كان يكر على عمه (فارس) ويمر بجانبنا متحدياً ويتظاهر بمهاجمتنا وفقاً لأعراف الفروسية. ثم ينطلق مبتعداً كالسهم برفقة عمه فارس الشجاع الماهر، ويعود ثانية من خلفنا يرعد ويزبد ورمحه يهتز فوق رأسه ثم يرجع ويستدير مستفيداً من خفة وزنه هارباً من جديد ، في مشهد جميل من مشاهد الفروسية.

وفي الصفحة /٢٦٠/ تقول الليدي آن بلنت في مذكراتها: (والأولاد الثلاثة (*) هم مهجة كل بدوي في المخيم لأنّ الرجالَ يحنون على الأطفال أمل المستقبل وهؤلاء أولاد شيوخهم والشمريون بشكل عام يبدون شعوراً بالولاء لما يمكن أن نسميه العائلة المالكة. فجد فارس (*) هو الذي قاد أجدادهم من نجد ، وفتح هذه الديار منذ (مائتي عام أي منذ عام ١٦٧٨م وبهذا يكون تاريخ نزوح شمر الأول منذ ثلاثمائة وخمس عشرةَ سنة) وهيَّ الهجرة الأولى ، ولم يجرؤ أي شخص لتحويل الولاءِ عن ذراريهم. ولهؤلاء الأطفال إعتبار مزدوج في أنفس الناس لأنهم أبناء الأبطال وممثلوهم الوحيدون مع الشيخ الحالي ولأنهم من عائلة شيوخهم.

كان عبد الكريم سليلَ هذه الأسرةِ وشيخَها وبطلَ شمَّر الَّذي القى عليه الأتراكُ القبض وشنقوه مثل قطاع الطرق على جسر الموصل. وهو ما يثير غضب شمر اليوم ويجعل دماءهم تغلي ونخص بالذكر الشمريين المستقلين الذين لا يعترفون بفرحان باشا شيخاً شرعياً للقبيلة ويحتقرون أتباعه في الجنوب

(*) تعني الليدي بالأولاد الثلاثة: طلال ومحمد وصلفيج : طلال بن عبد الرزاق الفارس محمد بن عبد الكريم: صلفيج بن فارس الصفوق.

لأنه ابن إمرأة بغدادية ولا يمت إلى البدو بصله كان مجرد فلاح وراعٍ.. إنها كلمات فارس الي تعبر عن الإشمئزاز مما يفعله فرحان أخوه أما أولادُ فرحان فقد طعموا بدم كردي (*) .

كثيرٌ ما كتبته الليدي آن بلنت عن شمر ، لكن من خلال وقوفها على مدح أمير وذمها لأخيه واعتزازها بقبيلة وتقليل شأن قبيلة أخرى. فمن الجلي الواضح أنّها كانت تكشف عن مهمتها التجسسية من خلال أسطر مذكراتها الأولى . ناهيك عمّا جاء من أخطاءً كبيرةٍ وبارزةٍ وفادحة من حيث التنسيبات والتسميات والتصنيفات وأخص بالذكر عندما تسمي (قبيلة طيء) بأنها أحد روافد شمر في حين أنّ العكس صحيح إن شمر هي أحد روافد قبيلة طيء لأن شمر قبيلة طائية. قد يأخذ القارىء عليّ مأخذه فيقول: إذاً لماذا أستشهد بأقوال الليدي آن بلنت؟

الجواب: أنَّ أيَّ كتابٍ لهو عندي أشبه ما يكون بعنقود العنب ونادراً ما تجد عنقوداً كامل الحبات. لا بد وإنّ به بعض الحبات فجة غير مستوية، وأخرة صغيرة وثالثة خائسة وما علينا إلا أن نلتقط الحبات السليمة وهذا شأن كل مؤلف مع كتاب كل كاتب.

غير أنّنا سجلنا في كتابنا هذا (قبيلة شمر) من مذكرات آن بلنت ما يقترب للحقيقة والصدق والواقعية مع السماح لأنفسنا بتسجيل بعض التعقيبات والتصويبات.

من بعض أخطاء الليدي آن بلنت أن البدوي لا يرى الصدق فخراً ولا الكذب عيباً لأن في البادية قاعدة تقول أن لكل فرد الحق أن يبدي ما يريد من قول وأن يخفي ما عنده من أفكار.

(*) زوجة فرحان هي إبنة سعدون آغا كبير الجرجرية إحدى عشائر الأكراد شمال العراق وكان له هيبة وسطوة وحكم الأكراد إلى مشارف دبار بكر بتركيا . (أنور)

هذا غير صحيح :

الرجل الصدوق تعتز به القبيلة وتمتدحه الشعراء ويكثر الخاطبون لطلب يد أخته أو ابنته عسى أن الخاطب يحظى من تلك الأنثى بولد يرث عن جده أو خاله فضيلة الصدق وراثة غريزية. وبالتالي فهو رجل مكرم ـ صادق ـ وليس أدل على هذا من تسمية الإمام جعفر بن محمد عليه السلام بالصادق كما أن البادية تفتخر بتوارث وتناقل صدق راشد الخلاوي الذي جهد ابناء بيئته وعصره على أن يكذبوه أو أن يجدوا عليه كذبة فعجزوا إلى ان مات.

ومن تقاليد البدو أن من تلتقط عليه كذبة واحدة ترفض شهادته طيلة حياته ويسمى (مقموع) مصدرها القمع أي الضرب على أوسط هامة الرأس والمقموع عند البدو لا تصب له القهوة بين الرجال ولا أحد يتزوج إبنته أو يزوج ابنه.

إن كتابنا هذا لم يكن عاماً وشاملاً عن قبيلة شمر . ولكني أعطيته إسم الشمولية تكريماً لمن أكتب عنهم بعض أمراء شمر لأنّ أيَّ واحدٍ منهم إنْ لم يكنْ يمثل شمّر قديماً وحديثاً فإنه بكل تأكيد يمثل شمّر قديماً وحديثاً فإنه بكل تأكيد يمثل العرب والعروبة منذ عهد قحطان وعدنان وحتى يومنا هذا ومن عرف هؤلاء الأمراء المكرمين فإنه بكل ثقة سوف يعتبر هذا الكتاب عاماً وتاماً عن شمر منذ إنسلخت عن قبيلتها الأم طيء وإلى يومنا هذا.

قصة خروج شمر من نجد

إلى العراق وبلاد الشام

قصة خروج قبيلة شمر من مهدها الأول حائل وجبل شمر بإتجاه الشمال. قصة تاريخية لا تقل أهمية عن كل القصص والسير التاريخية أمثال خروج القبيلة الذهبية من غرب النهر الكبير وانتشارها بإتجاه الجنوب والغرب والشمال أي بلاد السند وأفغانستان وخراسان التي تتضمن حقيقة هجرة شمر الأولى من نجد إلى بلاد الرافدين والجزيرة العليا وبلاد الشام.

يقول الرواة من أبناء قبيلة شمر ـ والقول صادق لأن معظم الطاعنين بالسن من أبناء قبائل العراق وسوريا يؤكد صحة الرواية ـ :

" مهد قبيلة شمر هو الجبل المسمى باسمها (جبل شمر) والذي كان يعرف قبل هذه التسمية باسم (جبل طيء). وفي هذا الجبل مدينة حائل هذه المدينة التي قالت عنها السائحة (آن بلنت) أنها لا تزيد عن ألف بيت مبنية بناية بدائية من الحجر، وتنتشر حولها عشرات الألوف من بيوت الشعر الشمرية. حائل وجبلها مهد شمر الأول قبل عام ١٦٨١م لا يعرف العراق أي بيت من شمر. لكن أن بلنت نسيت أن التبابعة وطئوا بشمر أرض العراق وخربوا مدينة الصغد فقالوا بالعجمية (شمر قند) أي شمر خرب ولصعوبة النطق يقولون سمر بدلاً من شمر فسميت (الصغد) بعد تجديد بنائها (بسمرقند) وبقيّ إسمها هو هذا حتى يومنا هذا. ولكن معروف أن الليدي كانت تتحدث في كتابها (قبائل بدو الفرات) ١٨٨١م "

أنها تعني الرواية الخالدة حتى يومنا هذا والتي محتواها : أنّ شمر قبيلة عربية عريقة وأمراؤها آل جرباء ينتمون لآل البيت. وقد حاربوا شريف مكة على زعامة العرب والشاهد قول الشريف بركات أمير مكة "عيال عمي أرجو على جبدي حاميات المخاطير".

إنه يعترف بآل الجرباء بأنهم من أهل البيت عندما سماهم بقوله : (عيال عمي) وبعد أن وجد فارس الأول أمير شمر إن حائل لا تنبت بيوتها الخربة حنطة ولا شعيراً وماءها عيون شحت بمائها قرر أن يسعد شمر ولو بتقديم بعض التضحيات في سبيل إنقاذ من يبقى وإدامتهم بعيش رغيد ومجد سعيد. فقرر الخروج بهم من نجد ...

ولكن إلى أين ؟ ؟

قرر أن تكون هذه الهجرة هجرة موضوعية ومدروسة كي يربح أكثر المغانم بأقل الخسائر. هذه الخسائر التي إن كان لا بد منها فليكن هو أولها والأمير الذي لا يقدم نفسه كأول التضحيات ليس بأمير وعندما فعلها أسقط حق أي من تتطلع نفسه من غير بيت الجرباء بأحقية زعامة شمر . خرج الأمير فارس آل جرباء من دياره حائل وبصحبته زوجته ورجلان قد يكون أحدهما عبداً وبعض الرواة يقول : فارس وزوجته وأحد العبيد .

فوطىء أرض العراق السواد وظل يرتحل وينزل إلى أن وصل إلى جزيرة قرب مدينة سامراء بالعراق الأوسط تدعى الحويجة يسكنها (العبيد) أن العبيد قبيلة عريقة بعروبتها وتاريخها ومفاخر أبطالها وأمجاد فرسانها فالجبور يؤكدون العبيد هم أبناء عبيد الإبن الثاني للسلطان جبر الزبيدي الكهلاني القحطاني الذي سميت القبيلة باسمه (جبور) .

(*) وحتى يومنا هذا إذا غضب أي فرد من غير قبيلة شمر من أيٍّ شمري وأراد أن يغلظ له بالمسبات والشتائم يقول له: يلعن أبوك من أن ظهروا شمر من نجد خيالين وإلى يومنا هذا.

والكتب التاريخية تنسب العبيد إلى النساطرة ومنهم الملك الذي بنى الحضر على الثرثار وهو معاوية بن الضيزن الذي خانته إبنته النضيرة فدلت الملك الفارسي داريوس الأول على ثغرة في السور فدخل الحضر ودمره ويقال: إنه وجد وبناها بالقرنيين الثاني والثالث قبل الميلاد وفعلاً حتى العقود الأخيرة من القرن الثامن عشر كانت برية سنجار هي منازل قبيلة العبيد. المهم أن فارس الجرباء نزل بجوار أمير العبيد في أرضه المسماة الحويجة والحويجة شبه جزيرة يحيطها الماء من أكثر من جهة (مياه نهر دجلة).

كان الأمير فارس بعمله هذا يدرس تسهيلات إستقدامه لقبيلته شمر. يدرس أقرب المسالك لبلاد الماء والكلأ.

- يدرس أسلم الطرق أرضاً وبشراً. يدرس القبائل والعشائر التي قد يمر بها بقومه.
- يدرس أحجام وعدد ومعنويات ونفسيات تلك القبائل ووحدة كلمتها ورأيها.
- يدرس حقيقة حجم تسليح تلك القبائل ومدى قوتها فيما لو تصدوا لقدوم شمر.

لقد عرف عنها كل شيء وعرف أنه مامر بقبيلة وقد إجتمع رأيها على قيادة واحدة أو أنها تتأثر برأي أمير واحد. بما فيها قبيلة العبيد. كان يذهب لمضافة أمير العبيد بكل مساء يتسلى ويشرب القهوة مع الرجال.

لقد وجد مجلس أمير العبيد على خلاف مجالس أمراء شمر. كل رجل

يتحدث بأعلى صوته وليس فيهم من يشعر نفسه أنه برحاب أميره أو يلزم نفسه بإحترام أداب المجالس . علماً أنَّ العبيد وصفهم الشاعر الجاهلي الأعشى بقوله : (ولست من العبيد الكرام). إنهم كرام الأنساب والأحساب . إنهم مفاخر التاريخ، إنهم أهل حصن الحضر. إنهم حكام جبل سنجار وبواديه. كما أنَّ القبائل العربية تسمّي العبيد بـ (عوجان الغلاوين). دلالة على شجاعتهم[1] بجيرة هؤلاء.

كان فارس يتأمل يتمعن في نفسية أمير العبيد ورجاله وطبائعهم وموالاتهم لأمرائهم وقوتهم من حيث فرسانهم، خيولهم ، أسلحتهم ، مؤنهم .. إلخ.

لقد عرف الأميرفارس الجرباء كل شيء عن العبيد ... لقد إكتشف الثغرة الآمنة التي يدخل منها لنقطةالضعف في نفوس العبيد كان إذا أمَّ مجلس العبيد يجلس بأخر صفوف مجلس الرجال .

لماذا ؟ لأنه اميرٌ يعرف نفسه من هو، ولا يريد أن يجلس في مكانٍ قد يأتيه من لا يعرف شخصيته فيأمره هو أو أمير العبيد أو أحد الرجال العاديين في مجلس أمير العبيد بقوله: قم ليجلس الأمير أو الشهير فلان من شخصيات العبيد أو ضيوفهم الكرام.

عندها لو كان الأمير فارس جالساً في المكان الذي يليق به لن يتحرك

---

(١) عوجان الغلاوين: تسمية شرف فاز بها العبيد دون سائر القبائل العربية. يذكر أن العبيد يأنفون سابقاً من شرب السيجارة يعتبرونها خاصة بالنساء. فالرجل العبيدي يستعمل الغليون وإذا فشى أي خبر سيء في أي مجلس عبيدي غضب كل رجال المجلس فكل واحد يأخذ غليونه ويضربه على الأرض فيحطمه إعراباً عن غضبه وعندما يغضبون لا بد من أن يثوروا بثورة تسفك بها الدماء يغسلون العار وليس بغير الدماء.

وعندما يرفض قد يكتشف أمره فيذهب كل تخطيطه هباءً مع الريح. وعندما كان يُسأل: من أين أنت يا جار الرحمن ؟

فيجيبهم فارس: بإنه صلبي .[1] تستراً على شخصيته وحفاظاً على سلامة مخططاته المستقبلية.

كما لمس بهم عدم الإهتمام بوجوده : لم يجد فيهم من يقول له تفضل إجلس هنا كما هي عادات وأداب مجالس البدو وعامة العرب.

لمس فيهم الغطرسة والتعالي وهاتان الصفتان هما أحذية الفشل في الحياة لكل فرد أو مجتمع.

فارس كان معروفاً عنه الشجاعة والكرم. وهما نزعتان فطريتان وراثيتان وليستا غريزيتين مكتسبتين أو مصطنعتين .

والغريزة أي الدافع الغريزي كما يعرفه أحد الفلاسفة الغربيين فيقول: (يبقى الدافع كامناً في أعماق النفس. إلىّ أن يجد مهيجاً او مثيراً خارجياً يهيجه فيندفع قوياً بكل مكوناته للعيان.

---

(١) صلبي : صلبي جمعها صلب ـ وهم قومٌ رحالة نزالة ولكن لا يستعملون الفرس حتى ولو كانت أصيلاً، ولا الإبل ولو سيقت لهم عطاءً بل يستعملون الحمير البيضاء المسماة شهاري مفردها شهري ومعروفة بالشهري الصلبي وهو آصل أنواع الحمير وأشهرها وأغلاها يكون عالياً كالبغل أو دونه مشهور بنعومة مشيه السريع (الكدة) وتحمله على السير بالحماد الذي لا يحلو لجماعة الصلب إلا السكن به لأن لهم مغانم وهيّ صيد الظباء التي هي موردهم الأساسي وأمنهم بضعفهم فهم لا يحملون إسم عشيرة أو قبيلة بل (فرقان: فرجان جمع فريق أو فريج). القبائل البدوية تأنف من غزوهم. وهم قوم مسالمون وغير مسلحين أو محاربين يشتهرون بالقيافة والشعر وضرب الودع الفال بواسطة نسائهم. والصلبي يعتبر مندوب إعلام إذا نزل بجنب عرب يزور مضافات مشاهيرهم يسألونه عن العشب أين؟ المطر أين؟ من تحارب؟ من مات؟ ماذا حدث لعرب شيخ فلان؟ فيجيب على كل هذه الأسئلة ناهيك عن إقتنائهم لأجود أنواع كلاب الصيد (السلق).

لقد وجد الدافع الذي هيج الأمير فارس الجرباء عندما أقام أمير العبيد وليمة ذبح بها عدة كباش لمدعويه وعربه والكرم عند البدو يقاس بعدد ما يذبح المضيف من إبل ونوعها فيما إذا كانت أصيلة أم عادية وضرورتها إن كانت (خلفة)[1] ، أم لا، ومن يذبح خروفاً هو أفضل من أن يذبح ألف دجاجة.

عندما أديرت صواني أمير العبيد لم يلتفت أي واحد ممن في المجلس ويقول للأمير فارس تفضل قم مع الرجال إلى الطعام.

لكن أمير العبيد إنتبه واستحى فصاح بالأمير فارس تفضل كُلّْ يا جارنا! تفضل قم كُلّْ يا جارنا ! صاح به مرة أو مرتين.

لكن الأمير فارس كان يعتذر في كل مرة. إلىٓ أن أقسم أمير العبيد أنه لن يأكل حتى يقوم فارس للطعام.

فوقف فارس بطرف المجلس وقال: سوف آكل ولكن بشرط . رفع أمير العبيد رأسه بدهشة ، كما أن كل من جلس إلى الصواني كف يده عن تناول الطعام والتفت نحو فارس بتعجب . فقال أمير العبيد: أهلاً وسهلاً ما هو شرطك يا رجل ؟

قال فارس : كونك سبقت سؤالك بعبارة أهلاً و سهلاً فهذه عند الرجال الشرفاء أمثالك معناها الموافقة المسبقة. شرطي لن آكل حتى تقبل دعوتي لك ولرجالك على وليمة فعشاؤك عندي. فضحك بعض الرجال استهزاءً بفارس ودعوته. فهو رجل صلبي، والصلب لا يعزمون أحداً .

وبيته لا يتسع لثلاثة رجال فهو صغير . ولم يشاهدوا عنده من الحلال

---

(١) الخلفة : هي الناقة التي يتلوها وليدها (الحوار) وتحلب وينتفع بحليبها . فمن تخلى عن لقمة أولاده وذبحها فهو بلا شك حاتم الطائي الثاني الذي نحر فرسه لضيفه عندما ضافه الضيف ولم يجد ما يكرمه به فنحر له فرسه وأطعمه لحمها .

سوى (زوامله)[1] وهن أربعة لا غير، جمل يحمل عليه بيته الصغير وجمل يحمل عليه عفشه المتواضع،ويركب فوقه العبد وجمل يركبه فارس والرابع تركبه زوجة فارس.

وعندما أخذ فارس الثقة من أمير العبيد بقبول الدعوة، أمر العبد وزوجته التي إستغاثت بإمرأتين أو أربع بمساعدتها بجمع الحطب وطبخ العيش[2]في تلك الحقبة كان أمير الجبور ملحم في ربعة أمير العبيد ولم أتأكد فيما إذا كان الأمير ملحم هو نازل بجوار أمير العبيد بقومه الجبور أم أنّه ضيف زائر؟ إنما كان آنذاك يراكي أمير العبيد على الوسائد في مجلسه وكان من بين المدعوين. العصر وكعادة البدو ذهب أمير العبيد وملحم أمير الجبور لبيت صاحب الدعوة فارس كجبر خاطر لأنه في عرفهم جار فقير مهضوم الجناح (صلبي) حسبما فهموه منه.

ولكنه إحتج عليهم لأن أمير العبيد لم يدع رجال عربه معه فأرسل العبد وأمره أن يقول للعرب إن أمير العبيد يدعوكم لوليمة جاره.

تلك كانت مدارك العبيد وفاتهم أنّ الصلبة لا يملكون عبيداً ولا نياقاً لكن الأمير ملحم كان رجلاً بغاية الذكاء والإنتباه فقد إنتبه لكل ذلك وأدرك أن هذا أمير ووراءه كما يقولّ البدو سليّ وبليّ أو كما يقولون (سواهي ودواهي).

نظر إلى دلال القهوة وإلى كبر المحماس وهي الآلة التي تحمص بها القهوة ثم التفت نحو القدور المركبة على النار وكبرهن وحتماً إنهن مليئات بالعيش واللحم الذي سيطوف بالسمن. وهذا مالا يراه في بيته وهو أمير الجبور وما لم

(١) زوامل : صيغة الجموع لا مفرد لها وهي جمع جمال بعير بعران أو أباعر وهناك من يفردها فيقول: زامل وجمعها زمل وهي الجمال الخاصة بنقل الأحمال والأثقال.

(٢) العيش : عند البدو هو طبخ القمح المسلوق والمقشور هبشاً بالمهباش وطبخه بالماء إلى أن ينضج وإغراقه في الصواني بالسمن ويكوم وسطه اللحم.

يَرَةٌ في بيت أمير العبيد المقامة له ولقومه هذه الوليمة. فعرف أنّ هذه ليس معالم إلا أمير كبير لا يرد له رأي ولا يدرك له تأر ولا يشق له غبار. عرف أنّ هذا ليس بصلبي ولكن أينَ العيون التي تبعد النظر؟ وأين العقول التي تحسن الفكر وتحسن البصر؟

قام الأمير فارس يدير القهوة ويصبها بيده على الضيوف. قدم القهوة لملحم فقال ملحم: أعتذر وشكراً ! ثم عرضت عليه القهوة ثانية فرفضها وفي كل مرة يحتج أنها مليئة بالهيل والقرنفل وهذان لا يصلحان له لأن ضرسه متورم أي ملتهب. حجة حق أرادَ بها باطل؟ لكنه كثيراً ما كان يردد عبارته المشهورة (على الرجل أن يكون كرافاً عرافاً صرافاً). أي يستنشق الرائحة فيعرف منشأها ثم يتصرف.

ولكن ليس في المجلس من يفهم ما يقول الأمير ملحم وما يعني. سوى رجل واحد. هو رجل الفروسية والشجاعة ، والجود والكرم. إنه الأمير فارس الجرباء. لكنه بدوي يصبر، يكتم، ليس بسطحي غيرَ أنّهُ عرف بملحم الذكاء والدهاء والمكر والمكيدة فراح يعد له العدة ويحسب له ألف حساب والرجال تحسب للرجال حسابها ومن (حسب غلب) بكل تأكيد.

أدير الطعام لكنه صينية واحدة لا ثاني ولا ثالث لها. إنها صينية واحدة تستغرق كل صياني أمير العبيد مليئة بالعيش الفائض بالسمن العربي ووسط الصينية فاطر إبل (ناقة) بإستثناء القوائم والأفخاذ حيث قطعت إرْباً إرْباً . نظر ملحم للصينية ولاحظ ما فيها فاندهش ولشدَّ ما تضاعفَتْ دهشتُهُ عندما لاحظ أنَّ حافة الصينية المستديرة قد علق بها عشرات السكاكين المربوطة بواسطة سلاسل بحافة الصينية. ظل ملحم يركز البصر ويمعن الفكر في أمر هذه الصينية وتلك السكاكين وهيَ ما لم يرها أو يسمع بأن ملكاً أو أميراً أو جواداً قد امتكلها أو إقتناها.

دعوه ليقوم ويأكل عدة مرات فكان يرفض بكل مرة. قال له أمير العبيد تفضل يا ملحم وكل معنا فهذا عيش وسمن ولحم ليس به هيل أو قرنفل يا ملحم ما خطبك.؟ وما أمرك؟

قال ملحم: إنتبهوا يا ناس. إنتبهوا يا جبور ، إنتبهوا يا عبيد هذا الرجل قريباً سأستلّ سيفي ضدّ سيفه، هذا الرجل ليس بصلبي كما زعم وادعّى . إنّه أميرُ قوم أولي عزة وبأس شديد. الرجل تدل على المسير، والدم يدل على الكسير والبعرة تدل على البعير ألا يعلم من خلق وهو أللطيف الخبير؟ إنّ هذا الرجلَ أميرٌ وابنُ أمير. إنهُ سابر وخابر ووراءه سواهي ودواهي ولن أُكُل طعامه لأني ساقاتله عما قريب.

قال أمير العبيد مجيباً الأمير ملحم : ماذا تهذي يا رجل؟ ماذا تقول؟ هذا رجل مسكين ولبيّنا دعوته كجبر خاطر.

قال ملحم: مخاطباً أمير العبيد. إنت أّمعن النظر في هذه السكاكين حول الصينية فقط، هل الصلب أو هل رأيتَ أمْ سمعتَ أن أحداً من أجواد العرب إمتلك هذه الصينية؟ وهل هذه السكاكين إلا ليقطع بها اللحم للشباب الذين يجلسون إلى صينية أجودي يمثل أمم وعلم ؟

قال أمير العبيد : هذا عيب يا رجل وهراء في هراء وأنت حر إن شئت أن تأكل فالنعمة عارضة نفسها وإن شئت إبقِ على ألم ضرسك وتخيلاتك التي لا عهد لنا بها لا نحن ولا آباؤنا الأولون.

عندما سمع الأمير ملحم هذه الإجابة من أمير العبيد. إنتظر حتى إنتهى القوم من الطعام وجلسوا لشرب القهوة. عندها نهض ملحم ولوى ساقه الأيمن بعامود الخيمة الأوسط وقال صائحاً وموجهاً كلامه للأمير فارس : إسمع!

إسمع! يا راعي البيت. إعتبرني أخاً وحليفاً لكَ إلى خامس خمستي أي إلى عهد ولدي وولده وولد ولدي إلى الحفيد الخامس سواءً كنت صلبي أو كما أنا أتوقع. فأجابه الأمير فارس عدة مرات : قبلت ، قبلت ، قبلت.

وهذا هو أساس منشأ الحلف القوي الدائم بين عائلتَيْ آل ملحم أمراء الجبور والجربان أمراء شمر وظل هذا الحلف قائماً ولا يزال بين آل ملحم وآل عواصي حصراً من دون سائر آل جرباء أمراء شمر.

لكن أمير العبيد وتحت تأثير العديد من رجاله الذين نبههم الأمير ملحم إقتنع وقرر أن يدبر مكيدة لقتل الأمير فارس غيلة أو التذرع بسبب واهٍ إذ لاسبيل لهم بقتله علانية لأنه وحيد وبجيرة عشيرة تعد بالآلاف .

طرق النبأ مسامع الأمير فارس ففاتح زوجته بالأمر . قالت زوجته لا تهتم إترك الأمور على الله وعليَّ.

نكثت الأميرة حفائظها ووجدت بمدخراتها قلادة ثمينة كانت قد أهديت لها أو أن الأمير فارس قد إشتراها لها من واحد ممن يقدم لديار نجد بتجارته من الهند . القلادة ثمينة جداً ولم يسبق أن وضعت بعنق أميرة أعظم من أميرة شمر بكل نجد مضت الأميرة الشمرية ليلاً بهذه القلادة إلى زوجة أمير العبيد وإدّعت أنها قدمت لزيارتها ولتعتذر لأنها لم تدعُها للزيارة أثناء الوليمة وقدمت العذر هو صغر خباءهم وبعد أن؟ قبلت الأميرة العبيدية. عذرها عاجلتها الأميرة الشمرية وقدمت لها هديتها وهي القلادة التي لم تر أميرة العبيد أجمل أو أضخم منها بكل حياتها فقبلتها منها شاكرة ومسترة؟

وإنغمست الأميرتان بالضحك والأحاديث الشيقة والنكات والمزاح فالأميرة العبيدة تتحدث عن بطولات زوجها ومكارم قومها وضيوف زوجها من ولاة

بغداد وكبار المسئولين بسامراء والموصل والأميرة الشمرية ما زالت تؤكد لأميرة العبيد أنها وزوجها ما هم إلا قوم من جماعة صليب الضعفاء البسطاء فراحت تروي لها قصصاً عن صيدهم للغزال وبراعة زوجها في هذا الفن وشطارتها هي في الفراسة وضرب الفأل (الودع) وقد ضربت لها الفأل بمكسرات الزجاج والحصى والودع وحلقات الحديد أكثر من مرة وكل مرة تبشرها بأنها ستحبل وتلد ولداً فارساً وأنّ بناتها الثلاث سيتزوجن من أبناء شيوخ قبائل وزوجها أمير العبيد قريباً سيغزو سالماً ويعود غانماً وإلى ما هنالك من الخرافات التي يقتنع بها أهل الديرة[1] وبعد أن وثقت حق الثقة بأنها إستقطبت وأستمالت عواطف وصداقة أميرة العبيد فاتحتها بالأمر وقالت إن زوجها قد أوغر صدره بعض رجاله ويحرضه على قتل زوجها الأمير فارس طبعاً لم تقل الأمير وإنما ظلت تسميه زوجها وهي تعنيه فارساً. إستعظمت أميرة العبيد واستكبرت الأمر وادعت أنَّ هذا لن يحدث وما على أميرة شمر إلا أن تعود لبيتها آمنه مطمئنة بعهد الله كما قالت أميرة العبيد.

عادة أبناء العرب بدو أو ديرةأنهم يطيلون التعاليل والسهر في مضافاتهم لساعات متأخرة من الليل. يقضون بالخصومات يتذاكرون أخبار من قضىّ ومضىّ . يتناشدون القصائد التي تتضمن تواريخ وشواهد ووقائع الحروب والغزوات وسير حياة الكرماء وأهل الجود والشهماء؟

وبالتالي فمجالس العرب مدارس لآجيالهم. وبعد أن ينتصف الليل أو يزول ينفض المجلس وكل رجل يمضي لبيته. بما فيهم أميرهم عندما لاذ أمير العبيد من مجلسه إلى محرمه قِسْم الحريم فوجىء بأن زوجه قد طوّت اللبادة التي ينام عليها.

---

(١) أهل الديرة: تسميه تطلق على كل من هم يسكنون الدور والقرى ويعملون بالفلاحة وتربية البقر والجاموس والبغال والغنم وكلمة بداوة لا تطلق إلا على قبيلتين هم (شمر - وعنزه) وهؤلاء أصحاب بيوت الشعر أهل البادية ومقتنياتهم الخيل الأصيلة والإبل والرماح والسيوف فقط. وأبناء القبيلتين يشتهرون بالذكاء الفطري الحاد وأرواحهم متعلقة ومولعة بالغزو والنزال.

هذه علامة غضب وزعل بالبادية إذا أرادت الزوج أن تعرب عن زعلها من زوجها وعليه.

سألها أمير العبيد ما الخطب؟ ما الأمر؟ قالت: كيف أنام بجانبك يا من تفكر بغدر وقتل جارك الفقير والذي ما زالت كفاك يفحّن برائحة إدام وليمته.؟

من فعلها قبلك من العرب؟ والله إن فعلتها لن تؤخذ فتاة من بنات عشيرة العبيد إلى أن تقوم القيامة.

قال أمير العبيد: مدي اللبادة وعهد الله لن يلحق بجارنا أي سوءً مني أو من عموم عشيرة العبيد.

رحل الأمير فارس من جوار أمير العبيد إذ كانت سلطة العبيد آنذاك مبسوطة على الجزيرة بما فيها برية سنجار والحضر والثرثار بما في ذلك (المنايف): وهن أربعة تلول كبار مشهورات في الجزيرة رحل الأميرفارس مطمئناً وأخذ يتجول بالجزيرة إلى أن عرف وخبر رياضها ومناهلها ، فعاد لنجد مسرعاً ثم رحل بشمر الذين اقنعهم بضرورة الرحيل والنزول بالجزيرة الفراتية. وعندما وصل بهم إلى مدينة هيت على شاطىء الفرات الأوسط. حيث يعبر الشط بواسطة عبارات خشبية يستعملها أهل هيت وعانه وراوة والفلوجة. شعر الأمير فارس إن شمر تتهيب عبور النهر لأنهم رمليين ولا قبل لهم بعبور الأنهار خوفاً على حلالهم من إبلٍ وخيلٍ ومتاع. فإستنشاط الأمير فارس ونقل متاعه وعائلته واعتلى موج الفرات وهو ينشد :

البارحة من سفن هيّت تزازيت	ومن عندهم فاخت أنا كل غالي
مارحت به يالابتي حسبت الميت	يا مسويّ العشيات زيد العشالي
أنا فظا بالي ترى بنيت البيت	بروس العداما النايفات الجلالي
وبمرگب جبل سنجار جاني تهنيت	وأشوف سلمى هي وأجا شف بالي

فعندما سمعت شمر هذه القصيدة من فم أميرها المغامر المخاطر فارس لجرباء هذه الأبيات دشوا نهر الفرات وهذا أول دخول لقبيلة شمر بقيادة الأمير فارس الجرباء لبلاد الرافدين وبلاد الشام. وفاضت شمر إلى أن نزل بها الأمير فارس على أمير العبيد بعام (١٦٨٧) م.

فسلكت القبيلة طريقاً ليس فيه إلا عشائر صغيرة ضعيفة إكتسحتها بحروب خاطفة أثرت بيوتها بحلالهم من غنم وقوت حتى أن كل شمري حمل رحائله وملأ بيته بأنواع من القوت والمؤن التي لم يكن يحلم بإمتلاكها من قبل. وهكذا نزلت قبيلة شمر بجوار قبيلة العبيد التي صدقت ما قاله الأمير ملحم.

كانت عشيرة العبيد آنذاك هي أشهر عشيرة بين بلاد الرافدين وكانت عشيرة العبيد حديثة العهد من معركة طاحنة تم لهما فيها النصر على قبيلة الموالي ذات الرماح الطويلة والسيوف المرهفة وبما أن النصر هو من الله عز وجل فقد إستطاعوا أن يبعدوا الموالي عن حويجتهم وهم يتغطرسون بالنصر رغم آلام الجراح التي أثخنوهم فيها فرسان الموالي.

فطلبوا إلى أمير شمر فارس الجرباء أن يرحل بقومه عن حويجتهم، والا فسيلاقي وقومه شمر ما لاقاه الموالي. أجابه أمير شمر فارس الجرباء. بأنه إلى حد ذاك اليوم لم يفكر بقتالهم ومن المحتمل إنّهُ سيتوغل في شمال العراق وغربه لو لم يمسوا شعوره بهذا الإنذار المرتجل والذي لا داعي له.

ولهذا فإنه باقٍ ولن يرحل. فهجمت عليه عشيرة العبيد ولكنه إنتصر وأباد معظمهم وبإنتصاره هذا على العبيد حطّم معنويات عشرات العشائر التي كان كل مامر بواحدة منها إستسلمت له بدون قيد أو شرط مع إقرارها له بالجزية وحسبما يرسمها هو مع احتفاظه بالحلف والإخاء والولاء الدائم بين آل جرباء

والملحم بشكل خاص والخرصة عشيرة آل جرباء من دون سائر شمر وعموم قبيلة الجبور قبيلة آل ملحم. وهذا الحلف ما زال قائماً وعامراً حتى ساعة كتابتي لهذه الأسطر.

هذه أسباب وقصة قدوم شمر من نجد بقيادة أميرها فارس الأول . وسبحان ربي حيث قال وعزَّ من قائل : ﴿ ولما جاء أمرُنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحةُ فأصبحوا في ديارهم جاثمين ﴾ الأ / ٩٤ / س : هود / .

لمع من تاريخ
قبيلة شمر وأمراؤها

من آن بلنت ١٨٨١م

إلى أنور العسكر ١٩٩٤م

شمر والتاريخ

ولم نكن مخطئين عندما قلنا أن (شمراً) إسمٌ يطلق على أمة قائمة بحد ذاتها. تتجاوز بمعناها وعدد أبنائها وسعة رقعتها وطول وعمق وبعد تاريخها الحافل بالروح العربية الأصيلة النقية العريقة. الحافل بالمواقف العربية القومية التاريخية الساطعة. الحافل بحروب شمر كعرب أصلاء إلى جنب إخوانهم العرب في العراق ضد الفرس وفي بلاد الشام ضد أتراك ومماليك مصر . وفي بلاد الشام والعراق ضد المستعمر العثماني وفي شبه الجزيرة العربية ضد الدعوة الوهابية ومذهبها الجديد .

وحروب شمر في العراق ضد الإستعمار الانكليزي وخاصة بثورة القرن العشرين عندما أقدم أحد زعماء شمر المرحوم الشيخ ضاري بن محمود شيخ زوبع فقتل بعام /١٩٢٠م/ القائد البريطاني الجنرال لجمن Lugman) إذ إحتز رأسه بالسيف مما جعل الإنكليز ومن والاهم يسقطون حكم إبن رشيد أمير شمر في عاصمة شمر بنجد (حائل) إنتصاراً وثأراً للجنرال لجمن lagman.

الحافل بتصدي شمر للإستعمار الفرنسي أحد شريكي سايكس بيكو فعمد الفرنسيس لإلقاء القبض على زعيم عامة شمر والدنا الكبير المغفور له أمير أمراء شمر المرحوم دهام الهادي فسلموه لعدوه الذي حاربه في العراق فسلموه لهم أي سلم الفرنسيون الزعيم والثائر والمجاهد والدنا الكبير أمير أمراء شمر قبرص فعكا، فجزيرة كمران بالبحر الأحمر لمدة أربعة سنوات فأعاده الله سبحانه وتعالى وهو نفس ما فعله الأتراك العثمانيون مع أجداده الشيخ فرحان (باشا)

وأبوه صفوك (سلطان البر) الذي غدره القائد العثماني (إبراهيم بك) وهو مسيحي من أصل جركسي إعتنق الإسلام.

ومن أجل كل هذا... فإنني أقدم في بداية هذا الكتاب (قبيلة شمر وأمراءها آل جرباء) ما فيه بغية للطالب ، وإجابة للسائل، وحقائقاً للباحث . ومفاخر تنبض ساطعة بجوف التاريخ ، بل إن مواقف قبيلة شمر ما هي إلا الحان شرفٍ تستريح لسماعها كل أذن تهوى سماع حياة ومواقف الشرفاء والوطنين من أمة العرب.

ولهذا ولغيره فإني أقدم شيئاً يسيراً ملخصاً في بحث موثق صادر عن (الجمعية المصرية للدراسات التاريخية) نشرته المجلة التاريخية المصرية في (المجلد الخامس عشر) القاهرة ١٩٦٩م/ طبعت في المطبعة العالمية /١٧/١٦ / شارع ضبيع سيد ـ فإلى مطالعة هذا البحث الذي يتحدث عن أمجاد شمر.

ال محمد

بيت الرئاسة في عشائر شمر الجربا

دراسة في الزعامة العشائرية العراقية في القرن التاسع عشر

دكتور عبد العزيز سليمان نوار

قد يتبادر إلى الذهن أن دراسة تاريخية لعشيرة عربية بدوية لن تخرج عن تسجيل منازعاتها مع الحكومة ومع العشائر الأخرى. ولكن هناك بعض العشائر العربية ذات تاريخ حافل يتضمن المجالات المحلية والدولية على السواء ، وعشائر شمر الجربا[١] العراقية من هذه العشائر التي يكشف لنا تاريخها عن تفصيلات دقيقة لما كان يجري داخل العشيرة نفسها، وعما كان يحدث بينها وبين العشائر الأخرى من صراع وتحالف ، ويكشف لنا تاريخها أيضاً عن تجربة خطيرة وهي هجرتها من شبه الجزيرة العربية إلى العراق وما تبع ذلك من جهود مضنية لتثبيت أقدامها في مواقعها الجديدة. كذلك يكشف لنا تاريخ عشائر شمر الجربا عن نوع من العلاقات الدولية في منطقة المشرق العربي. فلقد اصطدمت هذه العشائر بعنف بحركة الموحدين (الحركة الوهابية) في أواخر القرن الثامن عشر، وكافحت الغزو الإيراني للعراق في العشرينات من القرن التاسع عشر، كما تعاونت مع القيادة المصرية في الشام (١٨٣١ - ١٨٣٤).

---

(١) سميت شمر لأن رجالها كانوا يشمرون عن ساعد الجد خلال الأزمات، أما الجربا فلقب لقسم من هذه العشيرة التي تضاربت بشأنه الروايات .

وإلى جانب هذا وذاك كانت السلطات الإنجليزية المسئولة عن مصالح إنجلترا في العراق تولى عشائر شمر الجربا عناية خاصة لأنها كانت تسيطر على جزء هام من خطوط المواصلات العالمية التي كانت تربط بين الشرق والغرب عبر العراق.

وخلال دراستنا لهذه العشائر سنلقى نظرات على الظروف التي أدت إلى هجرة عشائر الجربا من شبه الجزيرة العربية إلى العراق ثم سنركز بعض الأضواء على الشخصيات الهامة من "آل محمد" وهو البيت الحاكم في تلك العشائر لما كان لها من آثار واضحة في توجيه أمور العراق خلال القرن التاسع عشر.

كان العراق قبل الفتح الإسلامي مهجراً لبعض القبائل العربية، وقد تغلغل بعضها داخل العراق بينما أقام البعض الآخر على تخومه، حتى إذا كان فتح المسلمون للعراق تحوّلت معظم تلك العشائر إلى الإسلام وتوالت بعد ذلك الهجرات العربية حتى أصبح العراق على جانب كبير من التكامل من حيث العروبة والإسلام. ومنذ ذلك الوقت أصبحت العشائر العربية تغطي مساحات واسعة في العراق. ولقد كان للعشائر العربية فضل كبير في أن يحتفظ العراق بطابعه العربي حتى الآن. فالمعروف ان العراق كان أكثر البلاد العربية تعرضاً لموجات متتالية من الغزوات والهجرات غير العربية التي كادت أن تغير من ملامحه العربية، لولا ان توافدت مجموعات من العشائر العربية على العراق بصورة تكاد تكون مستمرة. ولكن نلاحظ ـ من ناحية أخرة ـ أن العرب بعد سقوط الدولة الأموية فقدوا الكثير من صفات الزعامة والتفوق خاصة في الصف الثاني من العهد العباسي. فلقد احتكر الفرس والترك الحكم والإدارة خلال ذلك العهد ثم سقط العراق في قبضة المغول في ١٢٥٨ م الذين قضوا على الخلافة العباسية هناك.

ولفترة طويلة عاش العراق تحت حكم المغول الايلخانيين ثم (القره قوينلو

والآق قوينلو ومن بعدهم استولى الفرس الصفويون على العراق في ١٥٠٨ وظل في قبضتهم حتى انتزعه منهم الأتراك العثمانيون إلا في ١٦٣٨ م ومنذ ذلك التاريخ ظل العراق في إطار الدولة العثمانية تارة تحت الحكم المباشر (١٦٣٨ - ١٧٤٩) ومن (١٨٣١ - ١٩١٤) وتارة أخرى تحت حكم عصبيات حاكمة من أشهرها مماليك بغداد (١٧٤٩ - ١٨٣١) وآل عبد الجليل في الموصل [١] وآل آفر أسياب في البصرة [٢] والأسرات الكردية العديدة [٣] التي قويت شوكتها خلال القرن السابع عشر. ولكن استطاعت الحكومة أن تصفيها خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر [٤] ولعل تقسيم العثمانيين للعراق إلى أربع ولايات كبرىّ: بغداد - البصرة - الموصل وشهرزور (كردستان) كان من العوامل الرئيسية التي قوت من جانب هذه العصبيات المحلية، ولكنها مع هذا كانت لا تفكر في الانفصال الكامل عن دولة الخلافة العثمانية رغم المعارك الدموية التي كانت تقمع بين تلك الإمارات من جهة وجيوش السلطان من جهة أخرى .

ونظرة سريعة على تاريخ العراق تؤكد لنا أن العراق عاش ، معظم الفترة الواقعة بين سقوط الخلافة العباسية والاحتلال الانجليزي له خلال الحرب العالمية الأولى تحت حكومات غير عربية حجبت عن العرب المناسب القيادية الكبرى . فزادت أحوال العرب تقهقراً كما زادت سرعة انحدارهم نحو تقاليد الجاهلية الأولى ولم يعصمها عن العودة الكاملة إلى تلك الجاهلية الأولى سوى احتفاظها بالاسلام ديناً وبالعروبة كياناً ولقد ظلت تلك العشائر معتزة بعروبتها رغم

---

(١) حكمت هذه الأسرة في الموصل من أوائل القرن الثامن عشر حتى حوالي ١٨٣٤م

(٢) حكمت هذه الأسرة البصرة من ١٠٩٠ إلى ١٦٦٢

(٣) من أهمها الأسرة البابانية في السليمانية والصورانية في راوندوز.

(٤) عبد العزيز نوار: تاريخ العراق الحديث. دار الكاتب العربي. القاهرة ١٩٦٨ (الفصل الثالث عبارة عن دراسة للظروف التي أدت إلى تصفيتها).

التفوق الحضاري الذي كان لدى الفرس والترك. وكان لهذا الاعتزاز بالعروبة قيمة كبرى في الحفاظ على العراق عربياً حتى الآن.

وفي الغالب كانت العشائر العربية في العراق خصوصاً النازلة قرب نهر الفرات على اتصال بأصولها في شبه الجزيرة العربية. فكانت عشائر بادية العراق تمثل حلقة بين العشائر العربية من شبه الجزيرة العربية تقع في فترات متطاولة فكانت تملأ الفراغ الذي كان يحدث في العراق بسبب الاحتياجات المخربة، أو الحروب المدمرة، أو بسبب الأوبئة التي كانت تقضي على أعداد كبيرة من سكان العراق. وكانت بعض عشائر شمر من بين العشائر العديدة التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية إلى العراق منذ القرن السابع عشر الميلادي. فتحدثنا المراجع عن مصادمات عديدة بين شمر وولاة بغداد العثمانيين في ١٦٩٥ / ١٧٠٦ . وقد دخلت شمر في حلف مع عدد من كبريات عشائر العراق مثل المنتفق والخزاعل وزبيد ضد حسن باشا والي بغداد (١٧٠٤ ـ ١٧٢٣) [1] . ودارت معارك عنيفة جداً بين الطرفين استطاع خلالها حسن باشا أن يثبت تفوقه العسكري على تلك العشائر [2] ولم نسمع عن تمردات لعشائر شمر حتى توفي حسن باشا في ١٧٢٣ . فتجددت تمرداتها [3] في وقت كان فيه نادرشاه يغزو العراق، الأمر الذي شغل أحمد باشا (والي بغداد ١٧٢٣ ـ ١٧٤٧) عن الالتفاف إلى إخماد تمردات شمر. ولا شك أن شمر بتمرداتها هذه لم تقدر خطورة عملها على مستقبل العراق في تلك الظروف، ومن ناحية أخرى فإننا

---

(١) كان حسن باشا من الوجهة الرسمية والياً على بغداد ولكن امتدت سطوته إلى معظم العراق وهو الذي كوّن جيشاً من المماليك الذين استطاعوا الاستبداد بالحكم بعد وفاة أحمد باشا ابن حسن باشا في ١٧٤٧ واستمروا في الحكم إلى ١٨٣١م.

(٢) عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، بغداد ١٩٥٣ ج ٥ ، س ١٣٩/ ١٦٩ / ١٧٧ ـ ١٧٨

(٣) المصدر السابق، س ٢١٤ ـ ٢١٥

نعتقد ان كراهية شمر للأتراك العثمانيين حكام العراق كانت على قدر المساواة مع كراهيتهم للفرس (الطامعين في السيطرة على العراق) . فلقد كان هدف هذه العشائر هو التخلص من أي حكم أعجمي وتخليص نفسها من الالتزامات التي كانت تفرضها الحكومة على العشائر .

كانت شمر ـ شأنها شأن العشائر الكبرى ـ عرضة لأن تنفصل عنها بعض أجزائها كلما تزايدت أو طرأت ظروف سياسية أو اقتصادية تدعو إلى انفصال جزء منها عن جسم العشيرة. ولقد انقسمت شمر فعلاً إلى أقسام عديدة استطاع بعضها أن يستقر في مناطق محددة مثل "شمر طوقة" التي استقرت في ريف العراق، كما أن بعضها ظل متنقلاً على عادة العشائر البدوية مثل "شمر الجربا" التي كانت من أشد تلك العشائر بداوة. ورغم بداوتها الشديدة هذه فقد لعبت شمر الجربا دوراً كبيراً في تاريخ شبه الجزيرة العربية وفي تاريخ العراق.

ومما لاشك فيه أن الزعامات تلعب دوراً رئيسياً في توجيه تاريخ المجتمعات العشائرية. وهذا ما نلاحظه عند تتبع العشائر بصفة عامة أو شمر الجربا بصفة خاصة ولقد كان من المألوف أن يكون هناك "بيت" معين يخرج منه شيوخ العشيرة ، وهو ما يعرف باسم "بيت الرئاسة" وكان "آل محمد" هم بيت الرئاسة في شمر الجربا. ولقد كان لهذا البيت تاريخ حافل عندما وقعت شبه الجزيرة العربية عند مفترق الطرق بعد اشتداد حركة الموحدين (الحركة الوهابية) بزعامة آل سعود الذين جعلوا من هذه الحركة تياراً جارفاً. فقد دعا الموحدون العشائر إلى نبذ التقاليد البدوية الجاهلية. وكان من لا يقبل تلك المبادىء يعتبر ـ في نظرهم ـ كمن كفر بالإسلام. وكان من أهم الموضوعات التي كان من المستحيل أن يلتقى عندها الطرفان موضوع "الغزو" [1] فقد كان من عادة العشائر العربية أن تقوم بغزو العشائر الأخرة وكان شباب العشائر يفخرون بتلك

(١) عباس العزاوي : عشائر العراق ، جـ١ ، ص ٧٢

العمليات العدوانية، بل إن "الغزو" كان كفيلاً بأن يعيد العشائر العربية إلى ما كانت عليه من صراع بدائي اشتهرت به قبل الإسلام. ومن ثم كان الغزو يتنافى مع فكرة الدولة الإسلامية، كما كان يتنافى مع الإستقرار والأمن اللذين هما مفتاح التقدم والتطور، ولكن في النصف الثاني من القرن الثامن عشر كان من المستبعد أن تنبذ العشائر فكرة الغزو، حيث ان تلك العشائر ظلت قرون طويلة وهي تمارس هذه التقاليد البدائية وتعتز بها ولهذا كان من العسير على عشائر بدوية ـ مثل شمر الجربا ـ أن تقبل عن طيب خاطر الأفكار والمبادىء التي دعا إليها الموحدون وعلى رأسها الكف عن " الغزو".

ولهذا كان لابد من وقوع صراع دموي مرير بين عشائر شمر والموحدين ، وكان على رأس هذه العشائر حينذاك "مطلق بن محمد" بينما كان سعود بن عبد العزيز على رأس الموحدين. وكل منهما كان صعب المراس. وأصبح على "مطلق بن محمد" أن يتخذ طريقاً من الطرق الثلاثة التالية :

١ ـ أن يقاتل حتى ينتصر على آل سعود، ولكن بينما كان القتال ضرورة ملحة كان النصر بعيد الاحتمال أمام شمر الجربا لأن هذه العشائر لم تكن قادرة على الصمود في وجه حركة الموحدين أو حتى خفض شوكتها، لافتقار العشائر الشمرية إلى الفكرة العقائدية وإلى التنظيم الذي اشتهر به الموحدون في أيامهم الأولى.

٢ ـ أن يقبل "مطلق بن محمد" خضوع عشائره للموحدين ولكن هذه العشيرة الشمرية كانت شديدة البداوة ترفض الخضوع بإباء وشمم.

٣ ـ أن تغادر عشائر شمر الجربا نجداً بعيداً عن متناول سيوف الموحدين، وهذا قرار ليس من اليسير على شيخ العشيرة ان يتخذه إلا تحت ظروف قاسية.

جرب "مطلق بن محمد" القتال (١٧٩١) فإذا بتيار الموحدين جارفاً، ولما تيقن" مطلق" أن الإحتكام إلى السيف سيعود عليه بالخسران آثر أن يجمع جموعه مولياً وجهه شطر العراق الذي كان مهجراً طيباً حيث كانت فيه عشائر عديدة شمرية سبقت "الجربا " إليه.[١]

ومما ساعد على اتجاه "مطلق بن محمد" إلى العراق ، أن المماليك ـ حكام العراق ـ كانوا يرحبون بمقدم مثل هذه العشائر وذلك لكي يستخدمها المماليك في صد هجمات الموحدين على العراق وأيضاً في شن حملات على الموحدين في قلب شبه الجزيرة العربية. إذ أن جيش المماليك كان مؤلفاً من الفرسان الثقيلي العدة والعتاد، ولم يكن مثل هؤلاء الفرسان بقادرين على التصدي لقوات الموحدين الخفيفة الحركة. هذا فضلاً عن أنه لم يكن في استطاعة الفارس المملوكي أن حارب في الصحراء. فحرب الصحراء وقتال العشائر له أسلوبه الخاص . ومن ثم كانت العشائر هي خير سلاح يمكن إستخدامه ضد الموحدين، وبخاصة إذا كانت تلك العشائر موتورة منهم.

ومن ناحية أخرى، كان والي العراق (سليمان باشا الكبير)[٢] يعد العدة لشن حملة كبيرة ضد الموحدين في قلب شبه الجزيرة العربية، حيث أن سليم الثالث ـ السلطان العثماني ـ كان يلح عليه في إرسال حملة كبيرة ضدهم. وكان اشتراك عشائر شمر الجربا في مثل هذه الحملة ضد الموحدين يعطي فرصاً أوسع لنجاحها ، لما كان لتلك العشائر من خبرات في قتالهم. فضلاً عن أنها كانت كبيرة العدد وشديدة الكراهية للموحدين وتبحث عن فرصة لتثأر لنفسها منهم [٣] وفعلا اشتركت شمر الجربا في الحملة الكبيرة التي أعدها سليمان باشا الكبير والتي تولى كتخداه "علي بك" قيادتها. وكانت تضم قوات مملوكية إلى جانب القوات العشائرية.

(١) عباس العزاوي: عشائر العراق، بغداد جـ ١ ، ص ١٣٨ ـ ١٤٠
(٢) حكم س ١٧٧٩ ـ ١٨٠٢
(٣) عباس العزاوي، عشائر العراق ، جـ١ ، ص ١٣٧ ، ١٤٤

زحفت الحملة من العراق إلى الإحساء، وهناك تصدت لها قوات الموحدين، فدارت معركة حامية سرعان ما تحولت إلى هزيمة قاسية كادت أن تصبح مذبحة لولا ثبات قوات العشائر. وخلال هذه المعكرة سقط "مطلق بن محمد" قتيلاً عام (١٢١٣/١٨٩٨) واضطرت بقايا قوات الحملة إلى التقهقر من الإحساء إلى العراق.(١)

لقد كانت الضربة التي وجهها الموحدون إلى شمر الجربا قاسية وأصبحت العشيرة في حاجة إلى زعامة قوية تأخذ بيدها في هذه المحنة. وكان في العراق حينذاك شخصية شمرية ذات نفود، ونعنى بذلك "ابراهيم بك الشمري" راسل الشيخ "فارس" من "آل محمد" (٢) القائد الذي يستطيع ان يتحمل المسئولية بعد مصرع "مطلق ابن محمد".

كان " الشيخ فارس" في نجد حينذاك فاستقدمه " إبراهيم الشمري" إلى العراق فلبى الشيخ النداء، وشد رحاله إلى هناك وتولى مشيخة شمر الجربا.(٣) وكان طبيعياً أن يكرس جهوده في تقوية مكانة عشائره عن طريق التعاون مع القوى المناهضة للموحدين أشد أعداء شمر الجربا، وكانت حكومة العراق تعد حينذاك قوات لتوجيه ضربات إلى العشائر التي تعاونت أو مالت إلى الموحدين(٤) ولهذا وضع "فارس" سيفه في خدمة هذا الغرض ، كما شارك في

---

(١) المصدر السابق، س ١٣٨ ـ ١٣٩ ، تاريخ العراق ، جـ ٦ ، س ١٢٥ ، لقد كان مطلق بن محمد عنيداً في كراهيته للموحدين فيقول صاحب مطالع السعود أنه سار من العراق إلى الشام وتوجه إلى أحمد باشا الجزار بحج، وبعد رجوعه من الحج "رأسى ذلك الضلال المبين الذين كان عليه الوهابيون.. رجع وقد عاهد اللّه على أن لا يرجع عن الجهاد والقتال مع الوهابيين إلى أن يموت" انظر مختصر مطالع السعود، ٢٤

(٢) البيت الحاكم في شمر الجربا.

(٣) عباس الغزاوي ، عشائر العراق، جـ ١ ، س ١٤٤

(٤) مثل عشائر العبيد التي كانت من كبريات عشائر العراق.

الحملة الجديدة التي كانت تعدها الحكومة ضد الموحدين (١٧٩٨م) [١] .
ولكن هذه الحملة الجديدة لم تستطع إحراز نصر ما على الموحدين، بل توالى تفوق الموحدين على الحملات الموجهة ضدهم من العراق، مما أدى إلى أن يتوسع الموحدون في نطاق عملياتهم فشرعوا في مهاجمة العشائر النازلة غربي نهر الفرات وبلغت تلك الحملات ذروة قوتها عندما هاجم الموحدون مدينة كربلاء (١٨٠١) ونهبوها وخربوا مرقد (الإمام الحسين بن علي عليهما السلام) وامتدت أيديهم إلى مساكن المدينة، وأدى ذلك إلى إرتفاع هذه المشكلة إلى مستويات عالية بسرعة وخطورة .

فقد كان الشيعة ينظرون إلى مرقد "الحسين بن علي عليهما السلام" نظرة تقديس، وكان لذلك الهجوم على مرقده صدى سيئاً للغاية في مختلف الأوساط الإيرانية، وجاء هذا الحادث في وقت كان فيه "فتح علي" (شاه إيران)[٢] يتبع سياسة نشطة في المجالات الدولية والإسلامية والمحلية متطلعاً بقوة نحو السيطرة على العراق تحت ستار الأهداف المذهبية الشيعية لتحقيق أهداف اقتصادية، وكان سليمان باشا الكبير (والى العراق حينذاك) يدرك هذه الأهداف ، كما أن الباب العالي العثماني ما كان ليقبل ذلك التدخل الإيراني في أمور العراق، كما كان لا يقبل أن يقال إن الحكومة العثمانية عاجزة عن الدفاع عن العراق ضد الموحدين [٣].

وعلى هذا النحو أصبح من الضروري أن يبعث سليمان باشا الكبير بحملة جديدة ضد الموحدين، ليمنع عن العراق هجماتهم، وليستعد ثقة السلطان به،

(١) ع. العزاوي، عشائر العراق ن جـ ١ ، س ،١٤٤ تاريخ العراق ، جـ ٦ ، س ١٢٧ ـ ١٢٨
(٢) حكم إيران من ١٧٩٧ ـ ١٨٣٤ .
(٣) هـ. لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، الطبعة الثالثة، بغداد ١٩٦٢ س ٢١٥ . ٢١٦ ، عباس العزاوي، تاريخ العراق ، حـ ٦ ، س ١٤٤ ، رسول الكركوكي، دوحة الوزراء، س ٢١٦ ـ ٢١٧ .

وليدرأ خطر التدخل الإيراني في أمور العراق. ومعنى هذا أن سليمان باشا أصبح أكثر حاجة إلى القوى العشائرية عن ذي قبل. ولكن توفى سليمان باشا الكبير في عام ١٨٠٢ .

وجاء بعده في حكم ولاية بغداد "علي باشا" الذي كان قد سبق له أن تولى حملات فاشلة ضد الموحدين . وعلى أي حال أصبح على " علي باشا" أن يعيد تشكيل قواته وأن يرسل حملة كبيرة ضدهم. وكان من الطبيعي أن يمول "علي باشا " الشيخ فارس ورجاله من مقاتلي شمر الجرباء . وفعلاً شاركت شمر الجرباء في جهود "علي باشا" العسكريةضد الموحدين ، ولكن دون أن تصل تلك الجهود إلى نتيجة إيجابية بل على العكس تزايدت هجمات الموحدين على العراق ، حتى فضل الشيخ فارس أن يبحث لعشائره عن مراع جديدة بعيدة عن متناول سيوف الموحدين.

قاد" الشيخ فارس" عشائره إلى الجزيرة في شمال العراق لعل العيش يصفو لها هناك. ولكن وصول هذه العشائر الشمرية إلى الجزيرة كان في حد ذاته خطراً على العشائر الأخرى النازلة هناك. ولهذا كان تاريخ شمر جربا ـ منذ ذهابها إلى شمال العراق ـ عبارة عن سلسلة من الصراع مع عشائر العبيد والعقيل. وحيث أن زعماء عشائر العبيد كانوا ميالين إلى الموحدين فمما لاشك فيه أن ذلك كان من العوامل الرئيسية التي عمقت البغضاء بين شمر الجربا والعبيد. ولعل هذا يفسر لنا عنف الحملات التي كان يشنها الشيخ فارس علي عشائر العبيد. [1] ولقد كسب "الشيخ فارس" من وراء ذلك ثقة "علي باشا" والى بغداد ، حيث أن الأخير كان شديد الكراهية لشيوخ العبيد بسبب ميول زعمائهم للموحدين . بل أصبح "علي باشا" يخشىّ من أين يقوم الموحدون ، بالتعاون مع أعوانهم في العراق ، بانقلاب يطيح بحكومته. ولهذا كان الرجل

(١) ع. العزاوي ، عشائر العراق ، حـ ١ ، س ١٤٥

مستمداً لأن يقدم على أي عمل يخلصه من تلك الأخطار التي كانت تحيط به، حتى انه لم يتورع عن إغتيال إثنين من زعماء العبيد هما" محمد" وأخيه " عبد العزيز الشاوي". (١)

ولكن سياسات العراق حينذاك كانت تختلف باختلاف الولاة وبميولهم ولهذا حدث تبدل في السياسة بعد مصرع « علي باشا » في ١٨٠٧ .فقد حل محله في ولاية بغداد سليمان باشا الصغير (٢) الذي كان ميالاً للموحدين . كذلك نجد والي بغداد « سعيد باشا » (١٨١٣ - ١٨١٦) يعتمد على عشائر العبيد ويضع أمور البلاد في يد أحد شيوخ هذه العشائر وهو قاسم الشاوي . وحيث أن عشائر العبيد كانت شديدة العداء لعشائر شمر الجربا ، فقد أدى ذلك إلى أن تفقد هذه الأخيرة تلك المكانة الكبيرة التي كانت تحتلها زمن سليمان باشا الكبير وعلي باشا .

ومما جعل الأمور أمام عشائر شمر الجربا أكثر تعقيداً أنها فقدت بوفاة شيخها المجرب « فارس » الزعيم الذي يستطيع أن يواجه تلك الظروف القاسية. وقد تولى المشيخة بعده « بنية بن قرينيص » الذي أصبح عليه أن يواجه حلفاً كبيراً تشكل ضده . وكان هذا الحلف مكوناً من عشائر المنتفق والخزاعل والروله والعقيل ، بل انضمت إليه عشائر العبيد وقوات الوالي سعيد باشا . ويبدو أن هذا الحلف كان قد عقد العزم على توجيه ضربة ساحقة لعشائر شمر الجربا (١٩١٦/١٢٣١) ولم يكن أمام « بنية بن قرينيص » إلا أن يقر السيف بالسيف . فكان أن دارت معركة كبيرة وانجلت عن هزيمة شمر الجربا ومصرع « بنية » نفسه .

---

(١) ذكر صاحب مطالع السعود أن مقتلهما كان بسبب ميولهما الوهابية، انظر مختصر مطالع السعود، س ٣٠ ، بينما لم يتعرض "جودت" في تاريخه لهذا السبب عندما تعرض لـ المشكلة ، تاريخ جودت ، حـ ٧ ، ص ١٩٩

(١) حكم من ١٨٠٧ - ١٨١٠

ولما كان رجال « شمر الجربا » يدركون دقة موقفهم ويعنون بأن يكون شيخهم مقداماً جريئاً قادراً على أن يقود العشيرة وسط أعداء عديدين فقد وقع اختيارهم على « صفوق بن الشيخ فارس » [1] . حقيقة كان تاريخ حياة شيوخ شمر الجربا سلسلة من الكفاح من أجل الحياة ، إلا أن تاريخ حياة صفوق بالذات كان مليئاً بالأحداث الجلية . ولقد كان صفوق [2] منذ شبابه جريئاً قوي الشكيمة ، مولعاً بالمخاطر والغزو ، عزمه من حديد ، وفي عينه بريق حاد يؤكد قدرته على الإصرار وعلى تحقيق الأهداف .

وقد امتدت مشيخة صفوق [3] من ١٨١٦ إلى ١٨٤٣ . وتعتبر هذه الفترة من أدق فترات تاريخ المشرق العربي ، كما عاصر صفوق مجموعة من أهم الشخصيات التاريخية التي لعبت أدوراً خطيرة في المنطقة . فقد تولى حكم العراق إبتداء من ١٨١٧ الوالي داود باشا [4] الذي كان يسعى إلى توحيد

---

(١) رسول حاوي الكركوكي، دوحة الوزراء ، س ٢٦٨ ـ ٢٦٩

(٢) كان عوده متناسقاً إلا أنه كان ممتلىء الجسم نوعاً ما مما كان يعطيه شكلاً تركياً.

(٣) كان لصفوق قصة حب كبيرة. فقد حدث أن شاهد في يوم من الأيام، وهو لا يزال في فتوة الشباب ـ فتاة بهرته بجمالها وهي عمشة بنت شيخ عشائر طي. ولقد سميت كذلك منعاً للحسد على عادة العرب. وكانت الفتاة ذات سمرة خمرية أخاذة، وكانت ذات عينين خاطفتين لماحتين ساحرتين. فشغف به حباً، وأصر على الإقتران . ولكن أبوها رفض أن يزوجه إياها، فما كان من صفوق إلا أن دبر خطة لاختطافها ونفذها بنجاح. وكانت مثل هذه الجرأة كفيلة بأن تشعل نيران قتال مرير بين العشيرتين. لولا أن تدارك الأمر عقلاء القوم، وتغلبت الحكمة على التهور خاصة وأن طيء من بنى عمومة شمر. ووافق شيخ طيء على أن يتزوج صفوق من إبنته، وزفت إليه لتصبح بعد ذلك سيدة شمر الأولى. وكانت عمشة تتزين بكميات كبيرة من الذهب تضعها حول رقبتها وعلى صدرها. وكان يتدلى قرط ذهبي من أذنها حتى خصرها، كما ثبت قطعة ذهبية أخرى على أنفها كانت تتدلى على فمها حتى تغطيه فتضطر إلى إزاحتها بيدها عندما تتناول طعامها. وكانت عندما تتبختر في مشيتها تسمع أصوات رنين الذهب بوضوح . انظر :

H. Layard : Nineveh and its Remains, London 1849, vol. I, pp. 100 - 102

، انظر عبد العزيز نوار، داود باشا والى بغداد، المكتبة العربية، دار الكاتب العربي ،القاهرة ١٩٦٨

العراق تحت حكمه وإلى تجديد شباب العراق حتى ولو كان ذلك رغم أنف السلطان العثماني . وكان على عرش السلطنة العثمانية حينذاك «محمود الثاني» (١٨٠٨ - ١٨٣٦) الذي كان مصمماً على أن يعيد حكمه المباشر إلى مختلف ولايات الدولة العثمانية حتى لو اقتضى ذلك القوة العسكرية ضد الولاة المتغلبين من أمثال داود باشا في بغداد ومحمد علي باشا في القاهرة ، ويوسف القره منلي في طرابلس الغرب . وعاصر صفوق أيضاً « فتح علي » شاه فارس الذي كان يبذل - هو الآخر - كل جهده من أجل تجديد قوة بلاده لعله يتمكن من انتزاع العراق من السلطنة العثمانية .

وقد عمل داود على تقديم المعونة إلى صفوق ليعيد تنظيم عشائره ويجعلها قادرة على التصدي لعشائر عنزه إذا عمدت إلى التوغل داخل العراق [١] .

ولكن فترة الوفاق بين داود باشا وصفوق لم تدم طويلاً. ففي السنوات الأخيرة من حكم داود تحولت علاقاته بصفوق إلى عداء مستحكم. فلقد انقلبت الصداقة إلى بغضاء شديدة حوالي ١٨٢٧ . وليس لدينا معلومات وافية عن الأسباب التي أدت إلى هذا التحول. ولكن هناك بعض الاتجاهات العامة التي يمكن أن تفسر لنا هذا التطور.

لقد كان داود يحاول أن يفرض سيطرته بقوة على طول البلاد العراقية وعرضها من الموصل إلى البصرة لعله يعيد إلى العراق تماسكه ووحدته تحت يده. ومثل هذه السياسة تتطلب من العشائر أن تركن إلى الهدوء وإلى الاستقرار في أماكن محددة، وأن تعيش على الزراعة بدلا من حياة البداوة . ومن ناحية أخرة كان داود يرى أن عدم السيطرة على شمر الجربا بالذات قد يؤدي إلى القضاء على مشروعاته الخاصة بالسيطرة على الموصل. فلقد كانت شمر الجربا

---

(١) ع. العزاوي ، تاريخ العراق، جـ ٦ ، س ٢٨٥ - ٢٧٦ .

مسيطرة على منطقة الجزيرة التي تتحكم في الطريق بين بغداد والموصل. وكان لا بد لداود ـ قبل أن يبدأ عملياته إزاء الموصل ـ أن يضمن هدوء وإستقرار عشائر شمر الجربا حتى لا تتعرض خطوط مواصلاته مع الموصل لخطر الانقطاع المفاجيء.

هذا إلى أن داود كان قد شرع في إدخال الأساليب الأوروبية الحديثة في الجيش. والمعروف أن الجيش الحديث لا يعتمد في القليل على التشكيلات العشائرية . ومعنى هذا أن حاجة داود إلى قوة شمر الجربا قد أخذت تتناقص كلما نمّا جيشه الحديث وهذا يعنى أن شمر الجربا ستفقد ـ عاجلاً أو آجلاً ـ الامتيازات التي كانت تتمتع بها.

أضف إلى هذا الأسباب المعتادة التي تؤدي إلى وقوع الصدام بين العشائر والحكومة، وأهمها رغبة العشائر بالاستمرار في الامتناع عن دفع ما عليها من ضرائب، والكراهية العميقة التي يكنها رجال العشائر العربية للحكومات الأعجمية.

وعلى أي حال وقعت الأزمة بين داود وصفوق ، وكانت أزمة طاحنة شأنها في ذلك شأن تمردات عشائر شمر الجربا السابقة فهي عشائر صعبة المراس، بعيدة المنال، سريعة الحركة ، قادرة على أن تهبط مقتربة جداً من بغداد قاطعة الطرق المؤدية إليها، ناهبة ما تمر به من قرى ، ثم تعود مسرعة موغلة في الصحراء ، فتعجز قوات الحكومة عن اللحاق بها. ولقد طال الصراع بين صفوق وداود دون أن يكسب الأخير أي جولة من جولات هذا الصراع الذي امتد من ١٨٢٧ إلى ١٨٣٠ .

وفي أغسطس ١٨٣٠ استطاع داود أن يستخدم بعض وحدات جيشه الحديثة التشكيل ضد صفوق ورجاله [١]. ولكن في نفس هذه السنة بالذات

---

(١) A.N.Grove: Journal ofa Residence at Bagdad during the years 1830-1831 London, 1832, p. 24

انقلبت الموازين بسرعة لصالح صفوق. فقد انفجر النزاع الحاد بين داود باشا والسلطان محمود الثاني وعزم الأخير على إبعاد داود والمماليك عن حكم العراق وأعادته إلى الحكم المباشر العثماني مرة أخرى (١٨٣٠) .

وترجع هذه الأزمة الكبيرة بين داود والسلطان العثماني محمود الثاني إلى أن داود كان قد تخطى حدوده كوال عثماني على بغداد من حيث قيامه بإعداد جيش حديث كبير قادر على التصدي لقوات السلطان نفسه. ووجد السلطان محمود الثاني أن الإسراع في القضاء على داود خير من الإبطاء. حتى لا يعطى لداود فرصة لاستكمال استعداداته. ولقد بلغت مخاوف السلطان العثماني ذروتها عندما امتنع داود باشا عن إمداده لا بالمال ولا بالرجال خلال الحرب التركية ـ الروسية (١٨٢٧ ـ ١٨٢٩) . ولهذا بعث السلطان العثماني إلى العراق بأحد كبار موظفيه إلى داود حاملاً فرمان عزل داود عن ولاية بغداد. فما كان من داود إلا أن قتل مبعوث السلطان مصعداً بذلك الأزمة إلى ذروتها، فأرسل السلطان جيشاً بقيادة علي باشا رضا[١] إلى العراق.

كان طبيعياً أن يستعين على رضا بالقوى المعادية لداود. وكان "صفوق" مستعداً للتعاون معه لتقوية مركزه في العراق تحت ستار التعاون مع جيش السلطان ضد داود الثائر على الخلافة العثمانية صاحبة الحق الشرعي في أن تولي أو تخلع من تشاء حسب منطق ذلك العصر. كذلك وجد علي باشا رضا في قاسم العمري (والي الموصل) حليفاً قوياً له لأنه كان من ألد أعداء داود . ونسق هؤلاء (علي رضا وصفوق وقاسم العمري) عملياتهم العسكرية، وأصبح على صفوق أن يقطع المواصلات بين بغداد وبقية أجزاء العراق. فقامت عشائره بهذه المهمة. ومع هذا كانت الدلائل تشير إلى أن جيش داود كان لا يزال قادراً

(١) كان والياً على حلب فأسندت إليه ولاية بغداد والموصل وديار بكر ليقوم بالقضاء على داود ومماليكه.

على الصمود طويلاً أمام جيش السلطان ومن يشد أزره. إلا أن الأقدار كانت أقوى من الآمال والإمكانات. فقد انقض وباء الطاعون على جيش داود فقضى على معظمه، وأصيب داود نفسه به، وانفض كثير من الناس عنه فيما عدى عدد قليل من أعوانه وأهمهم يوسف أغا (رئيس الحسابات) وسليمان (الميراخور) [١] ومحمد افندي (المتصرف). وقد حاول هؤلاء الثلاثة القيام ببعض العمليات التي يمكن بها تقوية جانب داود في هذه الازمة الطاحنة. ولكن كان صفوق وقاسم العمري لهم بالمرصاد. فقد اتفقا على فرض حصار قاتل على بغداد يمنع الخروج منها أو الدخول إليها حتى تضطر إلى التسليم. وعندما حاول يوسف أغا العودة إلى بغداد على رأس قوة مسلحة وبأموال معه كثيرة - كان قد جمعها من نواحي كركوك - أسرع صفوق إلى خمسمائة من خيالة شمر الجربا ومعهم ثلاثين من مشاة العقيل من حملة البنادق . ووسع خطته على أساس أن يكمن مشاة العقيل في أحد الأنهار الجافة بينما يقوم خيالة شمر باستدراج قوات "يوسف أغا" إلى هذا الكمين. ونفذت الخطة بنجاح وسقط عدد كبير من القتلى بل وقع يوسف أغا نفسه أسيراً في يد رجال صفوق[٢] . وكانت هذه الهزيمة بمثابة بداية النهاية لداود ورجاله، فقد استسلمت بغداد إلى قاسم على اعتبار أنه قائمقام على باشا رضا [٣].

دخل قاسم العمري بغداد وفي معيته صفوق ورجاله، وسليمان الغنام ورجاله من العقيل. وكان هذا في محرم ١٢٤٧ / ١٨٣١ . ويحدثنا الكاتب التركي سليمان فائق عن أن صفوق عني عناية خاصة بالبحث عن زوجة سليمان أغا (الميراخور) ليحصل عليها حيث أنه كان يدعى أنها وهبت له من قبل [٤].

---

(١) منصب من المناصب المملوكية الكبيرة.

(٢) سليمان فائق: تاريخ بغداد، س ٧٨ - ٧٦

(٣) عبد العزيز نوار: داود باشا. الفصل السابع عبارة عن دراسة مفصلة للظروف التي أدت إلى استسلام بغداد لقاسم العمري.

(٤) تاريخ بغداد ، ص ٨٤ .

أما سليمان الغنام ورجاله من العقيل فكانوا يقومون كذلك بعمليات النهب والسلب حيث أن قاسم العمري كان قد ترك الحبل على غاربه لكلٍ من سليمان الغنام وصفوق. وحيث أن كلا منهما كان بدوياً لا يتقن فن إدارة المدن أو معاملة أهاليها فقد أقدما على تعديات خطيرة. وقد حاول أهالي المدينة ردعهما بالحسنى دون جدوى. فلم يبق أمامهم سوى الاحتكام إلى السيف رغم ما كانوا عليه من حالة نفسية ومادية متدهورة بسبب النكبات المتتالية التي ألمت بالمدينة خلال فترة قصيرة من الزمن (١٨٣٠ - ١٨٣١) [١] . ورغم ذلك أعلن البغداديون ثورتهم على قاسم العمدي وأعوانه (صفوق وسليمان الغنام). فقتلوا الأول وعزموا على خوض معركة ضدالقوات الشمرية والعقيلية، رغم ما عرف عن العقيليين من دقة في استخدام البنادق.

ومن المعروف عن القوات الشمرية أنها أعجز من أن تقاتل داخل المدينة قتال الشوارع لعدم تمرسها على هذا النوع من القتال . ولهذا آثر صفوق أن يغادر بغداد برجاله ، وبأقصى سرعة ممكنة كما فر منها سليمان الغنام ورجاله العقيليين[٢] .

وبهذا تخلص البغداديون من هذا الحكم البدوي الذي كاد أن يجهز على المدينة. وهكذا أثبتت الطبائع البدوية أنها غير قادرة على إدارة أمور مدينة أو ولاية. هذا فضلاً عن أن الفردية تغلبت على أعمال كل من قاسم العمري وصفوق وسليمان الغنام فعلى حد قول سليمان فائق :

" لقد تفرد كل من ... صفوق وسليمان الغنام بإصدار ما يشاءون من

---

(١) خلال السنتين ١٨٣٠ - ١٨٣١ تعرضت بغداد لحصار قوات السلطان، ولوباء الطاعون الذي أفنى أغلبية سكانها ولفيضان نهر دجلة الذي دمر وشرد معظم البقية الباقية من سكان ومباني المدينة.

(٢) سليمان فائق، تاريخ بغداد ، س ٨٣ - ٨٤ ، رحلة فريزر ، س ١٢٣

الأوامر المتضاربة دون التشاور بعضهم بعضاً. ولم يكونوا على أمر جامع " [1].

كان البغداديون يعتقدون أن مصرع قاسم العمري وفرارصفوق وسليمان الغنام من بغداد قد يقنع السلطان العثماني ـ محمود الثاني ـ وعلي باشا رضا بأن اقتحام بغداد أمر بعيد الاحتمال. ولكن "علي باشا رضا" كان عنيداً مصراً على أن يستولي على بغداد فتابع حصارها تشد أزره قوات شمر الجربا بقيادة صفوق واضطرت بغداد في نهاية الأمر أن تفتح أبوابها لعلي باشا رضا، بل استسلم إليه داود كذلك. ودخلت قوات علي رضا بغداد وبدأ بذلك الحكم المباشر العثماني لبغداد (١٨٣١).

ونلاحظ هنا أن القوات التي دخلت بغداد لم تتضمن أية قوة عشائرية، وهذا يدل على بعد نظره، وقدرته على التعلم من الأخطاء السابقة. هذا إلى أن علي رضا كان قد جاء إلى العراق ليقضي على نظام المماليك حتى يصفو الجو للحكم المباشر. وهذا يتطلب كف أية قوة أخرى غير قوة الوالي العثماني عن ممارسة الحكم أو توجيه الأمور، ومن ثم فمهمة قوات شمر ـ من جهة نظر علي رضا ـ هي القيام بالجهد العسكري دون التطلع إلى أي نوع من أنواع المشاركة في الحكم أو امتيازاته.

ويبدو أن صفوق أدرك هذه الحقيقة، فنقل بسرعة نشاطه إلى الميدان الذي يستطيع أن يحصل فيه على مكاسب أكثر واقعية. ففي أعقاب سقوط بغداد في يد علي رضا نجد صفوق يقود قواته ضد عقيل السعدون ـ شيخ عشائر المنتفق.

كانت عشائر المنتفق من كبريات عشائر العراق، وكانت تسيطر على مقدرات البصرة، وبلغت هذه العشائر درجة كبيرة من القوة عندما استطاعت أن ترفع سعيد باشا إلى منصب الولاية (١٨١٣) ، وظلت عشائر المنتفق تشد

---

(١) سليمان فائق ، تاريخ بغداد ، ص ٨٩ .

ازره ضد منافسه داود لمدة طويلة. ولما نجح داود في الحصول على منصب الولاية أخذ يتدخل في أمور المنتفق حتى أسند مشيختها إلى "عقيل السعدون" الموالي له. وعندما وقعت الأزمة بين داود باشا والسلطان العثماني (١٧٣٠ - ١٨٣١) وقف "عقيل السعدون" بجانب داود . فلما استسلم داود إلى "علي رضا باشا " أصبح على هذا الوالي الجديد أن يتخلص من أعوان داود في العراق، وبالتالي أصبح الصدام بين "عقيل السعدون" والحكم العثماني الجديد أمراً لامناص منه.

وكان المفروض أن يبعث "علي باشا رضا" حملة ضد " عقيل السعدون" الذي عزله عن المشيخة، ولكن اتبع "علي رضا" السياسة المألوفة لدى ولاة العراق في مثل هذه الأمور. وهي ضرب العشائر بعضها ببعض. وكان صفوق "شيخ شمر الجربا" مستعداً لأن يوجه قواته ضد "عقيل السعدون". وكانت الظروف مواتية لصفوق ليضرب ضربته بقوة، حيث أن الإنقسام في البيت الحاكم السعدوني نفسه كان كبيراً، بل كان في بغداد عدد من الشيوخ السعدونيين المناهضين لعقيل نفسه ويسعون إلى خلعه من المشيخة والحلول محله. وكان هؤلاء الشيوخ السعدونيون يحثون "علي باشا رضا" على التدخل ضد إبن عمهم "عقيل السعدون" ، وعرضوا عليه تقديم كافة المساعدات في مقابل حصول أحدهم على المشيخة وانتهت هذه المفاوضات بتفاهم تام بين هؤلاء وعلي رضا وصفوق بأن يقوم صفوق ورجاله بالزحف ضد "عقيل السعدون" يشد أزرهم أعوان أولئك المشايخ المنافسين لعقيل . وفعلاً تمت الترتيبات على أساس أن يقوم صفوق بالتعاون مع الشيوخ السعدونيين المتحالفين معه بحملة كبيرة ضد "عقيل السعدون" .

زحفت قوات صفوق وحلفائه إلى ديار المنتفق، ودارت معركة كبيرة بين

الطرفين، وأحرز صفوق ورجاله نصراً كبيراً ولكن بعد قتال مرير من جانب المنتفق حتى لقد سقط " عقيل السعدون" نفسه في المعركة. ولا شك أن مصرعه كان في حد ذاته عاملاً حاسماً في هزيمة المنتفق حيث أن موت الشيخ أو القائد حينذاك كان يعني تشتت شمل قواته وهزيمتها. وكان طبيعياً أن يذيع صيت صفوق بعد ذلك، حتى لقد أطلق عليه منذ ذلك الوقت لقب "سلطان البر" (١) .

لقد أصبحت عشائر شمر الجربا ـ في أعقاب ذلك ـ من أكبر عشائر العراق فعالية، وأكثرها قدرة على الحركة لتعدد خبراتها في القتال وتنوع الأزمات التي تعرضت لها. فأكسبت تلك الظروف "صفوق" بصفة خاصة، ورجال عشيرته بصفة عامة، خبرات سياسية وعسكرية لم تكن متوفرة لدى غيرهم من رجالات العشائر الأخرى، وكان هذا في وقت دخل فيه الوطن العربي في تجربة جديدة هزته هزاً عنيفاً، وجعلت العراق من مجالات السياسة الدولية النشطة، ونعني بذلك الانتشار المصري في المشرق العربي فيما بين ١٨٣١ و ١٨٤١ .

فبعد نشوب القتال بين الجيش المصري والجيش العثماني في الشام إبتداء من أكتوبر ١٨٣١ أصبح لزاماً على "علي باشا رضا" أن يسهم بما لديه من إمكانيات في المجهود الحربي العثماني من أجل عرقلة التقدم المصري في الشام ومن أجل تقويض دعائم الوجود المصري هناك تنفيذاً للسياسة العامة للسلطان العثماني محمود الثاني الذي طالب الولاة بتقديم كل مساعدة ممكنة للجيوش العثمانية في حربها ضد "محمد علي باشا" والى مصر. وكان الأمر أمام "علي رضا باشا" صعباً حيث أنه كان يعتمد.. على القوات التي جاءت معه من

(١) عباس العزاوي : تاريخ العراق ، جـ ٢ ، ص ١٩ ، ولقب "سلطان البر" كان يمنح للشخصيات العربية القوية. ولقد حصل عليه فخر الدين المعني في أوائل القرن السابع عشر انظر الخوري بولس قرالي، فخر الدين المعني الثاني ودولة تسكانيا ١٦٠٥ ـ ١٦٣٥ ، رمية مجمع العلوم والفنون الملكي الإيطالي ، ١٩٣٨ ، الجزء الثاني ، ص ١٦ .

حلب إلى العراق. ومعظمها قوات غير نظامية كثيرة الشغب صعبة القيادة ليس من اليسير الإعتماد عليها في حرب كتلك التي كانت تدور رحاها في الشام بين القوات المصرية والقوات العثمانية.

وهكذا وجد علي باشا رضا نفسه مضطراً إلى استخدام القوات العشائرية في شد أزر الجيوش العثمانية المقاتلة في الشام وحيث أن عشائر شمر الجربا كانت قد اشتهرت بقدراتها العسكرية فقد وضع "علي رضا" عينه عليها كقوة يمكن الإسهام بها في الحرب الدائرة في الشام. خاصة وأن هذه العشائر كانت من أكثر عشائر العراق تعاوناً معه في العراق. فكان من المنتظر أن تكون مستعدة كل الإستعداد للقيام بتلك المهمة. هذا فضلاً عن أن أراضي شمر الجربا كانت تمتد على مساحات واسعة من الجزيرة العراقية.

فمنذ أوائل القرن التاسع عشر أصبحت بالجزيرة العراقية ذات أهمية كبيرة دولية بسبب التطورات التي حدثت في أساليب المواصلات العالمية تلك التطورات التي جعلت انظار أوربا تتجه إلى إعادة الحياة إلى الطرق العالمية القديمة عبر الشرق الأوسط إلى آسيا على إعتبار أنها أقصر من طريق "رأس الرجاء الصالح" وعلى إعتبار أنها أقدر على إستيعاب أساليب النقل الحديثة البخارية، فاتجهت المشروعات نحو مد خطوط بخارية ملاحية بين الموانى الأوروبية والساحل السوري ومنه تنقل البضائع إلى بيره جكْ في أعلى نهر الفرات أو إلى الموصل على نهر دجلة، ومن هناك يعاد شحن البضائع على بواخر تهبط أحد النهرين إلى الخليج العربي ومنه إلى الهند يعاد شحن البضائع على بواخر تهبط أحد النهرين إلى الخليج العربي ومنه إلى الهند والشرق الأقصى [١] ومن هنا برزت أهمية الجزيرة العراقية حيث أنها تقع بين نهري الفرات ودجلة وتسيطر على هذا الطريق الدولي الجديد.

---

(١) انظر : Hoskins , British Routes to india New York, 1982, Chapters II - XIII

وهكذا أدى اختراع السفن التجارية والتوسع المصري في الشام (١٨٣١ - ١٨٤٠) إلى إرتفاع أهمية الجزيرة العراقية إلى مجالات التنافس الدولي [١]، وإلى أن تجد شمر الجربا - المسيطرة على الجزيرة العراقية، نفسها في موقف جديد سواء من حيث الأوضاع الداخلية أو الخارجية ومن ناحية أخرة كان علي رضا لا شك سيجعل مميزات الجزيرة العراقية في خدمة اهدافه إذا ما ضمن تعاون صفوق معه تعاوناً كاملاً. ولعل هذا يفسر لنا لماذا علق "علي رضا" آمالاً واسعةً على صفوق ورجاله.

أضف إلى هذا أن "على باشا رضا" كان يعتقد أن "صفوق" سيقدم خدماته للسلطان العثماني خلال أزمة التوسع المصري على نفس المستوى الذي كان عليه صفوق عندما خدم الدولة العثمانية خلال حربها ضد الفرس (١٨٦١ - ١٨٢٣) وعلى نفس المستوى الذي تعاون به مع جيش السلطان ضد داود باشا (١٨٣٠ - ١٨٣١) وأيضاً على نفس المستوى الذي قاتل به "عقيل السعدون" شيخ المنتفق (١٨٣١).

ويكشف لنا الفرمان الذي أصدره السلطان محمود الثاني إلى والي الشام عن تلك الآمال الواسعة حيث جاء فيه أن صفوق وصل الخابور [٢] جامعاً جموعه "كالجراد" المنتشر قد ملأ الفضاء والبر" [٣] واتجه بهذه الجموع التي كانت تمتد بحوالي ثلاثين إلى أربعين ألف مقاتل صوب الشام للتعاون مع الجيوش العثمانية ضد الجيوش المصرية هناك.

---

(١) أصبحت الجزيرةالعراقية مجالاً واسعاً للدراسات الأنجليزية التي كانت تهدف إلى جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن العشائر العربية النازلة فيها حيث أن أي اضطرابات عشائرية كانت تهدد بالقضاء على المشروعات الانجليزية الهادفة إلى إستخدام البواخر في نهر الفرات لربط البحر المتوسط بالخليج العربي. ولقد كانت الاضطرابات العشائرية كثيرة الوقوع في الجزيرة بسبب الصراع بين العشائر شمر الجربا وعنزه.

(٢) نهر في شمال العراق.

(٣) عابدين محفظة ٢٣١ وثيقة ٢٨ في ١٢ ذي القعدة ١٢٤٧ هـ / ١٤ أبريل ١٨٣٢ .

ولقد جمع صفوق جموعه حقاً، وبدأ كأنه سيلتحق بالقوات العثمانية في الشام. ولكن حدث تغير خطير في أهدافه واتجاهاته، حيث أنه غير رأيه ، وبدلا من أن يزحف صوب الشام لوى عنان فرسه وهبط صوب بغداد ليحاصرها شاهراً السيف في وجه الأتراك العثمانيين . [١]

وليس لدينا أية وثيقة تكشف لنا عن الأسباب التي أدت إلى هذا التحول المفاجيء في موقف صفوق من الحكم العثماني سوى ما ذكره لوريمر (Lorimer) [٢] من أن صفوق طالب "علي رضا باشا" بامتيازات لم تلق القبول منه [٣] وأغلب الظن أن هذا السبب يمثل واحداً من أسباب عديدة أخرى هيأت الظروف لثورة صفوق على الحكم العثماني، وبعض هذه الأسباب يتعلق بالموقف في العراق نفسه وبعضها الآخر يتعلق بالموقف في المشرق العربي على وجه العموم.

فقد قامت في بغداد ثورة كبيرة ضد علي باشا رضا [٤]، وأعلن يحيى باشا الجليلي (والى الموصل السابق) أنه عاد إلى حكم ولايته لا ليتولاها من قبل السلطان العثماني، وإنما عاد ليحكمها من قبل الحكومة المصرية. وفي أقصى جنوب العراق كان الموقف حرجاً أمام "علي باشا رضا" لوجود حزب قوى في البصرة يناصر المصريين ضد العثمانيين [٥] وبذلك يكون العراق كله عرضة لأن يخرج على العثمانيين. خاصة عندما انتشرت فيه أنباء سقوط عكا في يد القوات المصرية. ويبدو أن القوى المناهضة للحكم العثماني في العراق عزمت

---

(١) عابدين محفظة ٢٤٦ وثيقة ١٧٨ ، ١٧٩ "غير مؤرخاه".

(٢) أحد موظفي حكومة الهند المسئولين عن جمع المعلومات عن العراق والخليج العربي وهو صاحب الموسوعة الانجليزية عن الخليج العربي Gazetteer of the Perzian Gulf.

(٣) Larimer: op. cit, vol. I, part I , pp. 1315-1816

(٤) Intelligence from Bagdad contained in Report from Wood, 2 August 1832, F.O. 78/210

(٥) Robert Taylor to Secret Committee, July 29, 1833, (India Office Records , Factory Records, Persia and Persian Gulf, vol. 49, pp. 541-543) .

على انتهاز هذه الفرصة لإحراز مكاسب جديدة أو للتخلص من التدخل التركي في شؤونها. ومن ذلك أن محمد بك ـ أمير راوندوز ـ سعى إلى السيطرة على معظم كردستان. ولكن الأخطر من هذا وذاك هو ما ذكره الميجور روبرت تيلر الوكيل السياسي الإنجليزي في بغداد Major Robert Taylor من أنه كان هناك تحالفاً بين محمد بك (أمير راوندوز) [1] ويحيى الجليلي (حاكم الموصل) وصفوق (شيخ عشائر شمر الجربا) [2] .

وسواءاً كان هناك تحالف متفق عليه أم أن الأمر لا يعدو أن يكون اتجاهاً عاماً لدى القوى المناهضة للحكم التركي في العراق. فإن مجرد ظهور مثل هذه القوى بمظهر التحدي المعلن للحكم التركي العثماني كان كافياً لتشجيع العناصر الأخرى المعادية للأتراك على الخروج إلى مجال العمل الإيجابي ضدهم. ومن ذلك تعاون بقايا المماليك مع تلك القوى ضد العثمانيين [3]، وانضمام سليمان بابان (حاكم السليمانية) [4] إليها، وكانت تلك القوى تمثل خطراً شديداً على الوجود العثماني في العراق.

فقد ثبت فعلاً أن يحيى الجليلي كان قد نسق عملياته العسكرية مع صفوق[5] كذلك يحدثنا الميجور "روبرت تيلر" عن أنه كان لدى صفوق مستشارين مصريين[6]. ومن ثم كان الزحف المفاجىء الذي قام به صفوق

---

(١) إمارة في شمال العراق في قلب ديار الكرد.

(٢) R. Taylor to Secret Committee, September 5, 1883 (India Office Records , Factory Records, Persia and Persian Gulf, vol. 49, pp. 673) .

(٣) R. Taylor to Secret Committee, September 5, 1883 (India Office Records , Factory Records, Persia and Persian Gulf, vol. 47, pp. 354-359) .

(٤) R. Taylor to Secret Committee, September 5, 1883 (India Office Records , Factory Records, Persia and Persian Gulf, vol. 49, pp. 784-791) .

(٥) R. Taylor to Secret Committee, September 5, 1883 (India Office Records , Factory Records, Persia and Persian Gulf, vol. 49, pp. 673) .

(٦) R. Taylor to Secret Committee, September 5, 1883 (India Office Records , Factory Records, Persia and Persian Gulf, vol. 49, pp. 785-792) .

صوب بغداد ـ الثائرة ضد "علي باشا رضا" ـ يمثل ذروة الخطر الذي تعرض له والي العراق. حينذاك، حيث أن قوات صفوق استطاعت أن تسيطر على الطرق المؤدية إلى بغداد وأن يضرب الحصار عليها الأمر الذي جعل "علي رضا" بين نار ثورة داخلية ونار قوات صفوق من خارج بغداد.

ورغم تلك الأخطار المتعددة استطاع علي باشا رضا أن يتغلب على تلك القوى المعادية له. فقد قضى والى بغداد على ثورة بغداد بضرب المدينة بالمدفعية، فأصبح من المتعذر على صفوق أن يقتحم المدينة لا لأن الثورة في داخلها كانت قد أخمدت فحسب بل كذلك لأن القوات العشائرية البدوية لا تستطيع أن تقيم الحصار على مدينة مسورة لمدة طويلة. وكان هناك عامل آخر قوي أرغم صفوق على رفع الحصار عن بغداد وهو مقدم جموع كبيرة من عشائر عنزه.

فقد كان من سياسة ولاة بغداد أن يضربوا العشائر العربية بعضها ببعض، ولهذا حرض "علي رضا" عشائر عنزه ضد "شمر الجربا" واتفق مع عنزه على أن تحصل على أراضي شمر الوفيرة المرعى في حالة انتصارها عليها. وكان هذا وعداً مغرياً كل الأغراء جعل عشائر عنزه تبذل كل ما لديها من قوة من أجل الانتصار على شمر [١].

وخلال هذا كان علي رضا قد أعلن عن عزل صفوق عن مشيخة عشيرته، وأسندها إلى "شلاش" ، إلا أن الأخير كان ضعيف الشخصية الأمر الذي جعل معظم العشائر الشمرية منضوية تحت زعامة صفوق. ومع هذا فضل صفوق أن ينسحب بعشائره موغلاً صوب الشمال وبذلك لم يعد صفوق خطراً على بغداد ولهذا سحب علي رضا وعوده لعشائر عنزة .

---

(١) Lorimer: Gazetteer of the Persian Gulf. vol I, Part I, pp. 1315-1316

وعندما وجدت عشائر عنزه أن "علي رضا" قد سحب وعده أقدمت على خطوات إرهابية بأن فرضت حصاراً جزئياً على بغداد وأصبح على "علي رضا" أن يجهز حملة كبيرة ضد "عنزه" وكان من المعروف أن المتغلب على "عنزه" يتطلب تعاون عشائر شمر بالذات معه. وكان "شلاش" مستعداً كل الاستعداد ليضع ما تحت يده من رجال تحت قيادة " علي باشا رضا" . وفي هذه الأثناء علم صفوق بهذه التطورات وأدرك أن القضية ليست قضية والى بغداد وشلاش وحدهما بل هي جزء لا يتجزأ من الصراع التقليدي بين شمر وعنزه، ورأى أن الظروف تحتم عليه أن يتناسى أسباب النزاع، وأن يضع يده في يد شلاش ضد عنزه. وأغلب الظن أن صفوق أدرك أن قوات "علي باشا رضا" وقوات شلاش غير قادرة على التغلب على "عنزه" ولعل هذا هو الذي أدى إلى عودة التفاهم بين علي باشا رضا وشلاش من جهة وصفوق من جهة أخرى. وفعلاً بعث صفوق بألفي رجل للاشتراك في الحملة ضد "عنزه" وبعث صفوق إلى شلاش يقول له :

" أنا وأنت متخاصمان ويمكننا أن نسوي النزاع بيننا.... ولكن شرف العشيرة في الوقت الحاضر قد تعرض للخطر، ولا أستطيع السكوت عن ذلك مالم أقدم معونتي للمحافظة عليه". [١].

ويبدو أن صفوق كان يعتقد أن عنزه لن تلقى بكل قواتها في المعركة، أو ربما كان يعتقد أن اشتراك قوات الحكومة بما لديها من مدفعية كفيل بأن يرهب عشائر عنزه، فلا توسع في نطاق القتال وتنسحب إلى مراعيها. ولعل هذه هي العوامل التي جعلت صفوق يقتصر على إرسال ألفي مقاتل فقط من رجاله ولكن الحقيقة هي أن عنزه كانت مستعدة لخوض المعركة بخمسة وثلاثين ألف مقاتل. ويرى الرحالة السياسي الانجليزي فريزرFraser أن هذه المساعدة ،

---

(١) فريزر: رحلة فريزر، ص ١٣٤

جانب صفوق لشلاش في هذه الظروف لم تكن مجدية حيث أن جموع شمر الجربا لم تكن بقادرة على مواجهة جموع عنزه التي كانت متفوقة من حيث العدد بمراحل كبيرة.

وعلى أي حال قامت قوات شلاش وصفوق وعلي رضا بحملة مشتركة ضد عنزه التي تصدت لهذه القوات. وبعد أن دارت المعركة بدا واضحاً أن كفة عنزه هي الراجحة . فقد اندحرت بسرعة قوات علي باشا رضا ووقعت المدافع في يد رجال عنزه. وسقط شلاش صريعاً، وتحولت المعركة إلى مذبحة للقوات الشمرية. والملاحظ أن قوات عنزه آثرت أن تلقى بثقتها على رجال شمر مخلية سبيل القوات النظامية التابعة لوالي بغداد. كانت صيحة عنزه في تلك المعركة : " خل النظام واقتل الجربا " [1].

ولا شك أن هذه الهزيمة الكبيرة التي منيت بها عشائر شمر الجربا هزت مكانتها حينذاك، بينما كان عدم تنكيل عشائر عنزه بالقوات النظامية سبباً في أن يبقى الباب مفتوحاً للتفاهم بينها وبين علي باشا رضا [2]. كما نلاحظ أن "علي رضا" شرع في تضييق الخناق على صفوق وحلفائه مرة أخرى وبوجه خاص على "يحيى الجليلي" في الموصل. وكانت هناك في الحقيقة ضرورة ملحة لذلك حيث أن وجود "يحيى الجليلي" (المتعاون مع القيادة المصرية في الشام) في الموصل كان يمثل خطراً كبيراً على الوجود العثماني في العراق.

وكان تدهور مكانة "شمر الجربا" بعد هزيمتها أمام عنزه من العوامل التي مكنت القيادة العثمانية من توجيه ضربات قاصمة إلى الحليفين الكبيرين "يحيى الجليلي" والي الموصل الميال إلى المصريين، وصفوق المتعاون معهم كذلك. [3]

---

(١) فريزر ، ص ١٣٤

(٢) يتضح هذا من أن عشائر عنزه سرعان ما رفعت حصارها عن بغداد رغم انتصارها في تلك المعركة انظر: Lorimer: Gazetteer of the Persian Gulf, vol. I, PartI, pp. 1317-1318

(٣) Taylor to Secret Committee, September5, 1834, Ist November 1834 (India Office Records, Factory Records, Persia and Persian Gulf, vol. 51, pp. 1-3, 420, 547-555).

وكان طرد "يحيى الجليلي" من الموصل وطرد القوى العراقية الميالة إلى المصريين أو اتهمت بالميل إليهم من أمثال أمير راوندوز (محمد بك) في شمال العراق يتطلب التخلص من صفوق أولاً: وكانت فكرة التخلص من هذه الزعامات تدرس بعناية وعلى أعلى المستويات. فقد كانت السلطات الإنجليزية الدبلوماسية وغير الدبلوماسية تبذل جهوداً واسعة لتقوية جانب الحكومة العثمانية في العراق، والقضاء على القوى المؤيدة للمصريين.

وكان هناك طريقان للتخلص من صفوق :

١ ـ إرسال حملة كبيرة ضد عشائر شمر الجربا وإنزال الضربات المتتالية بها حتى ترغم على الخضوع لأوامر الحكومة وحتى تضطر إلى تسليم صفوق إلى والي بغداد تمهيداً لإسناد المشيخة لزعيم متفاهم مع الحكومة.

٢ ـ تدبير مؤامرة توقع بصفوق في قبضة رجال الحكومة.

لقد كان الطريق الأول وعراً وغير معروف النتائج حيث أن الحكومة منذ زمن بعيد فشلت في السيطرة عسكرياً على أية عشيرة بدوية، وكانت الحملات الحكومية ضد العشائر الكبرى لا تنتهي إلى إنتصار حاسم وغالباً ما كانت تنتهي بتفاهم بين الطرفين على أساس أن يتنازل كل طرف عن بعض إدعاءاته أو مطالبه. ولكن هذه الظروف الجديدة لم تكن تجدي معها الحلول الوسط، حيث أن وجود صفوق على رأس عشائر شمر الجربا كان كفيلاً بأن يجعل حكومة بغداد في انزعاج دائم من وقوع تعاون بين صفوق والقيادة المصرية في الشام ضد القوات العثمانية في العراق.

لقد كان "علي رضا" يدرك أنه من الضروري أن يتخلص من صفوق

بالذات على اعتبار أن غيره من آل محمد (مشايخ شمر الجربا) ليس على كفاءته أو قدرته في التفاهم مع القيادة المصرية في الشام. وحيث أن طريق القوة كان لا يحقق أهداف على رضا فقد عمد إلى أسلوب الخديعة والتآمر. وهو أسلوب مهر فيه علي رضا إلى حد كبير، واستطاع بواسطته أن يحقق نتائج هامة ما كانت الدولة تستطيع أن تحققها إلا بنفقات مالية كبيرة وإلا بإسالة دماء غزيرة.

كان القبض على كل من "صفوق الفارس" و"محمد بك" صورتين من صور تلك المؤامرات الناجحة التي يدبرها "علي رضا" ضد القوى الوطنية. فقد أعلن " علي باشا رضا" أنه سيخلع على صفوق في حفلة تقام خصيصاً لذلك. وكان صفوق في موقف لا يحسد عليه وفي حاجة إلى أن يتعاون مع حكومة بغداد إذا أراد ان يستعيد مكانته وأن يداوي جراح عشيرته وأن يعيد إلى العشيرة تماسكها، فقبل صفوق الدعوة، وما أن ذهب إلى مقر الحفلة حتى ألقى القبض عليه .

لقد كان القبض على صفوق حلقة من سلسلة من المؤامرات التي دبرها "علي رضا" ضد الزعامات العراقية المناوئة له. حيث دبر مؤامرات عديده مشابهة أدت إلى القبض على محمد بك (أمير راوندوز) وعلى عدد من الزعماء الأكراد . وأرسل هؤلاء جميعاً إلى خربوط تحت حراسة مشددة ١٨٣٤ وبعد وقت قصير نفذ حكم الاعدام في محمد باشا، بينما نقل صفوق إلى الآستانة وعاش فيها منفياً هو وابنه فرحان وهنا يجدر بنا أن نتساءل: هل كان للانجليز يد في تلك المؤامرة التي أدت إلى القبض على صفوق؟

إن السبب الذي جعلنا نلقى بهذا التساؤل هو أنه كانت للدبلوماسي الإنجليزي النشط ريتشارد وود Richard Wood دور كبير في إقناع محمد بك

بالإستسلام للعثمانيين وبعدم التمادي في الثورة ضد السلطان العثماني. وكان هدف الإنجليز من وراء ذلك هو تقوية قبضة الحكومة العثمانية على ماتحت يدها حتى تستطيع أن تركز جهودها بعد ذلك ضد الوجود المصري في الشام وشبه الجزيرة العربية وحتى يصبح ظهرها آمناً عندما يشتبك الجيش العثماني مع الجيش المصري في الشام في الجولة التالية المنتظرة.

ولقد كانت لدى الإنجليز مصلحة كبرى في شد أزر الدولة العثمانية ضد الوجود المصري في الشام أو في شبه الجزيرة العربية ولهذا كانت السلطات البريطانية معنية كل العناية بأن يكون ظهر الجيش آمناً عندما يخوض المعركة المقبلة ضد المصريين في الشام، هذا فضلاً عن أن تقوية قبضة الحكومة على عشائر شمر الجربا بالذات يعين الإنجليز على تنفيذ مشروعهم الكبير بشأن استخدام العراق كطريق قصير للمواصلات بين الشرق والغرب بواسطة تشغيل خط بواخر بين الموانىء الإنجليزية والساحل السوري، وبين أعالي نهر الفرات والخليج العربي والهند.

والملاحظ أن الإنجليز ركزوا في ذلك الوقت عنايتهم بشدة على طريق العراق بين الشرق والغرب، واتجهت الحكومة الإنجليزية إدخال مشروعهم إلى حيز التنفيذ في أعقاب التوسع المصري في الشام، حيث أن هذا التوسع قد أدى إلى أن أصبح طريقاً للمواصلات بين الشرق والغرب عبر كل من العراق ومصر تحت سيطرة حكومة القاهرة . ومن ناحية أخرى كان المشروع الإنجليزي لربط الشرق بالغرب ـ بواسطة خط بواخر يعمل في نهر الفرات ـ لا يخدم هذه الأهداف فقط بل كذلك كان يمكن الإنجليز من التصدي لأية قوة مصرية تحاول عبور نهر الفرات إلى العراق حيث أن البواخر التي كانت معدة للعمل في نهر الفرات كانت بواخر مسلحة .

وكان تنفيذ كل تلك المشروعات والأهداف الإنجليزية يتطلب الوصول إلى تفاهم مع العشائر الكبرى المسيطرة على الطريق بين الساحل السوري ونهر الفرات، حيث وضعت الخطة على أساس إرسال بواخر مفككة من إنجلترا إلى الساحل السوري ومنه إلى نهر الفرات. وهذه العملية لا يمكن لها أن تتم بنجاح إلا بعد الوصول إلى تفاهم مع عشائر شمر، وكذلك مع عشائر عنزة .

ولهذا ، عندما اقترب موعد إرسال الباخرتين - المعدّتين للعمل في نهر الفرات - إلى العراق، أرسلت السلطات الانجليزية إلى العراق اثنين من رجالها العارفين بطبائع العشائر وهما كريستيان رسام (C. Rassam)[1] ، والمستر إليوت (Eliot) ، الذي قال عنه قائد البعثة المكلفة باستخدام الباخرتين في نهر الفرات أنه ينحدر من سلالة عربية [2].

كل هذه الإستعدادات تؤكد لنا أن الإنجليز كانوا يفضلون وجود شيخ ضعيف في مشيخة شمر الجربا، ومن ثم كان القبض على صفوق على هوى الانجليز لأنه يزيح عن طريقهم زعيماً صعب المراس قادراً على تهديد مشروعاتهم بخطورة . فقد كان الانجليز في حاجة إلى تفاهم أكيد أيضاً مع عشائر عنزه حيث أن الهدوء بين هذه العشائر من جهة وعشائر شمر الجربا من جهة أخرى كان أمراً ضرورياً كل الضرورة لنجاح المشروعات الملاحية في الفرات.

فهل كان من الممكن للإنجليز أن يتوصلوا إلى إتفاق ترضى عنه هاتين العشيرتين المتعاديتين ؟

لقد كان ذلك عسيراً، وكان وجود صفوق في المشيخة يجعل هذا الأمر

---

(١) مسيحي عراقي سيصبح بعد ذلك وكيلاً سياسياً للإنجليز في الموصل من ١٨٣٩ ، ١٨٧٢

(٢) F. R. Cheaney: Narrative of the Euphrates Expedition, London, 1856, pp. 239-241

أكثر تعقيداً وصعوبة. أما وجود شيخ آخر مكانه، يكون أقل شهرة منه ويكون أكثر ليونه ، فإنه يمهد الطرق بسهولة أمام الانجليز. ولقد كان المرشح الجديد لمشيخة شمر، على هذه الصفات التي أرادها الانجليز، ولعل هذا يفسر لنا نجاح المفاوضات التي دارت بين المسئولين الانجليز توصلوا إلى اتفاق يكمل لهم التنقل بين الساحل السوري ونهر الفرات دون أن يتعرضوا لأية هجمات من جانب العشائر. (١)

حقيقة أدى إبعاد صفوق عن العراق إلى تقوية السيطرة العثمانية عن ذى قبل في منطقة الجزيرة العراقية وإلى تحويل الموصل (بعد طرد يحيى الجليلي منها) إلى قاعدة عثمانية هجومية ضد الوجود المصري في الشام. ولكن ذلك الأسلوب الذي اتبع في القبض على صفوق كان ممقوتاً جداً لدى أهل العراق. علاوة عن أنه أسلوب مكروه بصفة عامة.

فمما لا شك فيه أن تلك الأساليب التآمرية في القبض على الزعامات الوطنية كانت تعطى الحكومة العثمانية سيطرة مؤقتة ونصراً مظهرياً. فالملاحظ أنه عندما تقع أزمة بين الناس والحكومة سرعان ما تستعيد ذاكرة الناس تلك الأساليب التآمرية التي اتبعتها الحكومة العثمانية ويكون ذلك مبرراً للتمرد والثورة واستخدام أساليب مماثلة ضد الحكومة نفسها.

وبالنسبة للعشائر العربية بالذات كان القبض على شيخها بمثل هذه الأساليب التآمرية يعتبر سقطة الحكومة لا يمكن أن يفتقر، ولا يمكن أن تكسب - حكومة هذه أساليبها - ثقة واحترام العشائر. وهذا يفسر لنا موقف عشائر شمر الجربا بعد إعتقال صفوق. فقد ظلت عشائره ثائرة على الحكومة، ولم يستطع الشيخ (٢) - الذي عينه "علي رضا" خلفاً لصفوق - أن يثبت أقدامه في

(١) Palmerston to Ponsinby, July 28, 1936, No. 63, F. O. 195 / 130

(٢) لم نستطع تحديد اسمه لعدم وروده في المراجع ولقصر فترة حكمه ولطغيان تاريخ صفوق عليه.

المشيخة، بل لقد أصبح صفوق بطلاً من أبطال العرب الذي لا يعرف الخداع ويشق طريقه بحد السيف بينما أصبح الأتراك العثمانيون مجرد شرذمة من الحكام الأتراك المستبدين الذين لا يرعون الدين أو الخلق أو العهد، فكانت هذه الأمور عاملاً هاماً في توسيع الشقة بين الأتراك والعرب. (١)

ولكن نلاحظ أنه بينما صدر حكم الأعدام ضد محمد بك (أمير راوندوز) ونفذ فيه بسرعة (٢)، نجد صفوق يرسل هو وابنه فرحان إلى الآستانة ليعيشا هناك في المنفى زهاء ثلاث سنوات. حقيقة كانت إقامتهما محددة إلا أنهما كانا يتمتعان برعاية خاصة من جانب المسئولين هناك.

ولا شك أن هذا الاختلاف في المعاملة، كانت تتحكم فيه ظروف ذلك الوقت. وكانت ظروف جد عصبيةسواء بالنسبة للعثمانيين أو العشائر العربية أو العشائر الكردية. فقد أصبحت لدى العثمانيين حساسية شديدة ضد كل زعيم يتهم بالتعاون مع القيادة المصرية في الشام. ولكنهم إلى جانب هذا كانوا في حاجة ماسة إلى كل من يقدم معونة لهم ضد الوجود المصري في الشام. وفي هذا المجال اختلفت مكانة صفوق لدى العثمانيين عن مكانة محمد بك لديهم.

حقيقة كان محمد بك أميراً قوي الشكيمة حتى لقد كاد أن يسيطر على شمال العراق خلال العشرينات من القرن التاسع، إلا أن فرص إتصاله بالقيادة المصرية في الشام أصبحت قليلةجداً بعد أن أصبحت الموصل قاعدة عثمانية بعد طرد يحيى الجليلي منها، ومن ثم كان إعدام محمد بك يعنى أن أقوى شخصية في ديار الكرد قد سقطت وأنه على بقية الأمراء والزعماء الأكراد الآخرين أن يخضعوا للسلطان العثماني. ولقد كان في استطاعة العثمانيين أن يسيطروا على الأمارات الكردية إذا ما وضعوا أيديهم على مقر الإمارة الكردية.

---

(١) Ainsworth: A Personal Narrative of the Euphrates Expedition, vol. II, p. 319 .

(٢) محفظة عابدين ، ٢٥٦ - ٢ في ٣ محرم ١٢٥٤ / ٣١ مارس ١٨٣٨ ن محفظة ٢٥٦ عابدين ٢٥٦ - ٢ في ٢١ محرم ١٢٥٤ / ١٨ أبريل ١٨٣٨ .

ومن ناحية أخرى لم يكن لدى الحكومة العثمانية نية إستخدام القوات الكردية ضد المصريين في الشام، ومن ثم لم تكن هناك حاجة ماسة إلى وجود زعيم قوي كردي ليتولى قيادة قواته إلى الشام. (١)

أما بالنسبة لعشائر شمر الجربا فالموقف كان يختلف . فقد كانت الحكومة العثمانية في حاجة ماسة إلى القوات العشائرية الشمرية، ومن ثم كان على العثمانيين أن يعملوا على كسبها إلى جانبهم، ولو حدث أن أعدموا شيخها صفوق فإن ذلك سيؤدي إلى عداء مستحكم يمنع من قيام تعاون قوي بينها وبين الحكومة. أما إذا أبقى على حياته، وأعيد إلى منصبه فالآمال في أن يخدم السلطان تصبح محتملة التحقيق.

وترجع قيمة عشائر شمر الجربا أيضاً إلى أن اتصالاتها بالقيادة المصرية يمكن أن تكون مباشرة حيث أن الجزيرة العراقية تربط بين العراق والشام. ومن ثم كان على العثمانيين ألا يثيروا حفيظة هذه العشائر في هذه الظروف حتى لا تنضم عشائر شمر بأسرها إلى المصريين. وحيث أنه كان من المتعذر على الحكومة العثمانية أن توجه ضربة حاسمة إلى شمر الجربا ـ على شاكلة تلك الضربة التي وجهتها إلى محمد بك أمير راوندوز ـ فإن إعدام صفوق كان سيعود بالمشكلات المعقدة وبالتالي يكون تجنب إعدامه خير للحكومة العثمانية من تنفيذه فيه.

ومن ناحية أخرى كان صفوق أكثر إدراكاً لمشكلات المنطقة من غيره من شيوخ العشائر، ومن ثم كان كسبه إلى جانب السلطان يعطى الحكومة العثمانية إمكانات كبيرة سواء من حيث الدفاع عن العراق او الهجوم على الشام.

---

(١) تجدر الإشارة هنا إلى أن الأكراد لم يكونوا متحمسين للانتقال إلى ميادين حرب بعيدة عن مواطنهم.

وإذا مانجح العثمانيون في كسبه إلى جانبهم، وفي خوض المعركة المقبلة في صف الجيش العثماني، فإن النفقات التي ستنفقها عليه الحكومة ستكون قليلة حيث أن العشائر تتكفل بنفقات تحركاتها خاصة وأن ميدان المعركة المتوقعة ليس ببعيد جداً عن الجزيرةالعراقية.

وكان المسئولون العثمانيون يعتقدون أن إقامة صفوق فترة مناسبة في العاصمة العثمانية (الآستانة) ومشاهدته لروائعها، وزيارته للسراي السلطاني الفخم سيغير من نظرته نحو الأتراك العثمانيين ولهذا كان من الأمور التي عنى بها المسئولون الأتراك أن يرى صفوق ما يجعله يحترم الدولة العثمانية ويشعره بعظمتها واتساع ثرائها وقدراتها، وأن يلقوا في قلبه الخضوع المطلق للسلطان العثماني. ولقد كان من بين الجهات التي قام صفوق بزيارتها السراي السلطاني نفسه. وعندما يتلفت يميناً ويساراً على عادة البدوي عندما يؤخذ بمثل هذه المظاهر، وكان ذلك من دواعي اشمئزاز كبار رجال السراي. ولكنهم أخفوا امتعاضهم ، لأنهم كانوا يسعون إلى كسب ثقته.

ويبدو أن مناقشات عديدة دارت بين صفوق والمسئولين العثمانيين بشأن موقفه في المستقبل من الصراع العثماني المصري. فقد أفرج عنه العثمانيون قبيل وقوع معركة نزيب ١٨٣٩ وأعادوا إليه المشيخة. وقام هو من جانبه بإعداد رجاله للمشاركة في المعركة المقبلة.

والمعروف أنه في أوائل ١٨٣٩ كان الجيش العثماني قد أخذ يتحرش بالقوات المصرية في شمال الشام حتى عبرت القوات العثمانية نهر الفرات، وأصبح من الضروري خوض معركة حاسمة بين الطرفين. فكان من الطبيعي أن تراقب القيادة المصرية كل تلك التحركات وغيرها من التحركات التي قد تهدد الجيش المصري في الشام. وكان التهديد الموجه إلى المصريين من جانب العراق

قوياً. فقد كان والي الموصل العثماني (محمد إينجه بيرقدار) على رأس بعض الكتائب التي عبرت نهر الفرات إلى ضفته الغربية، كما كانت هناك الشائعات القوية التي تردد أن "علي باشا رضا" سيقود قوة كبيرة ليشترك بها مع الجيش العثماني الرئيسي الذي كان بقيادة حافظ باشا.

وجاءت الأنباء إلى القيادة المصرية أيضاً بأن عشائر شمر الجربا بقيادة صفوق ستنتشر على طول المنطقة الممتدة بين حماه ودير الزور ولو ألقينا نظرة سريعة على هذه المنطقة- التي قيل أن صفوق سيتولى أمرها - لوجدناها تلائم حرب الصحراء التي كانت تتقنها تلك العشائر العربية. وأغلب الظن أن الخطة العثمانية وضعت على أساس أن تعمل العشائر العربية وراء خطوط مواصلات الجيش المصري منطلقة من قواعدها الصحراوية .

ويبدو أن القيادة العثمانية كانت قد عولت كثيراً على ما سيقدمه صفوق من مجهودات عسكرية، حيث أن حافظ باشا - القائد العام للجيش العثماني - بعث ابنه ليكون مع صفوق في تلك الجهات .

وتشير التقارير العديدة التي تلقيها القيادة المصرية عن تحركات قوات شمر إلى أن هذه القيادة كانت قد أولت عناية كبيرة جداً لتحركات هذه العشائر، وهذا يرجع إلى أن عيون المصريين في العراق كتبوا يقولون أن هذه القوات الشمرية هي أخطر ما في العراق من القوات الضاربة. وأن ما لدى "علي باشا رضا" والي بغداد من قوات ليست سوى قوات من المرتزقة (الباشيورق). أما عشائر شمر الجربا فكانت كثيرةالعدد سريعة الحركة قادرة على إنزال خسائر كبيرة بالقوات المصرية في وسط الشام، في الوقت الذي يكون فيه الجيش المصري منشغلاً في المعركة وقد وصفت القيادة المصرية خطورة التحركات

الشمرية بشكل دقيق عندما قالت أن تلك العشائر لو انطلقت من نهر الفرات صوب الشام فإنها ستحول المنطقة الممتدة "من المعرة إلى الشام خراباً بلقعاً "(١).

ولقد كان انتقال القوات الشمرية من الجزيرة العراقية إلى ضفاف نهر الفرات أمراً يسيراً حيث أنها كانت تسير في طرق صحراوية اعتادت على مثيلاتها. ولكن لكي تنتقل هذه القوات إلى الضفة الغربية عبر نهر الفرات كان لا بد لها من استخدام عدد من السفن . فطلب صفوق من حافظ باشا- قائد عام القوات العثمانية - أن يزوده بالسفن اللازمة لنقل قواته. ولكن اعتذر له حافظ باشا بأن جميع السفن التي كانت تحت يده منهمكة في نقل الجيش الرئيسي من ضفة نهر الفرات الشرقية إلى ضفته الغربية. فاضطر إلى الانتظار بعض الوقت حتى يتمكن من تعدية قواته. (٢)

كان على القيادة المصرية في الشام أن تواجه قوات شمر الجربا بقوة كافية لردها إذا هاجمت منطقة حماه. وكان في حماة حينذاك الآلبين من الفرسان. وبسبب توقع هجوم شمري على حماة فقد تقرر عدم اشتراك هذين الآلايين في المعركة المقبلة. بل صدرت إليهما الوامر بعدم التحرك من حماه والدفاع عنها.

وبعد دراسة أخرى للامكانيات الدفاعية المصرية ضد القوات العشائرية الشمرية وجد القائد العام للجيش المصري (ابراهيم باشا) أن هذين الآلايين لا يكفيان لصد هجوم كبير شمري. فطلب إبراهيم باشا من أخيه "عباس باشا" أن يبعث إليه من مصر بالآلايين الرابع والعشرين والحادي والثلاثين وبطاريتيّ مدافع وبعض القوات العشائرية. ويبدو أن إبراهيم كان يرى أن الدفاع عن حماه يجب أن يكون بالقوات النظامية. وإما قتال شمر في الصحراء أو مطاردتها ليس

(١) من ابراهيم إلى عباس ١٥ صفر ١٨٣٩/١٢٥٥ م، محفظة ٢٥٧ عابدين، وثيقة تركية - ١
(٢) من محمد مجوني في ٢٠ صفر ١١٥٥هـ ، محفظة ٢٥٧ عابدين ، وثيقة - ١ .

في مقدور هذه القوات النظامية وإنما يجب أن تقوم به قوات بدوية مهدت في حرب الصحراء على شاكلة شمر الجربا نفسها.

ولكن تبين أن سحب هذين الآلايين من مصر يعني تجريدها من قوة دفاعية لازمة لمواجهة الطوارىء. ولا شك أن تجريد مصر من قوة عسكرية دفاعية منظمة يعنى تعريض قلب البلاد المصرية لخطر داهم لو حدث ونزلت قوات معادية إليها، ومع هذا وجد "إبراهيم" أن ظروف المعركة المقبلة ، وتهديد شمر لحماة يقتضي إرسال هذين الآلالين وبطاريتيّ مدافع إلى الشام على أن تدبر حكومة القاهرة قوات جديدة للدفاع عن مصر عند الحاجة إلى ذلك. ولهذا اقترح ابراهيم تسليح عمال الورش بالبنادق وتدريبهم على الأعمال العسكرية(١).

وحيث أن التقارير الواردة إلى القيادة المصرية عن تحركات "شمر الجربا" كانت مضطربة ، وكانت هناك إشاعات عن أن صفوق قد لا يشترك في المعركة المقبلة فإن المسئولين في القاهرة تباطأوا في إرسال القوات التي طلبها ابراهيم. ولكن لم تلبث التقارير أن أكدت أن صفوق عبر نهر الفرات بقواته صوب نزيب. وأصبح على المسئولين في القاهرة تدارك الأمر بسرعة، فأرسلوا على جناح السرعة الآلاي (الحادي والثلاثين) إلى الشام ومعه بطاريتيّ مدافع وقوات عشائرية مصرية (٢).

وعلى أي حال، كانت عشائر شمر الجربا أداة من أدوات تشتيت المجهودات الحربية المصرية، ولكن المعركة الحاسمة التي كانت ستقرر مصير المنطقة هي تلك التي كان يستعد لها الجيشان المصري والعثماني بالقرب من نزيب. ولقد دارت المعركة فعلاً في ٩ يونيو ١٨٣٩ وانتهت المعركة باندحار شامل للجيش العثماني.

---

(١) من إبراهيم إلى عباس: ١٥ صفر ١٨٣٩/١٢٥٥ ، محفظة ٢٥٧ عابدين وثيقة ـ ١
(٢) محفظة ٢٥٧ عابدين وثيقة ـ ١٢ ، من المعية إلى السر عسكر ١٩ ربيع الأول

وخلال هذه المعركة كانت عشائر "شمر الجربا" قد أصبحت على مقربة منها. وشاهد رجال شمر كيف نزلت الهزيمة الحاسمة بالعثمانيين. وأغلب الظن أن صفوق لم يلق بقواته في المعركة ولكن موقفه بعدها أصبح حرجاً، فهو من وجهة نظر القيادة المصرية المنتصرة كان مع جيش العدو. ومن ثم فيجب مطاردته هوالاخر. وفعلاً وجهت القيادة المصرية ضد شمر قوة من العشائر التي جاءت من مصر لغرض مقاتلة العشائر الموالية للعثمانيين. وكان صفوق قد أدرك أن لا قبل له بالتصدي للجيش المصري المنتصر، فانسحب بقواته مسرعاً تاركاً دواب عشيرته لدى بعض العشائر المخلصة له [1]. ولما لم تجد القوات المصرية أثراً لعشائر شمر الجربا أنزلت العقاب بالعشائر التي أخفت دواب شمر لديها [2] وكان طبيعياً أن تكون المطاردة محدودة الأهداف حيث أن الحكومة المصرية كانت لا تفكر في مد سيطرتها على العراق.

وتعتبر الفترة الواقعة بين ١٨٣٩ - ١٩٤٢ فترة تحول خطيرة في تاريخ المشرق العربي. فقد أدت هزيمة العثمانيين في نزيب إلى إقناع الحكومة العثمانية بأنها لن تستطيع التغلب على المصريين إلا بالتعاون مع القوى الأوربية الكبرى. وكانت انجلترا مستعدة للتدخل لصالح السلطان العثماني وضد مصالح مصر الفتية حتى تضمن انجلترا لنفسها اليد العليا في المشرق العربي. وفعلاً دخلت الدول الكبرى - بتوجيه من انجلترا - وفرضت على مصر الإنسحاب من الشام ومن شبه الجزيرة العربية .

وترتب عن إنسحاب المصريين من المشرق العربي أن تفرغت الحكومة العثمانية - إلى حد كبير لتحقيق سيطرتها على ولاياتها العربية عن طريق القضاء

(١) من محمد معجوني إلى إبراهيم باشا ٢٩ جمادى الثانية ١٢٥٥هـ / ٩ سبتمبر ١٩٣٩ محفظة ٢٥٨ عابدين ص ١ .

(٢) من إبراهيم إلى محمد معجون : ٧ رجب ١٢٥٥/ ١٧ سبتمبر ١٨٣٩ ، محفظة ٢٥٨ عابدين ص ١٤ .

على العصبيات المحلية فيها. وقد تولي تنفيذ هذه السياسة في العراق نجيب باشا والي بغداد الذي خلف علي باشا رضا في عام ١٨٤٢ م . واستمر في منصبه حتى عام ١٨٤٧ .

ولقد كانت الظروف تضع كلا من نجيب وصفوق على طرفي نقيض. فقد كان نجيب باشا يسعى إلى القضاء على العصبيات المحلية بينما كان صفوق - منذ هزيمة العثمانيين في نزيب - يستخف بهم ثائراً عليهم . وكان من المنتظران يوجه نجيب باشا جهده ضد صفوق ولكن نجده على العكس من ذلك. ففي الوقت الذي أقدم فيه نجيب باشا على إعدام سليمان الغنام - شيخ عشائر العقيل - نجده يحاول أن يحسن من علاقاته مع صفوق . ويبدو أن نجيب باشا كان قد أضمر في نفسه القضاء على صفوق ولكنه آثر أن يخفي أهدافه هذه إلى أن تحين الفرصة ولهذا أعاد صفوق إلى مشيخة الجربا وخلع عليه .

ويبدو أن صفوق أعتقد أنه يستطيع الحصول على إمتيازات جديدة من نجيب باشا في مثل هذه الظروف . وفعلاً طلب صفوق ذلك منه. ولكنه وسط الوكيل السياسي الإنجليزي في بغداد الميجور روبرت تيلر.. R. Taylo لدى نجيب باشا من أجل الحصول على طلباته .

ومع أننا لا ندري هل نجح روبرت تيلر في وساطته أم لا، فإنه مما لا شك فيه أن هذه الوساطة أساءت إلى صفوق ، فقد كان الولاة العثمانيون سيئوا الظن بتلك العلاقات الودية التي كانت بين الدبلوماسيين الإنجليز والزعامات المحلية.(١)

---

(١) زادت هذه الظاهرة بوضوح في القرن التاسع عشر. ومن ذلك أن ناصر السعدون - شيخ عشائر المنتفق - أن يقبل دعوة نامق باشا له إلا بعد أن حصل على تأكيد بسلامته من القنصل الانجليزي في بغداد. كذلك وسط "مطلق آل كريدي" - شيخ عشائر الخزاعل - القنصل العام الفرنسي في بغداد ليشرح قضيته ليصفي المشاكل بينه وبين والي بغداد .

ويبدو ان نجيب باشا كان يدبر المتاعب لصفوق ومن جهة اخرى كانت أحوال صفوق نفسه في تدهور مستمر منذ مجيء نجيب باشا إلى العراق فقد ظهر منافس خطير لصفوق في شخص "نجرس بن زيدان" المطالب بالمشيخة. وكثيراً ما واجه صفوق مثل هذه المواقف، ولكنه في هذه المرة كان يبدو ضعيف الجانب أمام خصمه "نجرس" الذي استطاع أن يكسب إلى صفه قسماً كبيراً من العشائر.

وخلال هذه الأزمة بدا واضحاً ان صفوق في حاجة إلى قوة تشد أزره لكي يستعيد سيطرته الكاملة على عشائره. ويبدو أن صفوق وجد أنه لو قدم خدمات لنجيب باشا ربما استطاع أن يستعيد قوته وانفرد بالمشيخة. ولهذا أبدى صفوق استعداده لمساعدة نجيب باشا في صد عشائر عنزه التي هبطت الجزيرة العراقية غازية ناهبة. ولكن نجيب باشا فضل أن يواجه عنزه بإمكانياته هو وبقوة العشائر البدوية الموالية له حتى لا يمكن صفوق من استعادة تفوقه وقوته .

ولقد زاد موقف صفوق بعد ذلك تدهوراً بسبب بعض الأمور التي كانت خارج إرادته. فقد ضعفت الطبيعة على مراعي شمر بالأمطار لمدة عامين متتاليين حتى لقد أصبح صفوق نفسه في عوز شديد لدرجة أنه اضطر إلى بيع "خلخال" زوجته [١] في الموصل ليشتري به قمحاً .

ووجد نجيب باشا في هذه الظروف فرصة مواتية لإرهاق آل محمد (البيت الحاكم في شمر الجربا) إرهاقاً قد يمهد للقضاء على صفوق. فقد كان المعتاد أن يتخذ الوالي جانب أحد المتنافسين على المشيخة، ولكن نجيب باشا لم يأخذ جانب صفوق ولا جانب نجرس وإنما أسند مشيخة شمر الجربا إلى فرحان بن صفوق، وأخذ نجرس يحث فرحان على أن يثبت مقدرته على الوقوف على

---

(١) من عادة فتيات وسيدات العراق لبس الخلخال الذهبي ويسمى في العراق (حجل ، حجول)

قدميه في مواجهه كل من ابيه صفوق وعمه نجرس. ولكن "فرحان " لم يسر في هذا الطريق الذي رسمه نجيب باشا له. وظل مخلصاً لأبيه ولفكرة وحدة العشيرة تحت زعامة صفوق. بل لقد حاول "فرحان" أن يصفي المشاكل التي كانت بين صفوق "ونجرس" حفاظاً على كيان البيت الحاكم وعلى كيان العشائر الشمرية ويبدو أن صفوق وجد في هذا المسعى الحميد فرصة لتحقيق أهدافه :

فقد وجه "صفوق " دعوة " لنجرس" لعقد اجتماع كبير لشيوخ عشائر شمر لتصفية الضغائن ولكن نجرس رفض قبول الدعوة لأنه كان يدرك أن "صفوق" مستعد لأن يقدم على اي عمل طائش في سبيل استعادة انفراده بالمشيخة. ولكن صفوق أصر على أن يكرر الدعوة إليه، وبعث بابنه فرحان ليطمئنه وليزيل ما لديه من مخاوف.

ولقد كان "فرحان" يخشى أن يحنث أبوه بوعوده، وأن يغدر "بنجرس" فيحمله وزر هذه الوساطة. ولذلك أخذ "فرحان" العهود على أبيه بألا يصيب نجرس بأي أذى إذا ما حضر الأخير في صحبته. وعلى هذا الأساس ذهب "نجرس" مع فرحان إلى الاجتماع، ودخل خيمة صفوق، وجلس الرجلان كل بجانب الآخر. وبعد فترة وجيزة استل صفوق سيفه وقتل نجرس رغم توسلات فرحان .

لقد كان صفوق يعتقد أنه بقتل نجرس ـ مهما كانت الوسيلة ـ يستطيع أن يستعيد السيطرة الكاملة على عشائر شمر الجربا. ولكن ذلك الغدر لم يكن مقبولاً لدى العشائر البدوية الأمر الذي أدى إلى زيادة ضعف مكانة صفوق عن ذي قبل. وأخذت العشائر الشمرية تنحاز إلى مطالب جديدة بالمشيخة هو "عيوضة" الذي ثبت أقدامه في نواحي سنجار وشمال العراق.

وعندما علم نجيب باشا ـ والي بغداد ـ بما أقدم عليه صفوق نحو نجرس لم يلق اللوم على صفوق، وقبل من صفوق أعذاره ومبرراته، بل وثبته في المشيخة، وأردف ذلك بأن أرسل إليه قوة عسكرية حكومية تحت قيادة "إبراهيم أغا".

لقد كان نجيب باشا يلعب لعبة كبيرة. واختياره إبراهيم أغا بالذات ليتولى قيادة القوات الحكومية الذاهبة لصفوق كان الخطوة الأولى في تنفيذ مؤامرة مدروسة ضد صفوق [1] فقد كان "إبراهيم أغا" هذا ضابطاً من ضباط (الهاتيا). وكان "إبراهيم أغا" شركسياً مسيحياً ثم أسلم واشتهر بتنفيذ مؤامرات ناجحة ضد الزعماء الوطنيين الثائرين على السلطان العثماني وكان الرجل ماهراً في التخلص من هؤلاء الزعماء بطريقته الخاصة. فكان يحتال بطريقة أو بأخرى لكي يصل إلى مجلس الأمير الثائر، ثم ينقض عليه فيصرعه بضربة من سيفه تقضى عليه أو بإطلاق الرصاص عليه فينتهي أمره في سرعة خاطفة، ثم يعلن أن ذلك كان بأمر السلطان العثماني، ويأخذ رأس الضحية وينصرف بها إلى المسئولين العثمانيين الذين كانوا ينتظرون نجاح مهمته. وهذا ما فعله مع شيخ "زاخو" [2].

تلك كانت مهارات "إبراهيم أغا" وذلك كان تاريخه، ويبدو أن صفوق لم يكن يعرف عنه شيئاً حيث أنه قد عزم على الاعتماد عليه في بعض العمليات العسكرية بينما كان " إبراهيم " خلال وجوده لدى صفوق يتحين الفرص المناسبة لتنفيذ المؤامرة.

وجاءت هذه الفرصة عندما اشتبكت قوات صفوق ـ بقيادة إبنه فرحان ـ مع عشيرة ثائرة. وعندما ابتعد فرحان بقواته، انقض "إبراهيم أغا" على صفوق فصرعه وقطع رأسه وأخذها معه إلى بغداد. وهكذا كانت نهاية "سلطان البر" [3].

---

(١) Layard: Nineveh and its Remains, vol. I, p. 114

(٢) أصبحت زاخو (في شمال العراق) منذ ذلك الوقت تحت الحكم المباشر العثماني.

(٣) Layard : Nineveh and its Remains, vol. I , p. 114

ويجدر بنا هنا أن نقيّم أعمال صفوق: هل كانت كل تلك الحركات الكبرى التي قام بها صفوق من أجله هو فقط ومن أجل مصلحته الشخصية أم أنها كانت أيضاً من أجل عشيرته ورفع شأنها بين مختلف العشائر؟كما نتساءل أيضاً: ألم يكن صفوق أبعد هدفاً وأعمق فكرة عندما دافع عن العراق ضد الفرس، وعندما تعاون مع القيادة المصرية في الشام ضد الحكم العثماني في العراق.

لا شك أن صفوق كان ـ رغم بداوته ـ من معدن فريد بين شيوخ العشائر. وأنه كان واسع الأفق إذا ما قورن بغيره من شيوخ العشائر الآخرين وذلك لطول احتكاكه بالقوى العديدة التي كانت في داخل العراق وخارجه. ولا شك أن صفوق شعر بقيمة العراق له، وقيمته للعراق، وأنه شخصية بذلت الكثير من أجل العراق فيحق لها أن تشارك في أموره وتوجيه سياسته.

ولكن سيطرة الفكر البدوي عليه. وعدم قدرته على الارتفاع (بسبب ذلك) إلى مستويات الدبلوماسية العالمية حينذاك كان يحول دون وصوله إلى مركز كبير في مجالات الحكم والإدارة. ثم إنه كشيخ عشيرة بدوية كان ينظر إليه من جانب أهل المدن بعين الغدر والريبة، لأن البدو بالنسبة لأهل المدن ـ كانوا خطراً داهماً لا يجب أن تفتح المدينة لهم أبوابها وإلا استباحوها.

ولقد كان لصفوق عمليات قاسية ضد بعض المدن العراقية مثل بغداد وتكريت، حتى أن أهل تكريت اضطروا إلى أن يحفروا خندقاً للدفاع عن المدينة ضد هجماته .

ومن ثم لم يكن صفوق يمتلك مقومات الزعيم الوطني القادر على أن يحل محل الحكم العثماني. إلا أن مصرعه على تلك الصورة كان عاملا هاماً جعل صفوق أسطورة البادية، كما أنها عمقت الهوة بين الأتراك وآل محمد (شيوخ شمر الجربا) .

وبعد مصرع صفوق أسند نجيب باشا مشيخة عشائر شمر الجربا إلى عيوضة الذي كان أقوى من نافس صفوق . بينما كان فرحان بن صفوق قد فر من وجه الحكومة حتى لا يلقى نفس مصير أبيه. ولكن سرعان ما غير نجيب باشا رأيه وعزل عيوضة وأسند المشيخة إلى فرحان . وأغلب الظن أن نجيب باشا لم يفعل هذا إلا ليستعيد ثقة عشائر شمر الجربا التي كانت متعلقة بصفوق وبأمجاده رغم أخطائه في أواخر أيامه. ثم أن فرحان نفسه كان صاحب تجارب وخبرات وصفات تجعله جديراً بالمشيخة سواء لدى الحكومة العثمانية أو لدى أهل العشائر أنفسهم.

ففرحان هو أحد أبناء صفوق من زوجته الحضرية. وقد شارك أباه سنوات النفي في الأستانة (١٨٣٤ - ١٨٣٧م). ويبدو أن مظاهر الأبهة والعظمة التي شاهدها في العاصمة العثمانيةجعلته يعتقد أن الدولة العثمانية لا تقهر. ومن ناحية أخرى أعتقد في ضرورة إيجاد أسس قوية للتفاهم بين الحكومة العثمانية في العراق والعشائر البدوية.

والحق، إن أفكار الشيوخ العشائريين في القرن التاسع عشر كان قد أصابها تغير واضح عنها في القرون العثمانية السابقة. فلقد هبت على العراق في القرن التاسع عشر تيارات عديدة قوية كانت تهز أفكار الناس هزاً، وكانت الأزمات الكبرى التي تقع فيها الدولة العثمانية تصل بعض أنبائها إلى العراق وكان ظهور القوى الأوربية بوضوح في الخليج العربي والشام من الأمور التي جعلت من الزعامة الوطنية في الشرق العربي تفيد النظر في أفكارها وإتجاهها. وكانت الدولة العثمانية نفسها تحاول ان تغير من طريقة حكمها ومن أساليب الإدارة لعلها تستطيع أن تصل إلى مستوى العصر.

ولا شك أن التغيرات التي طرأت على الدولة بسبب الإصلاحات

والتنظيمات قد أثرت في أفكار شيوخ العشائر فجعلتهم يختلفون إلى حد ما عن أسلافهم في القرون العثمانية السابقة ويمثل فرحان نموذجاً لهذا النوع الجديد من الشيوخ الذين حاولوا التفاهم مع الحكومةوأن يحافظوا على كيان عشائرهم في آن واحد. فكان طبيعياً أن يجد نفسه في كثير من الأحوال يعيش في متناقضات شديدة ويعانى من إتجاهات متعارضة كل التعارض.

ولقد كان فرحان مخلصاً في أن يأخذ ببعض سياسات الحكومة وخاصة السياسة الهادفة إلى إستقرار العشائر في أرض محددة تقوم فيها بالأعمال الزراعية، فتكف العشائر بالتالي عن عمليات الغزو، وتصبح مصدر إنتاج وعاملاً من عوامل الهدوء في المنطقة. ولقد أدى ذلك إلى أن يزداد التفاهم بين فرحان والحكومة حتى لقد أقدمت الأخيرة على خطوات هامة في هذا الصدد فقد اتفقت الحكومة معه على أن يحصل على مرتب شهري ينفق منه على نفسه وعلى أسرته في مقابل عدم الأقدام على أية تحركات عسكرية ضد العشائر المجاورة وضمان الهدوء في ديرته . ولقد سار هذا التفاهم بين فرحان والحكومة إلى درجات بعيدة . فقد شارك فرحان الحكومة في الضغط على عشيرة حمود - وهي عشيرة شمرية - لإرغامها في رد ما سلبته من أموال الحكومة .

ومن ناحية أخرى طلبت سلطات الآستانة - في محاولاتها للتفاهم مع القوى العشائرية - من والى الموصل أن يبعث ثلاثة من أولاد الأعيان ومن أسرة الجربا الحاكمة ليقيموا في الاستانة وليلحقوا بمدرسة العشائر التي كان الهدف منها ربط شيوخ المستقبل بالولاء للسلطان العثماني.

ولكن المشكلة العويصة هي: هل كانت العشائر الشمرية على استعداد لقبول تلك الاتجاهات التي كانت تعتبر تقدمية إلى درجة كبيرة حينذاك.

والحق، كانت هناك عدة عوامل تحول دون نجاح فرحان في إقناع كل عشائره بالسير في تلك الاتجاهات. وأولى هذه العوامل أن عشائر شمر الجربا

كانت كبيرة العدد، ومراعيها المترامية في الصحراء لا تدخل ضمن الوادي المزروع والمعروف أن العشائر البدوية عرضة في كل وقت لانفصال بعض اجزائها عنها الأمر الذي يجعل موقف شيخ العشيرة حرجاً، حيث أنه يظل مسئولا عن أعمال تلك العشائر رغم انفصالها عن بيت الرئاسة.

ومثل هذه الظروف كفيلة بأن تخلق الزعيم الذي ينافس فرحان ويتطلع إلى المشيخة. ولقد تعرض فرحان لأزمات شديدة من هذا القبيل. فقد اتخذ أخوه نايف طريقاً خاصاً به على رأس بعض العشائر الشمرية مثيراً الفوضى والأزمات ليثبت للحكومة أن فرحان عاجز عن القيام بواجبه كشيخ لعشائر شمر الجربا لعل ذلك يؤدي إلى صدور قرار بعزله. ولكن يبدو أن نايف كان غير قادر على التغلب على فرحان ولا بالقادر على أن يفرض نفسه على الحكومة، فلم تلبث تمرداته إن هدأت بعد وقت قصير [1].

وإذا كانت تمردات "نايف" قليلة الخطر على فرحان أو تماسك عشيرة شمر الجربا، فإن تمردات أخيه الثاني "عبد الكريم" كانت على جانب كبير من الخطورة، حيث أن التنافس بين "فرحان" و "عبد الكريم" لم يكن تنافساً على المشيخة فقط - مثلما كان عليه الحال من قبل - وإنما كان يقوم على أساس اختلاف وجهات النظر. بالنسبة لمستقبل العشيرة، وقد برزت هذه الخلافات بصورة خطيرة عندما تولي مدحت باشا - المصلح التركي المشهور - حكم بغداد، ١٨٦٩ [2].

---

(١) Kemball to Bulwer : No. 2, January 30 . 1861, FO. 195/676

وتجدر الإشارة إلى أن عشائر شمر كانت تتعرض من وقت لآخر لضغط عنيف من جانب عشائر عنزه عدوتها التقليدية ولقد تعرضت شمر الجربا لتعديات عنيفة من جانب عشائر عنزه في ١٨٥٨ في نواحي الموصل. ويبدو أن فرحان طلب من والي بغداد أن يعبر بعشائره إلى ماوراء بغداد، ولكن الوالي رفض لأنه كان يخشى من الفوضى التي ستترتب عن انتقال شمر إلى تلك الجهات، وهذا يدلنا على أن عشائر شمر الجربا تحت قيادة فرحان كانت أضعف شوكة منها عندما كانت تحت قيادة صفوق.

فقد عقد مدحت باشا العزم على أن ينفذ سياسةتؤدي إلى استقرار العشائر في الزراعة. ولهذا عرض على "فرحان" مساحة مناسبة من الأراضي الزراعية لتستقر فيها عشيرته بالقرب من نهر دجلة. وقد قبل فرحان هذا العرض الأمر الذي شجع مدحت على المضي في مشروعه. ولكن قسماً كبيراً من العشائر الشمرية لم يقبل هذه السياسة. فكان ذلك فرصة سانحة لظهور زعامة جديدة تدافع عن وجهة نظر هذه العشائر . وكان عبد الكريم ـ اخو فرحان ـ معترضاً على تلك الاتجاهات.

الحكومية فتزعم عبد الكريم ثورة كبيرة ، ونادى في العرب أن مشروعات مدحت باشا لا تهدف إلا إلى القضاء على تقاليدهم البدوية ـ التي هي خير من أية تقاليد أخرى من وجهة نظره. كما دعا العرب إلى أنه قد آن الأوان لأن يقف العرب وقفة رجل واحد ضد الحكومة التركية. ولقيت نداءاته هذه آذاناً مصغية لدى العشائر التي تمسكت ببداوتها .

وكانت العلاقات الاجتماعية ذات أثر كبير في تصاعد الحركة الثورية التي قام بها عبد الكريم. فقد كان عبد الكريم معتزاً بأن أمه هي عمشة العربية الأصيلة، بينما كان فرحان من زوجة أخرى كانت حضرية. وكان عبد الكريم يفخر بأنه لم يذهب إلى الآستانة ولم يتطبع بطبائع الأتراك. وكان المعروف عن فرحان أنه قد تقلدالرتب العثمانية، كما كان عبد الكريم ينعى على أخيه فرحان أنه كان يأخذ مرتباً شهرياً من الحكومة . ومثل هذه الدعايات تستطيع أن تجذب إليه الأسماع في ذلك المجتمع العشائري حينذاك. ولكنها من ناحية أخرى لا تستطيع أن تكسب كل القلوب، حيث أن الفترة كانت فترة انتقال. وكان الناس يريدون التطور والتقدم وهم عاجزون عنه، وخائفون على تقاليدهم من ذلك التطور والتقدم كانوا معتزين بأنفسهم ويرغبون رغبة صادقة في أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم. ولكنهم أضعف من أن يفرضوا ذلك على الحكومة

العثمانية ذات الإمكانات العسكرية الواسعة. ولهذا انقسمت العشائر الشمرية بشدة على أنفسها ولكن في تردد واضطراب، فلا استطاع فرحان أن يقنع عبد الكريم بخطيء مسعاه، ولا استطاع عبد الكريم أن يقنع فرحان بفكرته. وظل كل منهما متمسكاً بقضيته.

وهناك أسباب أخرى قيل أنها أدت إلى ثورة عبد الكريم ومنها ما ذكره القنصل البريطاني في بغداد هربرت فقد قال إنه كان من المتعارف عليه أن يدفع العقيل - أدلة القوافل العاملة بين العراق والشام - مبلغاً من المال إلى شيوخ شمر لضمان سلامة القوافل أثناء مسيرتها في أراضي شمر. ولكن يبدو أن "العقيل" قدموا المبالغ السنوية لفرحان وليس لعبد الكريم. فانقض عبد الكريم على إحدى القوافل ونهبها بادئاً بذلك ثورته [1].

وقد كان مدحت باشا شديد الحساسية لأي تهديد لطرق المواصلات التجارية بين العراق والشام حيث أنه كان معنياً كل العناية بتأمين هذه المواصلات البرية والنهرية عاملا على رفع العراق إلى المستوى الذي يستطيع به أن ينافس قناة السويس طريق المواصلات العالمية. فلقد أدى افتتاح قناةالسويس في ١٨٦٩ إلى حث الحكومة العثمانية ومدحت باشا إلى العمل على تنشيط التجارة العالمية عبر العراق [2] وهذا لا يتأتى إلا باستتباب الأمن في الطرق الهامة للمواصلات عبر العراق. ومن ثم كانت تحركات عبد الكريم تثير الاضطراب في المشروعات العثمانية.

ومن ناحية أخرى وقعت ثورة عبد الكريم في الوقت الذي كانت فيه القوات العثمانية قد تحركت من العراق للسيطرة على الإحساء [3] فأعلن

(١) حيدر مدحت، تبصره عبرت، ٩٨، يعقوب سركيس، مباحث عراقية جـ ٢، نبذة ٢٧٧.

(٢) انظر تفاصيل هذه الحملة في O.F. ١٩٥/ ٩٤٩ ومجموعة كبيرة من الوثائق المنطقة ٢٧ - الحملة موجودة بمكتبة كلية الآداب بجامعة عين شمس على ميكرو فيلم. وانظر الفصل الحادي عشر من كتابنا "تاريخ العراق الحديث".

مدحت أن عبد الكريم أصبح خارجاً على القانون وأعد العدة لتوجيه ضربة قوية له (١٧ / ٧ / ١٨٧١)، وأعلن عن مكافأة قدرها عشرة آلاف قرش لمن يأتيه بعبد الكريم حياً، وبنصف هذه المكافاة لمن يأتيه به ميتاً .

ويبدو أن الخطوات التي اتخذها مدحت ضد عبد الكريم كانت سريعة المفعول فقد أخذت العشائر تنفض عنه وحتى أصبح من الواضح أنه لا يستطيع الصمود طويلاً أمام قوات الحكومة. ومن ناحية أخرى كان مدحت متمسكاً كل التمسك بتطبيق القانون على عبد الكريم ليكون ذلك عبرة لغيره من الشيوخ الذين يفكرون في التمرد على الحكومة العثمانية.

وبعد وقت قصير وجد عبد الكريم أن بقاءه في العراق يعرضه لخطر داهم فعزم على الرحيل إلى جبل شمر ـ الموطن الأصلي لعشيرته ـ وكان جبل شمر حينذاك تحت حكم آل رشيد. وكان آل رشيد يقدرون تماماً أن الدولة العثمانية عازمة على أن تفرض سيطرتها بقوة على العراق وما جاوره، ويشاهدون عن كثب تدفق القوات العثمانية على الإحساء (١٨٧١) . وكذلك مساعي مدحت لإقصاء البيت السعودي عن الحكم في الإحساء ونجد. ومن ثم كان وقوف آل رشيد بجانب ثورة عبد الكريم أو إيوائهم له قد يعرضهم لنقمة مدحت.

لقد سارع مدحت منذ البداية إلى توجيه تحذير شديد اللهجة إلى آل رشيد طالباً منهم عدم إيواء عبد الكريم إن قدم عليهم. وبهذه الخطوة يكون مدحت قد أحكم الحلقة حول عبد الكريم ومن سوء حظ عبد الكريم أنه أصيب بجرح أضعف من قدراته على الحركة وأخيراً وقع في يد ناصر السعدون ـ شيخ عشائر المنتفج الذي لم يتوان عن تسليمه إلى مدحت باشا .

وتلقى آن بلنت A. Blunt لوماً شديداً على ناصر السعدون لأنه سلم عبد

الكريم إلى رجال الحكومة . والواقع أن عبد الكريم ـ من وجهة نظر الحكومة ـ كان مجرد ثائر خطر عليها، فمن يعاونه أو يخفيه كان سيعرض نفسه للعقوبات الجنائية التي كان مدحت حريصاً على تطبيقها في مثل هذه الظروف. ولقد كان ناصر السعدون مسؤولاً عن الأمن في منطقة المنتفق، ومسؤولا عن التعاون مع الحكومة. ومن ثم فإن ناصر السعدون قام بواجبه في هذا الصدد. ولكن للموضوع وجه آخر. وهو أن العرب اشتهروا بحماية بنى جلدتهم من رجال الحكومة الأتراك. والحق، لقد كان الوقت عبارة عن فترة انتقال من الولاء للفكر العثماني إلى الولاء للفكر العربي وفترات الانتقال تكون عادة مليئة بالمتناقضات. فلقد كان ناصر السعدون بين نارين . هل يحكم العاطفة ورابطة الدم أم القانون التركي ؟ وكان قراره هو تسليم عبد الكريم إلى الحكومة لأنه كان مسؤولا أمامها، وقد يعرّض عشائر المنتفق لمتاعب قاسية إن هو عارض سياسة الحكومة.

بعد أن تسلمت الحكومة في بغداد عبد الكريم عقدت له محاكمة رسمية وأجريت مراسيمها تحت إشراف وتوجيه مدحت حتى صدر حكم الإعدام على عبد الكريم. ثم تقرر ترحيله إلى الآستانة ولكنه ما أن وصل إلى الموصل حتى جاء التصديق بإعدامه شنقاً. فنفذ فيه الحكم قرب الموصل في نفس المنطقة التي بدأ منها ثورته [١] .

وإذا كان امر عبد الكريم قد انتهى على هذه الصورة الدرامية، فإن أمه عمشة آلت على نفسها أن يستمر أبناؤها في التطلع إلى منصب المشيخة، وأن يظلوا مخلصين لتقاليد البدو والبادية. وهذا ليس بمستغرب على سيدة ـ مثل عمشة عاشت معظم حياتها في كفاح متواصل إلى جانب صفوق ثم إلى جانب إبنها عبد الكريم ـ أن لا تكف عن الكفاح من أجل رفع أحد أبناء صفوق إلى منصب الولاية ولا شك أن فقدها لزوجها صفوق على تلك الصورة

---

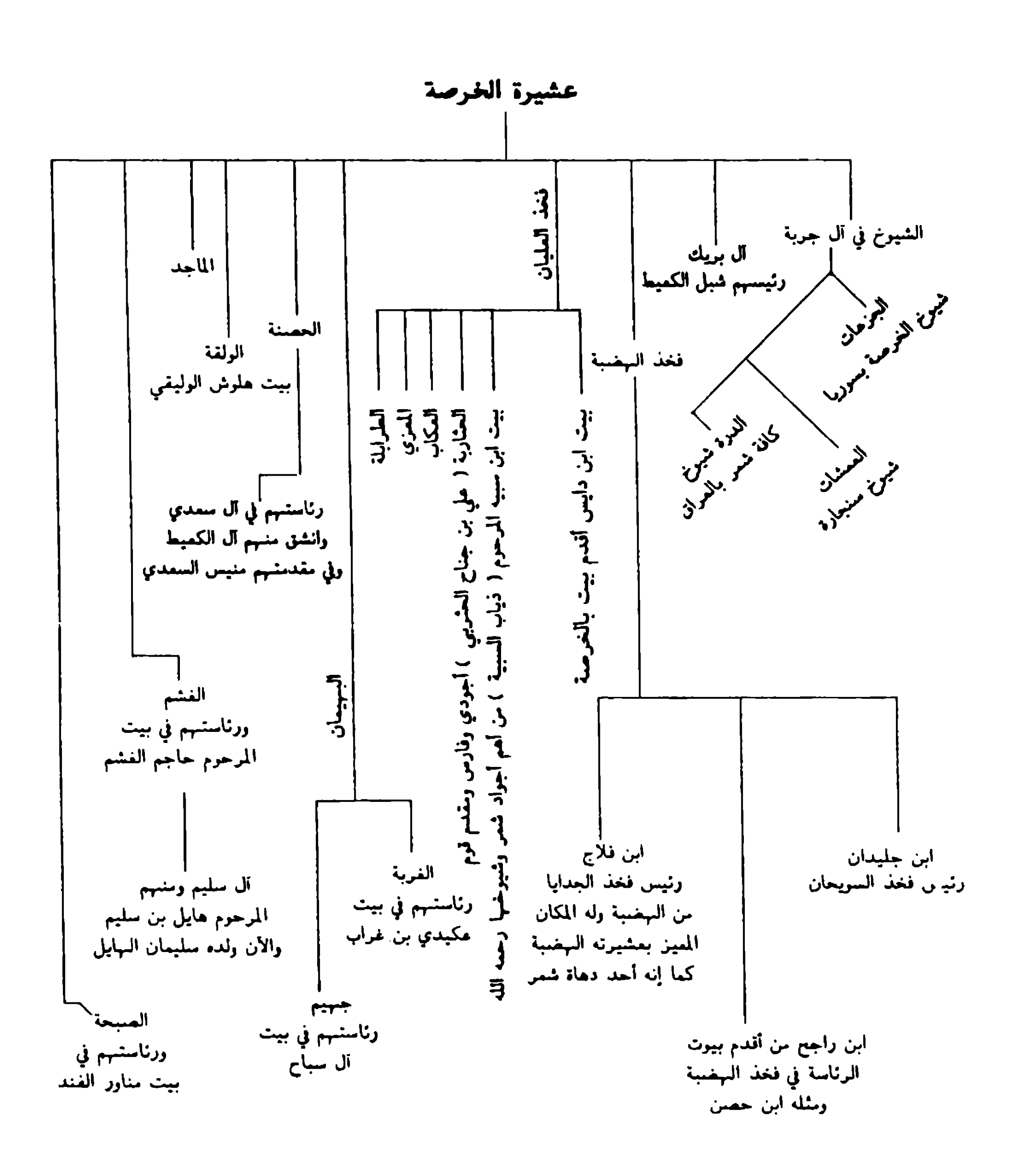
(١) حيدر مدحت، تبصرة عبرت ومرآة حيرت، استانبول ص ١١٠ ـ ١١٣

الغادرة ثم إعدام إبنها عبد الكريم جعلها أكثر صلابة في مقاومة الترك عن ذي قبل. فقد أخذت أولاد عبد الكريم وكذلك إبنها فارس إلى جبل شمر. وهناك ربتهم تربية بدوية أصيلة وأرضعتهم لبان الكراهية للترك ولفرحان شيخ العشائر.

ولما أصبح فارس بن صفوق فتى من فتيان العرب دفعت به إلى معترك السياسة مطالباً بمشاركة فرحان المشيخة. واستطاع فارس أن يكسب إلى جانبه عدداً من العشائر وبدا كأن جولة جديدة من الصراع الفكري بين آل محمد على وشك الوقوع. ولكن الحكومة عملت على الوصول إلى مرحلة أرضت الطرفين. فقد اتفقت مع " فارس" على إعطائه مرتباً شهرياً في مقابل هدوء العشائر التي تحت يده. وهكذا أخذت أمور العشيرة في الاستقرار. حقيقة وقعت بعض الأحداث إلا أن هذه الأحداث لم ترتفع إلى المستويات العالية التي مرت بنا أيام "مطلق بن محمد" .

عشيرة الخرصـة
وشجرة تفرعاتها

شجرة عشيرة الخرصة



الخرصة بشكل خاص من عشائر شمر، بهم رجولة واقدام وعفو وصفح أهل جار وضيف ودخيل والخرصة فيهم الشيوخ العواصي الذين ينبع منهم الطيب، لأنهم مغرس الطيب ومن سماتهم جمع الكلمة، وتوحيد العشيرة، وعدم التعالي على شمري. بهم تضحية في سبيل أي شمريّ منقطعة النظير، وهم من عناهم الشاعر البدوي بقوله: "غليطهم بالطيب يگصر ليادون" .

وهو القائل في وصف أمانتهم على الجار وعرض الجار:

جاراتهم خواتهم حتى بالمنام   ما يشوفونهن لو هم يعيبون

يعتزون بالشمري، ولا يستهينون به، ولعل هذه الأوصاف بكل خريصي في هذه العشيرة التي تتمثل في كلاً من الفرق التالية :

آل البريك :

هذا الفخذ من المقومات الأولى لعشيرة الخرصة ويتمثل هذا الفخذ في بيت رئاسته آل گعيط أصحاب التاريخ العريق في قبيلة شمر عامة كما أن هذه الأسرة آل گعيط يمثلها "الحاج شيل بن محمد النصار الگعيط" والذي يعتبر أكبر شخصية يلتم حولها آل بريك بشكل خاص وهذا البيت بالنسبة إلى عموم شمر يعتبر "بيت حرب" أي يقدم للإقدام والإحجام في حالة الحرب والصلح وذلك لما عرف عن آل گعيط بأنهم محظوظون صاحبهم غانم ومحاربهم غارم ونادم.

وللإنصاف التاريخي يتحتم ـ ونحن في صدر الحديث عن آل گعيط ـ آلا نتجاهل زعيم عشيرة البريك والذي أصبح مفخرة تاريخية لكل شمري عامة ولكل من يعتبر بالنخوة والشهامة ألا وهو المرحوم هايس الگعيط الشهير "بأخي سعدة" والذي عده المؤلف والشاعر المشهور المرحوم محمد السديري أحد أبطال الصحراء الخمسة ببحثه التاريخي في كتابه المسمى أبطال الصحراء وقصة

نخوته لأخذ الثأر لهذلول السويهري السويدي الذي قتلاه شيخا العواجية حجاب وعقاب أبناء سعدون المعداجي على الرغم من قيام الصلح بين قبيلة شمر والعواجية فاغا على الصيحة من أعالي الجريرية الفراتية حتى بلغهما في عقر دارهم بأعماق نجد وقتلهما وقتل معهم خلق كثير فكانت شخصية وفعلة المشرف يذكرنا بطيرة المنعم الذي ثأر للهاشمية التي صاحت وا معتصماه. ومن أراد الاستفاضة عن حياته فليراجع خمسة أبطال من الصحراء.

وهذا الفخذ آل بريك أبرز فرقة "آل حفصة" ويرأسها بيت ابن سعدي الذي تتمثل به رئاسة الاحصنة والقضاء الشمري وأبرز هؤلاء القضاة آل سعدي (المرحوم منيس بن قيتوب بن سعدي) وهو ما يعتبر بالنسبة للقضاء القانوني مرجع قضائي ممتاز بدرجة محكمة التمييز العليا أي أن احكامه مبرمة وقاطعة اليه يرد الحكم وعنه يصدر الحكم القطعي دون أن يرفع لسواه بالرضاء والقبول والالزام وكان من مشاهير غيره الخرصة لما يتمتع به من ذكاء وقاد وفراسة حادة ووعي وادراك بالاضافة لمعظم سمات العربي الشمري.

البهيمان :

أنصارهم من أهم وأبرز فرق آل بريك غيران هذه الفرقة "آل بهيمان" ينقسمون بدورهم الى فرقتين على الرغم من انهما أبناء عم بجيد واحد وهاتين الفرقتين هما : الغربة والجهيم .

آل غربة : وتتمثل رئاستهم في بيت المرحوم عجيل بن عليدي بن غراب وغراب هذا الحد هو مصدر هذه التسمية لهذه الفرقة المسماة الغربة وستأتي الافاضة عن هذه الفئة في العبارات التالية :

فعگيدي والد رئيس الغربة المرحوم عجيل كان رحمة الله من فرسان آل بهيمان خاصة وعشيرة الخرصة عامة وكان مشهود له بالرجولة القاهرة والاقدام والاجادة بالروح في مواطن كسب الشرف والبأس. وليست هذه الصفة الوحيدة فقد كان من أجواد قومه ومن كرماء شمر بيته يلاذ وفي بيته يستضاف وإلى بيته يأوي الجائع والدخيل. وأعقبه في رئاسة هذه الفئة وهذه الصفات الحميدة المرحوم الحاج عجيل العگيدي الذي اتسم بالصدق والعفاف والتقوى واحترام الناس وفرض احترامه على الآخرين وكان سنداً في كل صفات الأزمات المادية والحربية والمثالية مع مرور الأيام وتقلباتها كما عرف عنه الولاء الطاهر والاخلاص العفيف والضميرالنقي الشريف تجاه أهل الرئاسة في شمر آل محمد آل جرباء وخاصة بيت المغفور له والدنا الكبير أمير أمراء شمر المرحوم دهام الهادي . ومما يعتز به كل شمري أنه قبل أن يفارقنا لعالم الله أوصى أنجاله الكرام ـ بأمانة يحاسبهم عنها يوم الله ـ ألا يتزعزع اخلاصهم لبيت دهام ، وبمثل هذه التوصية أوصى الشيخ حميدي الدهام تجاه أولاده .

أما الفئة الثانية من هذه الفرقة (آل بهيمان) فهي :

الجهيم : وتمثل هذه الفئة بـ آل سباح والذين برز منهم أشهر من احتفظ بمعظم السمات البدوية التي تقوم بنقاء الصحراء وعفاف البدوي وأصالة العربي ووفاء المسلم المحمدي ألا وهما المرحومان خابور " أبو جدوع" وأخو سلطان " أبو عبادة " فقدكان كالرأس للجسد بالنسبة لفرقتهم آل بهيمان وكالسيف بالنسبة لعائلة آل جرباء وكالجناحين بالنسبة لآل دهام . لقد فارقوا إلى عالم الخلد وهمّ على العهد الذي عاهدونا عليه .

الولفـة :

وهما الفخذ الرابع في البريك وهي فئة اشتهر أبنائها بالشجاعة بالنسبة لعشيرة البريك من الخرصة وتنحصر رئاسة هذه الفئة في بيت هلوش الوليغي رحمة الله وقد عهد به قومه الشجاعة المفرطة وهو مقدم في مجالس شمر بالنسبة لقومه ومن أصحاب الرأي الذي يأخذ عنه وقد افتقدته قبيلة شمر .

العليـــان :

الفخذ الثاني الهام في عشيرة الخرصة . وأيضاً هذه الفئة هي مدعاة فخر واعتزاز لكل شمر لما عرف عن رجالها من شجاعة وكرم وأصالة ولا أدل على هذه مما يدل باثبات القبائل ـ شمر وغيرها ـ بعراقة بيت آل دايس المنحصرة فيه زعامة هذا الفخذ " العليان" من نجد على عهد حسن بن دايس أحد معاصري مطلق الجرباء والشريف الهاشمي بركات اذ كان لهذا الفارس تاريخاً حافلاً بمآثر ومفاخر العرب مما لا يجعله أقل قدراً أو قيمة من تاريخ الشريف بركات أو أمير شمر مطلق الجرباء أخو جوزة . وبلغ احترام قبيلة شمر عامة والخرصة خاصة من الاحترام لهذا البيت أن اتخذ عاموده الواسط قسماً إذ أن البدو يندر أن يقسمون بالقرآن فمن أقسم بعامود ابن دايس صادقاً رفعت عنه أية تهمة ومن أقسم كاذبا أصبح مطلوبا لكل خريصي في مشارق الأرض ومغاربها . وظل هذا البيت يحتفظ بهذه الرئاسة إلى أن نزحت شمر إلى الجزيرة منذ ثلاثمئة وخمسين عاماً وحتى يومنا هذا .

وحالياً هذا البيت يتمثل في شخصية مليحان ابن دايس كما أن هذه الفئة تنقسم إلى فئة ثانية اسمها السبيه حيث تنحصر رئاستهم في بيت المغفور له المرحوم ذياب بن سبيه وهو أحد رجال الرأي والتوجيه الشمري وأحد رجال الحل والعقد في مجلس القرار الشمري ولا زالت رئاسة هذا الفخذ محصورة

في هذا البيت وهناك فئة ثالثة مكافئة للفئتين السابقتين بكل مالهما من تاريخ مشرف وأفعال خالدة وهي فئة الحثاربة وقد اكتسبت هذا الاسم نسبة إلى جدهم الأول في نجد فارس نجد الشمري "ماجد الحثربي" البطل المشهور وبقيت هذه الرئاسة لهذه الفئة في هذا البيت من نجد إلى الجزيرة حيث كانت تتمثل في شخصية المرحوم "علي الجناع الحثربي" الذي اشتهر بالذكاء الساطع والفكر الدامغ والشجاعة الرهيبة وهو أيضاً من أبرز أصحاب الحل والعقد في مجلس القرار الشمري.

الهضبـة :

فخذ مميز من عشيرة الخرصة في شمر، تاريخها حافل بالمآثر والمفاخر، ينقسم هذا الفخذ إلى فئتين هما :

١ ـ السيحة : ويرأسهم بيت ابن جليدان وكان من أبرز أهل هذا البيت المرحوم (بردان الجليدان) وكان أيضاً أحد رجالات عشيرة الخرصة من أهل المشورة وعضو مجلس الحل والعقد الشمري .

٢ ـ الجداية : فئة تكافىء فئة السيحة، وهي الشق الثاني الذي يتكون منه فخذ الهضبة . تنحصر رئاسة هذه الفئة في بيت وشخص " حواس بن فلاج" . ولكن علمت من بعض شباب شمر أن بيت آل راجح وبيت إبن حصن هما أقدم بيوت الزعامة في فخذ الهضبة . إنما للإنصاف ، فقد استطاع رئيس فخذ الجداية (حواس بن فلاج) أن يثبت شخصيته بأنه رجل فخذ الهضبة نظراً لما يتميز من عقل وذكاء ودهاء وإقدام في مجالس شمر أو لدى الدوائر المسؤولة فغطى باسمه وفعله كل من حوله بفخذ الهضبة حيث كان ولا يزال يمثل بيت زعامة الهضبة من عهد جده ميزر بن فلاج بعهد أمير شمر فرحان باشا بن صفوك ولليوم .

المثلوثــة :

القسم الموجود منهم في سوريا يعتبر من عشيرة (زوبع) وزوبع أرومة شمرية طائية تنتهي أنسابهم الشمرية بفرع محمد بن الحارث من قبيلة طيء.. غير أن هذا الفخذ الزوبعي / المثلوثة / هم الآن من عشيرة الخرصة ، وينقسمون إلى قسمين :

١ ـ الرموث : ورئاستهم في بيت المرحوم متعب المطرود . وحالياً ولده علي متعب المطرود.

٢ ـ الربعية : وهم الشق الثاني من المثلوثة وتنحصر رئاستهم في بيت آل ربعية وكان أبرز من يمثلهم المرحوم حواس بن ربعية ومازالت رئاسة هذا الرهط منحصرة في آل ربعية.

فخذ المثلوثة حصراً من عشائر الخرصة يعرف عن رجالهم الشجاعة، وشدة البأس، وبعد المغار، وقطع الديار وخوض الغمار ، وأخذ الثار . إن قامت الهيجاء فهم أول الخيل وإن كانت الأخرى فهم آخر الناس . من أبرز رجالاتهم حواس الفيحان (أبو حبيس) ، له مواقفه الشجاعة وإخلاصه لبيت الأمـــارة آل دهـام رحمه الله .

المثلوثـة فئة من عشيرة زوبـع الذين يقطنون في أبي غريـب بالعـراق قرب بغـداد .



أمير أمراء قبيلة شمر (المغفور له والدنا الكبير)

المرحوم دهام الهادي رحمه الله

الأمير الذي ركل بقدمه العرش والتاج والذي لم يدنس يداه بالذهب والفضة ، والذي قاتل مدافع وطائرات السمتعمريّن البريطاني والفرنسي بالسيف والرمح العربيين. هو الأمير الذي أحب وطنه سوريا الحبيبة والتصق بترابها حتى غُيب في التراب الذي أحبه ودافع عنه.

الأمير دهام الهادي (أبو سعود)

أمير أمراء شمر رحمه الله

نسبته :

الأمير دهام بن الهادي بن العاصي بن فرحان بن صفوك بن فارس بن حميدي آل جرباء .

ولد بعام /١٨٨١م/ واجتمع رأي قبيلة شمر على تعيينه أميراً وعمره تسع وقيل سبع سنوات، ويكنى (أبو سعود) ، ويحكم أنّ قيادةَ عموم شمّر محصورّة في عشيرته الخاصة (الخرصة) فإن صفَتُه البديهيةَ أنْ يكونَ رحمهُ الله أميراً لعموم أمراء قبيلة شمّر لأن القيادة الأميرية محصورة في بيت جده العاصي.

وعندما قسى عوده واشتد ساعده، وبَلَغَ سن الرشدِ أثْبتَ أنَّهُ أكبرُ من أمير، إذا أُتيحَ له أَنْ يكونَ ملكاً على دولة مصطنعة بدعم بريطاني وإفرنسي فرَكَلَ التاجَ والعرش وداسَ بقدميه المستعمرَ ومغرياتِهِ المسمومة، وأبى أن يفصل الجزيرة العليا مقرّهُ عن وطنِهِ سوريا التي كانت تمثل لشخصه العظيم الروح والقلب.

شخصيته :

كانت شخصيته مميزة ، محبوبة وجذابة ، عربيٌ الآباء، والأجداد يعتز بشمّريّتِهِ البدوية إلى أقصى درجات الاعتزاز. أما وطنيته فقد خلّدتها صفحاتُ التاريخِ، ومواقفُهُ الوطنية أكثر من أن تُعَدَّ، أو تُحصى، وأشهرها ما تشرف به تاريخ النضال العربيّ السوري وخاصة ما بين عام ١٩٢٥ ـ وإلى أن ناداه الرفيق الأعلى حيث زُفَّ لمثواهُ المُعَطَّر بعام ١٩٧٦ مرفوعاً على رؤوس الشيوخ، والأمراء، وفرسان شمّر فإلى جنة الخلد يا والدنا الكبير.

صفاته النبيلة :

أهمّ ما يتّصف به الشّجاعة . فشجاعتُهُ منقطعة النظير ، وما أكثر المواقف التي يضيق المجال بذكرها، كما يشهد له بالصدق فهو أجرأ من عرفت أو سمعت أو قرأت ، يقول الحقيقة فيرضي بها الخالق دون أن يكترث بأي مخلوق مهما كانت شخصيته ، أو منزلته.

في عام ١٩٣٣ م/ حاول الإنكليز أن يولوه ملكاً على الجزيرة ما بين الشرقاط شرق جنوب مدينة الموصل بالعراق وإلى حدود نهر الفرات بسوريا. وجعلها إمارة على غرار ما خلقوا من إمارات كإمارة شرق الأردن ، وإمارات الخليج العربي.

لكنّ هذا الإغراء لم ينطلِ عليه، ولم يفلْح به المستعمرُ الماكر، فرفض عروضهم وقاتلهم بأسمىّ ما يقاتل به العربيّ الحرّ الغيور على وحدة وطنه العربيّ الكبير. وبعد معركة دامية، وغير متكافئة نزح بقسم من قبيلته شمّر إلى داخل الحدود السورية حيث كانت سوريا خاضعة للإستعمار الفرنسي شقيق وصديق الإستعمار الإنكليزي. فبرز في شمّر العراق أمير من نفس عائلة الأمير دهام الهادي، وتزعّم القسم المتبقي من شمّر بالعراق هو المغفور له الأمير عجيل عبد العزيز الفرحان الشهير (بالياور) وذلك تداركاً ، وحفاظاً على وحدة البيت الشمّري خوفاً من أن تعمّد السلطة الوطنية الملكية الحاكمة آنذاك في العراق من فتح رواق البيت الشمري، وافساح المجال لأن يتسلل لداخله من قد تختاره السلطة من غير أبناء العائلة الشمّرية المالكة، وبدعم من الإنكليز أصحاب القرار الرئيسي وقتذاك فيتزعم بشمّر.

ونفس العرض البريطاني عرضته فرنسا على المغفور له والدنا الكبير المرحوم دهام بأنْ تُقْتَطَع له الجزيرة خاصّة وأنَّ الفرنسين كانوا قد جزؤوا سوريا آنذاك

لعدة دويلات مصطنعة وما أسهل قيام الدويلة الشمّرية آنذاك لو أنّ والدنا الكبير المغفور له المرحوم دهام الهادي قد قبل، ووافق . لكنّه قابل الفرنسيين بنفس الموقف الذي قابل به بريطانيا بالعراق. رفض، وثار، وقاتل حتى جلاء آخر فرنسي عن أرض الوطن.

مواقفه المشرفة :

عندما أُرهق الفرنسين بـ ثوراته ، ومنازلته لهم رغم أَسلحتهم الحديثةِ والمتوفّرة عمدت إلى حيلة ، وبعد مداولات بينهم وبين الإنكليز ، اختطفوه بناءً على وعد شرف بأن يحضر لجلسة مفاوضات معهم في دير الزور، فنفوه مع عبده الخاص المرحوم سالم السهو إلى بيروت ، فجزيرة قبرص فعكا في فلسطين فجزيرة كمران جنوب عدن في البحر الأحمر .

وحتى في منفاه عرض عليه الإنكليز عدّة مراتٍ أنّْ يوقّع لهم على اتفاقٍ يقبل بموجبه فصل الجزيرة، وتعينه أميراً لحكومتها وبحماية وبدعم من قبل حكومة بريطانيا، فَيُخْلَى سبيلُهُ ويُعَادَ لوطنِهِ إِثْرَ توقيعهِ للإتفاق فرفض، مؤكداً لهم أنّهُ يقبل الموتَ على أيديهم حيث كانوا يهددونه به دوماً على أن يوقع أدنى توقيع يشير به لفصل شبرٍ واحدٍ من اصل وطنهِ العربيّ الكبير.

وعندما عاد من منفاه بعام ١٩٤٣ ، وَجَدَ أنّ زملاءه الوطنيين أحرارُ سوريا قد حجزوا كرسيَّهُ داخلَ قُبّة البرلمانِ السوريّ في الصالحية بدمشق، واحتفظوا له به إلى أن عاد، وأجلسوه عليه، رغم أنف المستعمرين الفرنسيين، ومن والآهم، وللأهمية أذكر قُرّاء التاريخ وعُشّاق تواريخ العظماء إنّهُ عليه رحمة الله ورضوانه كان ينتخب نائباً عن شمّر الخرصةِ لكل دورةٍ نيابيةٍ لكنّ إنتخابه النيابي هذا من قبل الدولة التي تهنئه بكل دورةٍ نيابية بنجاحه في الإنتخابات بالتزكية.

عند عودته من منفاه (جزيرة قمران)، جمع شَمْلَ مَنْ مَعْه من قبيلته شمّر وراح يوطّنهم في أرض الجزيرة، ويوزّع عليهم القُرى والأملاك سواءً، أكانوا شيوخاً، أو عوائل شمّرية ، أو أفراد العبيد.

لم يترك فرداً شمريّاً واحداً إلا وملّكه قرية، أو نصفاً في قرية وكان يمنح القرى ذاتَ الأراضي الشاسعةِ والأكثر خصباً لأبناء قبيلته شمر وزعمائها.

أمّا أقاربه، وأبناء عمومته بل وحتى أولاده، فكان يمنحهم من القرى ما يعافه أقل أبناء شمّر شأناً. وهكذا لَمّ شملَ شمّر ومنحهم عزّاً ، ومجداً بينما معظمُ شيوخ بقيّةِ القبائل بالجزيرة إستحوذوا ، وتملّكوا بمعظم بقاع الأرض التي علهيا قبائلهم ونتيجة هذا الكرم، والوفاءِ، مال معظم أبناء شمر الذين هم في العراق ونزلوا بجيرته.

فاستقبلهم بالترحاب، ومنتهى الحب وخالص الحنان فأكرمهم ومنحهم القرى، وظلّ يبسط ظلّهُ ، وفضله حتى على شمّر الذين بالعراق بما فيهم أبناء عمومته شيوخ العراق. يفرح لفرحهم، يحزن لأحزانهم يهبّ لنجدتهم ، يدافع عن كل شمري بنجد بالعراق بسوريا بأيّ مكان بلسانه، بيده، بماله، بأولاده، برجاله، حتى بروحه . يارب أسكِنْ روحَهُ جناتِ الخُلْدِ التي أعْدَدْتَها للمتّقين.

بعض مواقفه الخالدة :

١ ـ غزا ذاتَ يومٍ بقومٍ مختلطينَ من عدّةِ عشائرَ من قبيلة شمّر. يريد غزو الفدعان، أهم عشائرِ قبيلةِ عنزة . عندما وصلهم تفاجأ أنّهم متقابلون للنزال مع عشيرة ثانية من نفس قبيلتهم عنزة . فأبت عليه مروءته أن يستلب بيوت، وحلال وأمتعة الفدعان، وهم في ورطة لم ينجهم منها إلا اللّه ، ومروءة والدنا الكبير أمير أمراء قبيلة شمّر دهام الهادي ... وذلك بعد أن رأىّ الجمعين

متقابلين ويوشكان أن يديرا رحى حرب ضروس لا تبق، ولا تذر. أغار بجيشه ، ونوخ ركائبهم بين الجمعين، وأنذرهم بأن يجلس الطرفان والشرط الأساسي والإلزامي أَنْ يتصالحا وإلاّ فإنّهُ سيقف بقوته إلى جنب من يلمس به الخسارة. أذعن له الطرفان، وأصلحهما، وعاد لجزيرته تاركاً للتاريخ أن يحتفظ له بهذا الموقف الذي لن تنساه قبيلة عنزة .

٢ - بعام ١٩٥٩ م أصاب الشامية قحطٌ مُذْقِعٌ شديد أغبرتِ الأرضُ فَقَحِلَتْ ، وازبدّتِ السماء فكلخت ، وجفَّ الضرع ، ومات الزرع. فأصبحت عشيرةُ السبعة من قبيلة عنزة بمجاعة قاتلة .

ماتت مواشيها ،

أتربت أراضيها ،

ندرت أموالها من أبيض ، وأصفر .

فطرق مسامع أمير أمراء شمر المغفور له المرحوم والدنا الكبير دهام الهادي رحمه الله أنّ أطفال عشيرة السبعة مات بعضٌ منهم جوعاً.

فنادى شَمَّر بل عشيرة الخرصة من شمّر حصراً فالتّفوا حوله، وما أسرع استجابتهم لكل نافلة، ومكرمة، فأبلغهم نبأ مأساة عشيرة السبعة الإقتصادية.

وسرعان ما سير لهم ، وبإسم قبيلة شمر رتلاً من الشاحنات محملة (بالسكر، والشاي والرز والقهوة والهيل والملابس والأقمشة والقمح والطحين والتمر والدبس والتتن العراقي، والسمن، والتبن لإنقاذ ما تبقى من إبل وغنم وخيل، والعبيّ الجوخية والصوفية والفراء والأحذية ومؤن أخرى، ومن أراد التأكد فليسأل قبائل الجزيرة، وقبائل عنزة .

طبعاً أنا لا أدلك في هذه الذكرى على مجرد كرمه، وعاطفته الإنسانية رحمه الله. وفعله ذاك واجب. وقد كان رحمه الله أبا الواجب ولكن جئت بهذه الذكرىّ بحثاً عن جوابٍ على سؤالي التالي :

هل يبرز زعيمٌ مثلك يا أبانا في شمّر إلى أن تقوم القيامة ؟

٣ ـ إصطدامه مع جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة عندما دخل مجلس الأمة بالقاهرة، وطلب منه كنائب من النواب السوريين في مجلس الأمة. أن يُقْسِمَ اليمين التقليديّ إسوة بسائر زملائه أعضاء مجلس الأمة. الذين أقسموا بنفس القسم الذي أقسمه كل أعضاء مجلس الشعب في الإقليمين السوري والمصري فرفض صيغته، وأضاف عليه ما يحدُّ من صلاحيات جمال عبد الناصر رحمه الله، واظهار التحفظ لقسم صيغته أكثر واقعية. حيث قال: أقسم بالله العلي العظيم أنْ أكونَ وفيّاً، ومخلصاً للجمهورية العربية المتحدة إلا فيما يمس سوريا بسوء. قولاً ، وكتابة، وعملاً وأكون مخلصاً ووفياً للرئيس مادام هو مخلص للعرب والمسلمين.

وبعد ثلاثة أيام كان رحمه الله أحد أعضاء مجلس الأمة (السوريين) الذين دعاهم المرحوم جمال عبد الناصر لمكتبه للتعارف.

ولما لمس من عبد الناصر نغمه الترهيب، وحدّة الكلام الذي لم يكن له داعٍ أو مبرر أبت عليه رجولته أن يصمت كسائر النواب أبناء الإقليم الشمالي، فتصدّى لعبد الناصر ملفتاً نظره، ومؤكداً له أنّ أبناء الشعب السوري هم غير أبناء الشعب المصري.

فالسوري يصطاده الاحترام، وتقيده الإنسانية، والسوري دائماً كرامته محفوظة لا تعلوها كرامة وإلا سننفصل . وكان رحمه اللهُ أول عضو مجلس أمة أيّد الإنفصال. الذي أُطاح بحكم جمال عبد الناصر.

٤ ـ صودرت منه جميع القرى والأراضي التي كان يملكها،بموجب قانون الإصلاح الزراعي السوري الصادر بعام /١٩٦٧م/، ولكن أبقت الثورة على تقديره واحترامه رحمه الله كزعيم عربي سوري، وركن قومي. فحاولوا إقناعه بمنحه أربعَ قرى من كبريات قراه وعلى أن يختار هذه القرىّ الأربع مما يشاء من قراه الباقية.

لكنه رفض بعنفوان وإباءٍ شديد مشترطاً أنْ يُنْصَفَ كلُّ أبناءِ قبيلته، أما هو حتى لو لم تلتفت له الثورة بأي شيء فإنه يقبل ، ويرضى أما إذا أعادوا له كل ما صودر منه، وطبق القانون على قبيلته فإنه يرفض ذلك وظلَّ رافضاً إلى أن ودّعنا بخير ما يُوَدِّع به الحرُّ النبيل كل صاحب، وخليل ، وهو لا يملك شيئاً.

شيمه وأخلاقه رحمه الله :

كان موفور الشيم، عالي الهمم،إذا عضّهُ الدهرُ صَبَرَ، وإن نال نعمةً شَكَر، وإنْ فكّر أصابَ وظفر، وإن أَسْدِيَ إليه معروفٌ ما ذخر. وحسبي أنّه وُلِد ورَحَلَ لعالِم الخلود، ولم أسمع أنّ لمخلوق ما عليه فضلاً أو منه أو مكرمة، أو عطاء. كان عزيز النفس، وغنيها. رفيع الشخصيةوالأخلاق، به عنفوان بتواضع، شديد الإيمان بالله عَزَّ وجلّ، لا يفرط بفرض صلاة أو يوم صوم، وقد كلل إيمانُهُ بإتمام الركن الخامس إذ حجّ واعْتَمَرَ وعسىّ إنّ الله يحتسبها له في سائر حسناته.

يتحدث لكلِّ مخلوق. وإذا تحدّث وسط المجلس يلتفت إثرَ كلِّ جملة ينطقها إلى أحد الجالسين ليُشْعِرَ كلّ الجالسين بإهتمامه بهم بدون تخصيص، أو تميز .

يحبُّ النكتة، والدعابة دمث الأخلاق ، هادىء الطباع، متّزن المزاج لا يغضب، وإذا غضب لا أحد يستطع إعتراضه وكأنه (بركان فيزوف الإيطالي).

مع التأكيد أنَّهُ لا يغضب إلاّ من أمثاله من الأمراء، والزعماء، والوزراء والرؤساء.

أما الفقراء مهما أساؤوا أمامه، أو له، فلا يقابل إساءاتهم إلا بالإبتسامة، والصفح ، والحنان.

كرمه :

كان رحمه الله يقدّم شويخ [1] ظهراً ، ومساءاً ، ولديه عبدٌ ينادي أبناء العرب يدعوهم للأكل ظهراً ، ومساءاً.

ومن عاداته رحمه الله أنَّهُ إذا جلس للأكل يدعو الفقراء، والمساكين يجلسون ويأكلون معه، ويقطع لهم اللحم بيده، ويثرد لهم الخبز بالمرق، ويطعمهم. لم يستخدم في مضافته شمَّرياً ولا يقبل الاستهانة بأي شمريٍّ يكثر من زياراته لكل أبناء شمَّر بشكل يومي، سواءً من سكن منهم بالقرى، أو من بقيَّ في بيوت الشعر معتنقاً حياة الرحيل لهذا اليوم. به عطفٌ، وحنان على الكبير، والصغير، مشهور بحلمه، وأناتة مشهور بشجاعته، وصراحته مشهور

(١) شويخ: صحن كبير يتسع لأربعين خاروفاً وناقة وأربعة اكياس أرز ناهيك مما يوضع تحت الرز من خبز وفوق الزاد من سمن. الصحن موجود وقد نشرت هذا في كتابي (حياة المغفور له المرحوم دهام الهادي) الذي صدر بعام ١٩٧٧م، فاستكبر بعض شيوخ العشائر الأخرى هذا الوصف الذي اعتبره مبالغة، وحدثت مناقشة بيني وبين أحد شيوخ العشائر بوجود أحد شيوخ قبيلة الجبور حماد علي الأسعد الملحم. بأحد مقاهي حلب. فقلت له الصحن موجود وشرف معنا إلى ذاك الصحن وقدم ما ذكرنا من ذبائح فإن إتسع لهن فأنت خاسر وعليك الإعتذار وإلا نحن نخسر لك كل ما تقدم تابع للترجمة السابقة: أي نخسر لك أربعين خاروفاً مع ناقة وأربعة أكياس رز مضاعفة لكن الشيخ حماد على الأسعد الملحم، أكد له مقولتي حول الصحن (شويخ) ولامه على هذا التشكك المعيب ثم نهضت وغادرتهما. وقد أعقبه حميدي الدهام الذي وضع على صينيته (الفيضة) مئة وعشرين ذبيحة وناقتين وقدمت للأمير عبد الرحمن بن سعود مسحوبة على دواليب.

بذكائه مشهور، بنخوته وحميّته، مشهور بعدالته وماذا أكتب عنك يا ملكاً خدود الملوك له نعلُ ؟

من شجاعته :

تحضرني هذه اللمعة ، لا بد أن أرويها للتاريخ. كانت الحروب مستعرة بين قبيلته شمر، وقبيلة الدليم بالعراق. وعبر أزمنة وأجيال. فمرة تصطلح القبيلتان، ومرة تتحاربان.

وفي أحد أيام الصُّلح دعا أحدُ شيوخ الدليم والدنا الكبير المغفور له دهام رحمه الله لوليمة. ومن عادة الشيوخ أو الأمراء إذا توجهوا لأيِّ مكان لايذهبون إلا ومعهم ثلّةٌ من الفرسان المجرَّبين .

لكنّ المغفورَ له توجه للدعوة وليس معه إلاّ اثنان : سكرتيره الخاص والذي الحق المغفور له (عبد الحميد العسكر السباهي العاني) رحمه الله، وأحد العبيد الصناديد.

وقبائل الديرة أي الذين هم غير البدو (شمر ، وعنزة، لا يتمتعون بآداب المجالس، واحترامها كالبدو، لا يلتزمون بشروط وقواعد السلام بمثل ما تنصه تلك الشروط.

وكان اسم دهام مرعباً لكل عدو ، مرغباً لكل من يتمنى أن يرى نموذجاً من ملوك المجد والتاريخ ، لهذا سُرعان ما اكتظّت مضافة شيخ الدليم برجال وشباب فريقه، وقبل تناول الطعام حيث كانت الأحاديث دائرةً ومتبادلة. أخذ واحد من رجالهم يلمز، ويغمز ويسيء الأدب، والقول، وكان يعني إنتقاده الشديد لشيخ قبيلة الدليم (المكان بالعراق) لأنّهُ أقام وليمه لعدوّ قبيلتهم.

فطرقت كلمات ذاك الرجلِ مسامعَ المغفورِ لهُ والدنا الكبيرِ المرحوم أمير أمراء شمّر دهام الهادي عليه رحمه الله.

فغضب، ومن علاماته إذا غضب أنّ عينه اليمنى تنقلبُ حمراءَ وأنفه الكبير يتورّم، فإلتفت فنظر في وجوه كلِّ الجالسين بالمجلس فوجد أنّ مُعْظَمَهُم شبابٌ ثمّ سأل صاحب الدعوة الشيخ الدليمي: أين آباء هؤلاء الشباب؟

ففهم معنىّ سؤاله كل من بالمجلس وسكت الجميع، وكان يعني موقفاً ذكّرَهم به، وهو مذبحة الناظريات [1] تلك المذبحة التي قُتِلَ بها ألف فارس من فرسان الدليم حتى أصبحت أرضِ الناظريات لا تنبت العشب حتى يومنا هذا. قال هذا الكلام وهو وحيد ، وُوسط شباب كان آباؤهم بعض قتلى تلك المذبحة. دون أن يسأل عن النتائج وعندها أمر مرافقيه بالنهوض، وترك الدعوة غاضباً وعاد إلى عربه. ليخلّد له التاريخ هذا الموقف الشجاع.

عاش رحمه الله خمساً وثمانين سنة من عمره، قضاها بالعفاف، والتقوى، والبر، والإحسان.

في الأربعين سنة الأخيرة من عمره حيث قعدت الحروب القبائلية ظلّ عليه رحمه الله ورضوانه ملازماً لعبادتهِ لله سبحانه، وتعالى تقام في مجلسه

---

١) الناظريات: موقع شمال بغداد بحوالي عشرين كيلو متراً وهو آخر محطة قطار يجتازها قطار الموصل بغداد إلى مدينة بغداد. سابقاً في الثلاثينات لم تكن محطة قطار. بل كانت براً من براري بغداد. جرت معركة تاريخية بين قبيلة الدليم التي غذت شمر بأعداد كثيرة من فرسانها ومحاربيها. وكان هجومهم على أمير شمر (فرحان باشا) الجد الثاني للمغفور له أمير أمراء شمر والدنا دهام الهادي عليه رحمة الله كانت قبيلة شمر متناثرة بأصقاع الجزيرة وقسم منها على ضفاف نهر الخابور بسوريا مع أخيه فارس بن صفوق. وليس مع فرحان باشا إلا حفنه من الرجال. ودارت المعركة بين الطرفين وانتصر فرحان باشا حيث راح كل شمري يحجز عشرين أو خمسين دليمياً ويقتلهم فذهبت هذه المعركة مثلاً في التاريخ.

الصلوات الخمس وفي شهر رمضان تفطر كل عربه بمضافته، وبعد صلوات التراويح يسود بمجلسه صوت القرآن الكريم، ويعطر بالحديث النبوي الشريف.

محبٌّ للعلم والعلماء فكان رحمه الله يكرم علماء الدين، ويجلُّهم، ويسمع لأقوالهم ويعمل بها.

ومن شيمه النبيلة عليه رحمه الله، وغفرانه. ألا يُغنّى في مجلسه ولا يُساء اللفظ، ولا يذكر حديث النساء، ولا يستغاب شريف بمجلسه حتى ولو كان من أعدائه .

كان مثالاً للأخلاق العربية الإسلامية، أنشأ اولاده أعزهم الله على تربية خاصة تتفوق على تربية أبناء الملوك. كان يتركهم ينشؤون على السجّية البدوّية فقد عشت بين يديه وفي مجلسه ووسط أبنائه إخواني الأمراء (محمد رحمه الله)، الأمير حمود آدام الله ظله ومجده، الأمير علي أعزّه الله، الأمير حميدي بلانا الله بطول سلامته، وسلامة عمره ، أما أخواي الأميران أحمد والأمير صالح جعلهما الله من طويلي الأعمار. لم يكونا من الجلاس لصغر سنيهما ولتواجدهما الدائم في مدارس دمشق .

أقول : وعيت أخواني أبناءه رحمه الله يجلسون في المجلس بحضرته ولم أسمع أيّاً منهم يتحدث ، أو ينبس ببنت شفة.

كان الأمير محمد رحمه الله كلما دخل المجلس أسرع نحو المغفور له والدنا الكبير المرحوم دهام رحمه الله وأقبل يديه راكعاً.

أما أمير أمراء شمر الحالي أخي الأمير حمود فقد جلل الشيب شعره وشاربيه الشهمين، ولحيته الكريمة ولم يره أحد أنه يدخن السيجارة بحضرة والدنا الكبير المغفور له دهام رحمه الله أدباً واحتراماً.

ومن أخلاقه رحمه الله أنّهُ كان يرفع بمستوى الفرد الشمّريّ ولا يحطّ من قدره فإذا دخل الزائر الشمري لمجلسه نهض لمقدمه ، ورحّبَ به وقبّله ، وأجلسه بجانبه.

فإذا سُجِن الشمريُّ أسْرَعَ وعَمِلَ على فَكاكِهِ من السِّجنْ. وإذا مَرِض الشمري احتضنه بين ذراعيه، وحمله بسيارته الكاتيلاك، واسرع به للأطباء إمّا لمدينتنا القامشلي ، أو لدمشق. فيعالجه على نفقته الخاصة.

كان يطعم الجائع فيشبعه.

كان يكسو العاري فيستره.

كان يزوج الأعزب فيتمّ له دينهُ.

كان يقضي عن المُعْسِرِ دَيْنَهُ.

كان ملتزماً بعوائلَ فقيرةٍ.

هذه وأمثالها عادات، وتقاليد أمير أمراء شمر المغفور له المرحوم والدنا الكبير دهام الهادي عليه رحمه الله ورضوانه وسلامه.

ما الذي يدفعني لأن احتفظ بدقائق سيرته ؟ ما الذي يدفعني لتخليدها؟ وما منزلتي وصلتي به عليه رحمة الله ؟

أنا (وأعوذ بالله عز وجل من كلمة أنا) أنور عبد الحميد العسكر السباهي العائي. جَدّي المباشر أصلان (عثمان) باشا ذلك القائد العربي الذي قاد جيوش السلطان العثماني فحرّر مدينة بغداد من التتر، ودُفِنَ في أجمل مدن العراقِ التي ما زال قبرُهُ فيها. وأخوه سنان (سيف) باشا ذاك القائد العثماني فاتح اليمن والمغرب، ولا يزال قبره في أشهرِ جوامعِ دمشقَ جامعِ السنانية نسبة إليه وحول قبره محمل الحاج الذي كان يسير بظله الحجيجُ الشاميون من بلاد الشا

للحجاز جيئة وذهاباً وأعمامي في مدينة حلب لا يزالون يحملون ألقاب باشوات وحيهم التاريخي (قرلق) أقدم أحياء حلب الشهباء.

وشجرة أصلي في كل كتاب أنساب، وتاريخ عربي وهيَ التي أرقى بها إلى جدّي الشهيد المظلوم السبط شهيد كربلاء الطاهرة الإمام الحسين بن علي صعوداً إليه من أحد أجدادي الإمام الروحي الصوفي المنتجب الدين العاني على جميع من ذكرت، وعلى آبائهم وأبنائهم وذريتهم الطيبين الطاهرين أشرف الصلاة وأفضل السلام.

فأنا إذا أتي بذكر نسبي هذا ليس إلا لأنبه القارىء الكريم إلى أنّي لستُ واحداً من أبناء المغفور له والدنا الكبير دهام الهادي رحمه الله فأسرتي تنتمي أصلاً لموطنها الأصلي (العراق) لمدينة عانة حصراً ، ولهذا يقال لعائلتي العانية أو العواني ولكن أسرتي مع آل جرباء أمراء شمر منذ عدة ظهور. بل مع العواصي بشكل خاص، مهنتهم /كُتّاب/ إلى أن أصبح والدي الحق المغفور له المرحوم عبد الحميد العسكر السليمان السباهي العاني. السكرتير الخاص والمرافق المخلص والخادم الأمين لوالدنا الكبير أمير أمراء شمر المغفور له المرحوم دهام الهادي.

والدي عبد الحميد العسكر خدم والدنا الكبير دهام كثيراً، ولكنّ والدنا الكبير المغفور له دهام الهادي ردّ الجزاء لوالدي بشكل لا يقاس له طول ولاعرض ورفعة لا يقاس لها حجم ولا سمّو.

عندما نشأ والدي المرحوم عبد الحميد العسكر ووالدنا الكبير المغفور له المرحوم دهام الهادي بجيل متقارب من الأعمار بسط الأمير دهام بساط قوته، ودعمه، وتأييده على والدي المرحوم عبد الحميد حتى جعل بيته من أهم بيوت أمراء شمّر شأناً ومعنى وكرامة ووجوداً. وجعل من والدي المرحوم عبد الحميد أخيه الأول وولده الأكبر إلى أن أصبح وجود والدي عبد الحميد رحمه الله

بالنسبة لقبيلة شمر هو الكل بالكل. ولم أجد لهما شبهاً في التاريخ إلا كوجود يحيى البرمكي إلى جانب هارون الرشيد أشهر خلفاء بني العباس. ألا أن والدي وأسرته العانية ظلوا أوفياء أمناء، وما زالت أسرتانا بيتاً واحداً. نكن لأمرائنا وأهلنا الولاء والوفاء والاحترام .

أنا بشكل خاص، وأخواني، وأخواتي نشأنا في بيت المغفور له أمير أمراء شمّر والدنا الكبير المرحوم دهام الهادي رحمه الله. نأكل أحسن مما يأكله أولاده الذين من ظهره، وأخوانه الذين من أمه وأبيه. نلبس الجوخ والحرير ونكرم ونُدْعى إلى الولائم وكل هذا بفضل الله، وبدعم ، وبسلطان والدنا الكبير أمير أمراء شمر المغفور له المرحوم دهام الهادي أسكنه الله فسيح جنانه.

والأكثر بل الأعظم من هذا عندما هجرت القبيلة حياة الرحيل، واستقرت بالأرض، وراح المغفور له أمير أمراء شمر والدنا الكبير المرحوم دهام الهادي رحمه الله يوزع القرى والأملاك على أبناء القبيلة. ابتدأ أول ما ابتدأ بمنح والدي قريتين كبيرتين لا يفصل أرضهما عن أرضه سوى متر ونصف المتر هو عرض سكة حديد القطار في حين إنه منح أولاده الأمراء الكرام محمد وحمود وإخوانه قرى وأراضي تبعد عنه عشرات الكيلو مترات.

أما أنا شخصياً فقد نشأت بحجره، وبين ذراعيه ، فألبسني ملابس أبناء الملوك وألحقني بأرقى مدارس دمشق، وبيروت، والقاهرة وجامعة الإيرورك سيرفيس ترنينغ جامعة طيران مدني في سكوتلندة ببريطانيا، وزوجني فتاة دمشقية دفع لي نقداً لها يعادل أضعاف نقدِ أيّة شمرية آنذاك . حيث إفترقنا بعد عامين فراقاً غير مأسوف عليه.

حتى بدأ أبناء شمّر ، وغير شمر يتحاشون إغضابي أكثر مما يتحاشون إغضاب أبنائه رحمه الله كنتُ أُكثرُ إغضابه، وكان عليه رحمة الله كثير

الصفح، والسماح عنّي ولي. حتى بلغ الغرور بي بظله صرتُ أتوهم نفسي (أنا الدنيا) كل الدنيا. وهذا هو شعوري إلى أن ارتحل عنا لعالم الخلود بجسمه، وروحه أمّا أفعاله، وأقواله فهما خالدتان في دنيانا، إذ لا تزالان مدرسة فاضلة تَعَلّمْنا فيها منه الكثير، ومن كريم أخلاقه نعلم الآخرين.

أهم ما كان يعلمنا رحمه الله.

لا تكذب.

لا تحسد أحداً.

لا تبخل على أحد بشيء تستطيعه.

لا تستغيب أحداً.

لا تستصغر بأحدٍ.

إحترم الشيوخ، والنساء، وأولي الأمر في كل شأن.

إعطف على الصغار، إحترم الضيف ، والجار، وأكرمهما.

حافظ على العهد، إنجز الوعد، لا تكن جباناً فتفقد حقك، وكرامتك، لاتكن شريراً إن دعتك قدرتك على ظلم الناس، تَذَكّر قدرة اللّه عليك.. الخ.

لهذا ولأكثر منه فقد وعينا ألا نخاطبه رحمة الله إلا باسم (يايبا) بلهجتنا الشمّرية ولهذا أيضاً تجدني قارئي الكريم أُسْبِقُ إسمهُ رحمهُ الله بعبارة : (والدنا الكبير) فكن على بينة من الأمر .

" أنور عبد الحميد العسكر السباهي العاني"

لقد نوهتُ بهذه الترجمة عن سر تسميتي له رحمه الله بعبارة والدنا الكبير وأنا أيضاً ممن يعتز بوالدي الحق عبد الحميد العسكر السليمان السباهي العاني رحمه الله.

لقد أكثر الشعراء في مدح ، ووصف المغفور له المرحوم والدنا الكبير دهام الهادي رحمه الله . وفيما يلي إحدى القصائد التي قالها بحقه المرحوم (غريب الشلاجي) وفيها يصف بيت وصينية ومجلس وبيت أمير أمراء شمر المغفور له المرحوم والدنا الكبير دهام الهادي رحمه الله.

قال غريب الشلاجي الشمري :

كريم يا برقٍ شلع وكت الأدماس   بالليل يشعل بارجه مثل الافنار

خلته وأنا بمفرع العود بكياس   خملي من البيضة وطيء خشم سنجار

له ظهيان عكب ما ناموا الناس   وأودع شعيب الذرو مثل الأنهار

يا عل بعج من كل الأثمار يحتاس   يا دار مسگين العدو كاس الأمرار

على منازل زيد هو أبو حواس   أهل الرباع اللي بهن بن وبهار

وصينية [1] ما دار بها كل عواس   ريف الظعوف لياتشلهبن بالأسعار

وخلاف ذا يا راكبن من فوك عرماس   حمرا إتكيز من عياها بالأشجار

الرسل وقم الخمس من خبرا الأمحاص   والصبح دورلكّ مع الشط معبار

والياجا العصير وشورفت بك بالاكواس   يبين لك من روسهن رجم عيار

---

(١) إشارة إلى الصحن شويخ صحن أمير أمراء شمر المغفور له والدنا الكبير دهام الهادي والذي لا يزال موجوداً، وقبله صينية أحد أجداده يرجس المعجون التي لم يملأها بالخير غيره من نجد إلى الجزيرة إلا ابن عباس (المصطفح) فأهداها يرجس له، وهي الآن موجودة في بيت المصطفح بقرية بياندور ناحية القحطانية مديرية القامشلي، وهذه (الفيضة) صينية أبي فارس الأمير حميدي التي لا تنقل إلا سحباً على دواليب.

وكبل الدبش يكود رموس الأوناس   يهلي بك بيت دهام زايم تكل طار
بيت الشيوخ اللي كديم لهم ساس   رجالٍ على شدات الأيام صبار
بيت الياجيته إتهول من الناس   هذولا مساير وهذولاك خطار
ونجر دايمٍ يشتغل تكل نحاس   إتحمس لدسمين الشوارب هل الكار
وبرباعهم تلكى مشاجيل الرجال جلاس   للي بهم ترعى الخطر حث الاوبار
وصينية ما دبره كل عواس   يشبع بها الجيعان بالموسم الحار
يا الجوهر الناريز يا غاية الماس   مهدي الصعوب الي إترتع بالأدثار
فرخ الجروم اللي على كفٍّ كناص   أشكَر يدمي محلبه عفر وطيار

وهي قصيدة طويلة، اكتفينا بإقتطاف الأبيات الآنفة الذكر منها.

وهذه قصيدة ثانية ، قالها غريب الشلاجي يمدح بها أمير أمراء شمّر المغفور له ، والدّنا الكبير المرحوم دهام، وفيها بعض العتابِ لأمر بسيطٍ حَدَثَ بينَ البطل الفارس الشجاع غريب الشلاجي، وأمير أمراء شمر والدنا الكبير المغفور له المرحوم دهام الهادي. رحمهما الله، رحل على أثرها غريب الشلاجي من الجزيرة بسوريا إلى موطنه الأصلي بنجد، وقد زرت موقع مزرعته بخشم جبل أجأ بالنفوذ القسم الغربي من جبل شمّر غرب حائل.

قال غريب :

قم يا خطيب اكتب حبر بكَرطاس   للشيخ كَواد الجموع الثقالي
دهام يا حماي وندات الأفراس   عريب جد وأب وعم وخالي

إلى آنْ يقول فيها وهي من مطولاته :

أمّا الجزيرة يومِنجيكم بها من الراس نبي بها عن ضيم بكعا ظلالِ

شلنا عليهن من فوق مزايير الأطعاس جينا للفانا وعز الأهالي

وهي مشهورة، ومتداولة على ألسنة أبناء شمر، وتتداولها الألسن من جيل إلى جيل.

وعندما نفيٌ رحمه الله قيلت بحقه مئات القصائد ، كانت مدونه بأوراق المغفور له المرحوم والدي عبد الحميد العسكر ولكنها فقدت مع مرور وطول الزمن. وهذا الذي يضاعف أسفي بالحياة.

إستدراك :

قبل أن اختتم ترجمة حياة والدنا الكبير، المغفور له، أمير أمراء شمّر المرحوم دهام الهادي أودُّ أنْ أشير إلى أنّي وفي عام ١٩٩١م/ كنت عائداً من زيارة أخي أمير أمراء شمر الأمير حمود دهام الهادي المقيم بعمان في الأردن. إلى حيث كنت واسرتي مقيماً في دولة الإمارات العربية المتحدة بأبي ظبي. دعاني السيد، محسن العفات من الصايح وكان من كبار موظفي الهجرة والجوازات بمدينة رفحة "القيصومة". وكان ممّن حضر أحد وجهاء عشيرة شمّر، وكان حديث النزوح من العراق للملكة، ولم يكن مدعوٌ للحفل. فحدثت بيني وبينه معركة ومشادة كلامية، السبب أنني عندما أصدرت بعام ١٩٧٦م/ كتاب حياة المغفور له دهام الهادي، رئيس قبيلة شمّر كان ذاك الوجيه غير المدعو للحفل محتجاً عليّ وغاضباً مني لأني سميت والدنا الكبير المغفور له أميرَ أمراءِ شمّر.

أيّ معتبراً المغفورَ له، والدنا مجرد أمير على من معه وأنّه لا يتأمر على كل

أمراء شمّر. وبعد أنْ نهض من قبالي وعاد لمكانه قبالتي ايضا قلت له: لست انا الذي جعلت من المغفور له والدنا الكبير المرحوم دهام الهادي أميراً لأمراء شمر. بل عشائر شمّر هيَّ التي عينته، وسمته أميراً على كل أمرائها وهذا مالا يستطع إلا أن يفعله كل شمريٍّ ، ويقّربه كل أمير بكل قبيلة شمرية، وأنا شخصياً المؤّلف : الحاج ـ أنور عبد الحميد العسكر السباهي العاني أُقَدّم إحترامي وتكريمي لكل أمير شَمّريٍّ مخلص لشمر غير أنّي أقول: إذا وجد في عموم عشائر نجد أيٌّ أمير يخبر أنّ له شخصيةً، أو مواقفاً، أو أفعالاً مثل شخصية، ومواقف، وأفعال المغفور له والدنا الكبير المرحوم دهام الهادي عليه رحمة الله ورضوانه فليتفضل، ويملي عليَّ سيرته، وأنا مستعدٌّ أن أنشرها على الملأ. ـ كنت أوجه كلامي لذاك الرجل الشمري ـ فتدخل مضيفي محسن بن عفات ابن عيادة الصايحي الشمّريّ، وأخذ يسبّ ، ويشتم ذلك الذي كان يريد إيهام الناس أنّهُ أمير فجرّه من كتفه، وبصق عليه ودفعه خارج الباب مطروداً من المجلس، وهو يصيح أي ـ محسن ـ دهامُ شرفُ كلِّ شمريٍّ، دهام فخر كل شمريٍّ دهام، أول من بنى شمّر بَعدَ سقوط حائل.

وفي مدينة العين بإمارة أبي ظبي بدولة الإمارات العربية وُفِدَ إلينا أميرٌ من أمراء شمّر، وهذا تجاورنا وإياه وخبرته عن كثب وأشهد أنّهُ أمير ورمزٌ للشجاعة، والجود، والكرم والنخوة الشمرية العربية. ولكن به تعالٍ وتوهُّم فراح هو الآخر ينتقدني لتسميتي والدنا الكبير المغفور له المرحوم دهام الهادي بلقب أمير أمراء شمّر وراح محاولاً أن يقنعني بخطئي العاطفي في تلك التسمية. وراح يكثر لي من ضرب الأمثال : بقوله :

إذا أصدر والدك دهام أمراً لأمراء شمّر لقضية ما. ما هو تأثيره يا ترى على الصديد أمير الصايح بالحويجة (لواء سامراء بالعراق) ؟

ما تأثير أوامره على الحدب بعشيرة الثابت؟ ما تأثيره على التمياط ؟ بالتومان؟ ما تأثيره على إبن طوالة أمير الأسلم؟ أو ابن شريم أو ابن عجل، أو ابن جبرين، وهم أمراء التومان، وعبده أو حتى على أبناء عمومته أبناء عجيل، وفيصل ، وعبد الكريم شيوخ شمر بالعراق وسوريا؟ ثم يجيب نفسه، بقوله : لا شيء.

فأجبته :

إنّ الطاعة وتنفيذَ الأوامرِ والخضوع تلبى للقيادةِ العليا حسب كل نظام. وشمّر تنفرد بصفة واحدة لا تشاركها بها أيّةُ قبيلة من أيّةِ قبائل البدو، وهي أنها هيَ القبيلة الوحيدة التي تدين لبيت واحد هو بيت آل جرباء هذا البيت الذي انفرد بزعامة، ورئاسة ، وإمارة عموم شمر أباً عن جدّ منذ مئات السنين. وبيت آل جرباء هو بيت والدنا الكبير أمير أمراء شمر المغفور له المرحوم دهام الهادي. رحمه الله. هذا هو أولاً.

كما أنّ الأمراءَ الذين عددهم محدّثي لا اعتقد أنّ فيهم إلا كل من يستكبر ويستنكر هذا الحديث الصادر من رأس واحد توهم في نفسه ما هو أبعد من نجوم السماء عنه، وهذا هو ثانياً.

ومصداق قولي أنّ والدنا الكبير المغفور له المرحوم دهام الهادي أميرَ أمراءِ شمّر أصدر أوامره لإخوانه أمراء شمر عدة مرات بعدة مناسبات فإجتمعوا تحتَ سقف بيته بيت الأمة الشمري الكبير، وتتم تلبيتهم لندائه بأسرعِ ما يمكن لأبسط الأسباب، وهي: أنّه رحمه الله يعتبر كل أميرٍ منهم أخاً له يحبه بإخلاص ووفاء، وسيفاً يعتز به، ويهدّد به رؤوس الأعداء.

وأنا أتحدّى كلّ متقوّل يدّع أنه يعرف أميراً من أمراء شمّر تجتمع عليه وإليه

أمراءُ شمّر من غير والدنا، وبهذا عاشت شمّر التي حصرت صفة أمير أمراء شمر بشخص المغفور له المرحوم والدنا الكبير دهام الهادي رحمه الله. ومن ثم بأبنائه سيوفِ شمّر الماضية، وذرية هذا البيت إلى يوم القيامة بعون الله.

فسلام الله ورحمته ومغفرته ورضوانه عليك يا أبانا أمير أمراء شمر دهام الهادي. وجعل الله مثواك روضةً من رياض الجنة، وأسكنك بدار الخلد حيثما يسكن آباؤك ، وأجدادك آل بيت النبوة عليهم وعلى أبنائهم وذريتهم الطيبين الطاهرين، أشرف الصلاة وأفضل السلام.

وأخيراً وليس آخراً :

رويٌ عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم قوله: [إذا جاءكم الهاشميُ فأكرموه، وإذا أقبل قوموا له وأفسحوا له خير المجالس، وإذا سرتم فقدموه، وإذ صليتم فأمّوه] صدق رسول الله .

فما بالك بسليل بيت النبوة بالإضافة لكونه هاشمّياً قرشياً عدنانياً ، ينتهي نسبه لثلاثة أنبياء من أجداد (محمد، واسماعيل، وابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليهم، ناهيك عن صعوده ، لأولئك عيوراً بأجداده على بن أبي طالب عليه وعلى أبنائه وذريته الطيبين الطاهرين أشرف الصلاة وأفضل السلام.

عند هذا مَنْ مِنَ البشر يفخر عليه ومَنْ مِنَ البشر لا يزداد شرفاً وقدراً أن يكون رحمه الله له مرجعاً وقدوةً .



من اليمين إلى اليسار .

١ ـ المغفور له الأمير فواز نوري الشعلان (أبو متعب) أمير عشيرة الرولة من قبيلة عنزه.

٢ ـ أمين حافظ رئيس الجمهورية العربية السورية سابقاً .

٣ ـ المغفور له الشيخ حميد العبد الكريم شيخ شمر الزور عليه رحمه الله.

٤ ـ المغفور له أمير أمراء شمر والدنا الكبير المرحوم دهام الهادي تغمده الله بواسع رحمته تعالى وأسكنُه جنة الفردوس التي أعدت للمتقين.

٥ ـ الشيخ عوينان مدلول العاصي من أبرز شيوخ شمر أمد الله بعمره.

وفيما يلي قصيدة لشاعر شمر المشهور علي بن مصلح بن عجاج الشهير (بالزعيلي). وهو من عشيرة الحريرة من الصايح ، ومناسبة هذه القصيدة أنه اجتمع في مجلس والدنا الكبير المغفور له المرحوم دهام الهادي، أمير أمراء شمر والجلسة كانت كبيرة حيث كانت شمر مجتمعة كلها في بيته يتداولون أمراً ما. فنهض عدة شعراء ألقوا قصائدهم لكن لم تؤثر في المغفور له أي واحدة منهن.

وكان الشاعر المذكور أعلاه (الزعيلي) جالساً في الاجتماع ، ولكنه لم يقل أي بيت من الشعر . فصاح به المغفور له أمير شمر والدنا الكبير المرحوم دهام الهادي تكلم يا خالي، قل يا خالي[1] ، إسمعني شعرك يا خالي: فنهض الشاعر الزعيلي وراح يمدح المغفور له بقوله :

يا الله يا عايدٍ على كل ديرة	إنت الكريم ودايمٍ نلتجي لِيه
فكرت بالدنيا دولابٍ تديره	يا جا القدر مكتوب هذا وتمحيه
تجيب هذا ثم تبدل بغيره	لهذاك تقلع ثم تاتي وتخفيه
تجيب ناسٍ كل أبوهم شريره	ترفع حثال القوم والزين تخفيه
واعزتي لدهام شيخ الجزيرة	عودٍ مجرب بيّنٍ زاد ماضيه
ليا أدبرت دنياه ربه يديره	بحرفين كاف ونون لدهام تاتيه
تاتي وتفتح كل بوب عسيره	تفتح باب اليسر والعسر تجليه

(١) كان المغفور له والدنا الكبير أمير أمراء شمر المرحوم دهام الهادي، رحمه الله يصيح لكل فرد من رهط الشاعر (الحريرة) يا خالي والسبب أن الفارس المشهور (عضيب) من الحريرة هو خال شتات أم الهادي جدة (دهام) وأبوها مطني الصديد ولهذا كان جده العاصي يتصقر به ويتوسم به البطولة والأمارة . فكان العاصي رحمه الله دائماً يحدو بالبيت التالي :

به الزعيلي والدويش وعظيب خال أمه وكاد

اللي يحمد الصبر تايه مشيره	تايه ويعله غادي بوادي التيه
للصبر حد وفروعه كثيرة	وما زاد عن حده ملزوم نلغيه
يا حلو بيت الشيخ باطراف ديرة	الياصار شمر حاضبه من حواليه
شمر على الردات ترهم نحيرة	والشمري حكي الجوك ما يدانيه

فصاح به والدنا الكبير المغفور له المرحوم دهام الهادي أمير أمراء شمر رحمه الله : كفى، يا خالي ! كفى يا خالي، لو لم تقل إلا هذه الأبيات لكفاك ما تقول وأكفيت زملاءك الشعراء. فأجزل له ولهم العطاء.

وماذا في كتب الأنساب ؟

نقلاً عن كتاب آل جرباء في التاريخ والأدب لصاحبه أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري .(منشورات : دار اليمامة للبحث ، والترجمة والنشر بالرياض في المملكة العربية السعودية).

ننقل هذه اللمع التي ينمي فيها المؤلف : آل جرباء إلى عشيرة عبدة الشمرية القحطانية النسب كما أنَّهُ يجمع بين نسبي آل جرباء وآل رشيد حكام حائل في نسب واحد.

المعروف من الروايات المتواترة والتي لم تختلف من فم لفم وعُبْرَ الأجيال أنّ آل الجرباء هم من نسل العباس بن عبد المطلب فإلى بني هاشم، فقريش، فعدنان. هذا ما رواه إبن الأثير الجزري في تاريخه الكامل في التاريخ /م٢/ ح ١/ ص ٢٠٥ ولكن تنسيب إبن الجزري أيضاً خطأ فهم لعلي بن أبي طالب وليس للعباس بن عبد المطلب.

لكن صاحب كتاب آل جرباء في التاريخ والأدب يقول في الصفحة /٥٠/ نسب آل الجرباء : [من المتّفق عليه بين النسّابين أنّ آل جرباء من عبدة شمر، ومنهم قسم يدخل في سنجارة من شمر.(*)

وفي نفس الصفحة يقول: وشَمّر بطنٌ من ثعل بن عمرو من طيء كما قال (ابن الكلبي) وهيّ اليوم من كبريات القبائل العربية.

وفي الصفحة /٥٢/ يقول: شَمّرُ بطنٌ من طيء، ولكنها في العصور المتأخرة أصبحت مجمع البطون الطائية مع أخلاط أخرى دخلت فيها بالحلف].

وللمؤلف في كتابه الجرباء في التاريخ والأدب أقوالٌ كثيرة يتحدث فيها عن الجد الأول للجرباء (محمد) ، وزوجته أم سالم إنها فضلية من الفضول أحد بطون بني لام وبنو لام من طيء وطيء بمذحج التي فيها عبدة، وعبيدة الذين ينتمون لأحد أجدادهم ضيغم. وهيّ إحدى تسميات عبدة الضياغم ومنخاتهم (سنا عيسى) وللسنا عيسى شرح يطول .

لكن للأسف أنّ المؤلف يناقض نفسه بنفسه، يذكر في نفس الكتاب : أنه اجتمع بالشيخ حروش بن عبد العزيز في مجلس الشيخ عبد الرحمن بن باز في الرياض وأكد له إنهم من الأشراف.

وكم من كتب بالأنساب والأحساب قد قرأتُ واطّلعتُ عليها.

كما أني نشأت في رباع ومجالس، وخالطت عشائر العراق وسورية والأردن وفلسطين ومصر. فلم أرَ أو اسمع إلا أنّ الجرباء هم هواشم الأصل قريشيون عدنانيون. ولو أن المؤلف أبا عبد الرحمن بن عقيل الظاهري نسب فئة من عبدة للعدنانية لتوهمنا أنّ بروايته شيئاً من الصدق سيما وإنَّهُ يذكر أنّ عبدة

(*) لا صحة لهذا وانما هـ إجتهادات مأجورين قبضوا أوساخ أيادي من تلاعبوا بأنساب الأشراف وبتزيف أحاديث رسول الله (صلعم) في معظم كتب الحديث.

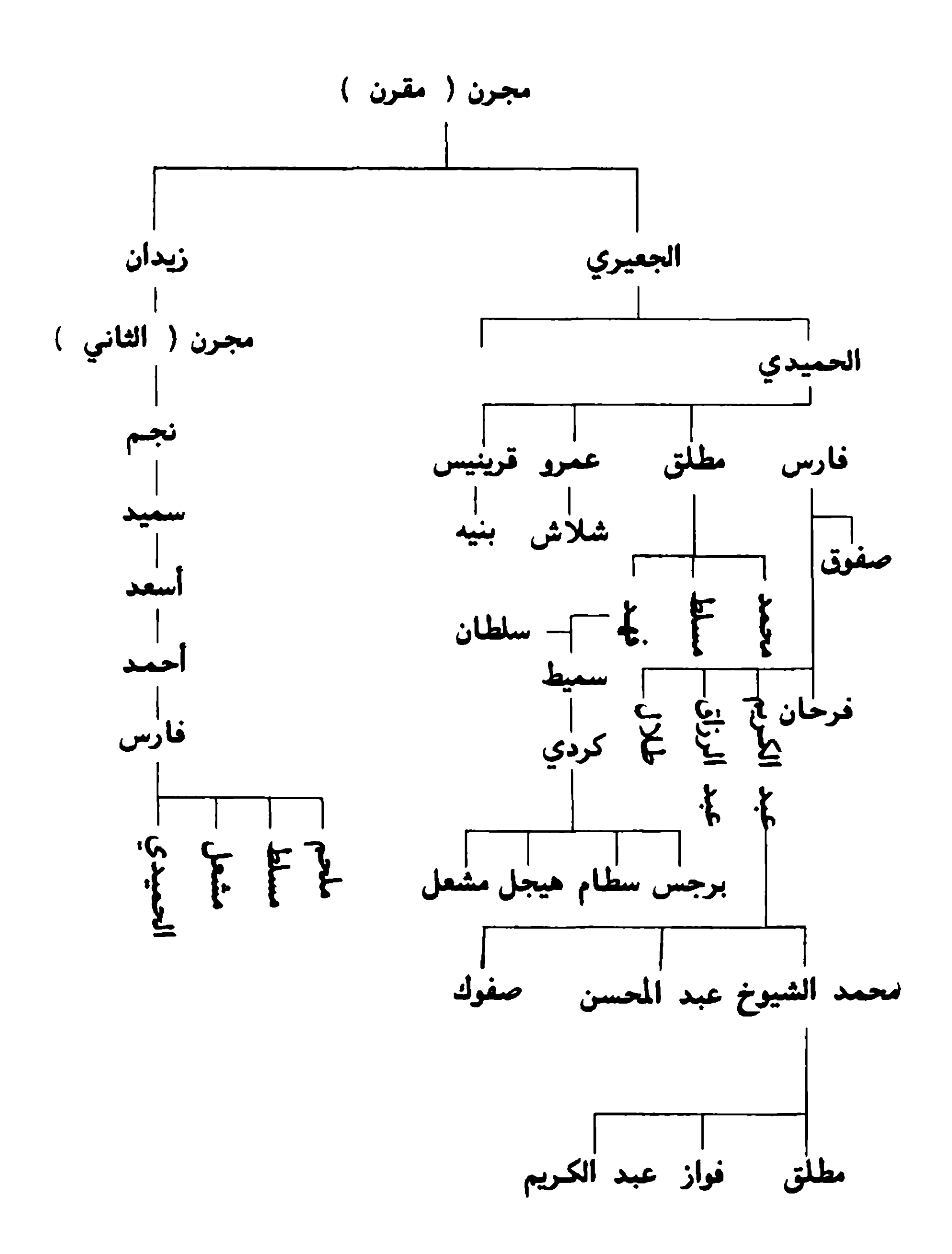
عشيرة قحطانية وهذا صحيح أما إذا كان المؤلف يريد أن يحدث ثورة بالأنساب ليلفت أنظار القرّاء على أنَّهُ مجتهد وبالتالي إنه حقق ودقق وإنه يستحق المكافآت المالية من الجربان فما عليه إلا أن يمد يده لأي منهم وهو يصفهم بأنهم (كبار العطايا) حيث يقول: عبد الكريم المحمد بقصيدته التي ردَّ بها على والي بغداد.

" بالغصب ما نعطي عدال الرغيف وعند الرضا حنا كبار العطايا"

فإنه سيربح حتماً وهذا خيرٌ له من أن يطالع القراء بمقتضبات لا سند لها.

ومن جهة أخرى لا أشك أنّ مؤلف كتاب الجرباء قد جُنِّد من قبل جهات حكومية غير عراقية والعراق بلد المؤلف ليلعب لعبة تاريخية مدروسة، ومقصودة سيما وأنّ الدكتور العثيمين هو فارس هذه اللعبة في ميدانٍ مكشوف ينظره به كل مكذب، وناقد ورافض لهذه الأقوال التي ما أنزل الله بها من سلطان.

ونحن إذ نسجل خارطة نسب آل جرباء الموجودة في كتاب الجرباء في التاريخ والأدب لمؤلفه أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري فلأنه هو التقطها من غير قلمه ، ألفت نظر القارىء الكريم لمطالعتها في الصفحة رقم /٢٦ / .



مجرن (مقرن)
زيدان
الجعيري
مجرن (الثاني)
الحميدي
نجم
قرينيس
عمرو
مطلق
فارس
بنيه
شلاش
صفوق
سميد
أسعد
سلطان
محمد
مسلط
محمد
أحمد
سميط
فرحان
فارس
كردي
طلال
عبد الرزاق
عبد الكريم
برجس
سطام
هيجل
مشعل
صفوك
عبد المحسن
الشيوخ
محمد
مطلق
فواز
عبد الكريم

أبناء فرحان بن صفوق

١ - عبد العزيز	
٢ - شلاش	أبناء درة الطائية ويقال لهم (الدرة)
٣ - فيصل	
٤ - عبد المحسن	
٥ - هايس	أبناء سرحة الزوبعية
٦ - ثويني	
٧ - العاصي	
٨ - مجول	أبناء جزعة ويقال لهم (الجزعة)
٩ - جار الله	
١٠ - مطلق	يقال له ابن العيط من زوجته نوير بنت العيط
١١ - الحميدي	
١٢ - زيد	ويقال لهم الباشات أبناء الجرجرية إبنة سعدون
١٣ - أحمد	الجرجري الكردي.
١٤ - ميزر	أمه (بهيمة) بنت ابن قشعم
١٥ - سلطان	ويقال له إبن القشعمية

نقلاً عن كتاب آل جرباء في الأدب والتاريخ - ٢١٣

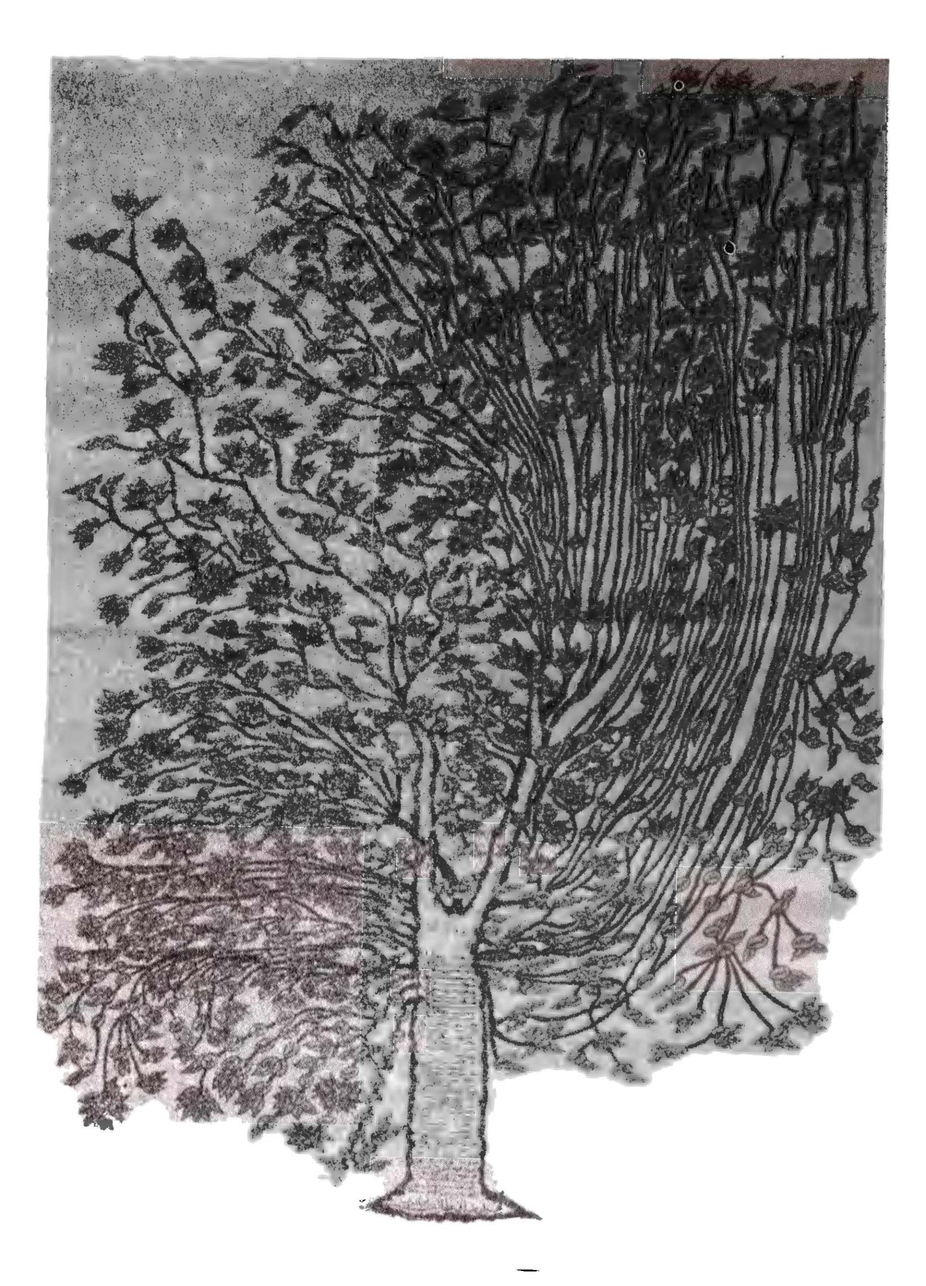
وعلى أية حال ، فإن نسب الجرباء هو نسب عائلة من عوائلِ أمراءِ القبائلِ الذي لا يختلف على صحته إثنان، بل وهو في حقيقته أسمى من أن يستطيع أن يناله المتشككون بألسنتهم، وبأقلامهم. وما أكثر الدلائل على صحة كلامنا تاركين حقيقة زيف أقوال صاحب كتاب الجرباء لحكم كل قبائل شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين وبلاد الشام. بل وملائكة الله فوق الأرض، وتحت السماء.

وأبسط مصدر كتابي ألفت له نظر مؤلّف كتابَ آل جرباءَ في التاريخ والأدب، هو تاريخ ابن الأثير (الكامل في التاريخ المجلد الثاني/ ص ـ ٢٠٥/ ففيه الحقيقة، وفيه القناعةعلى الرغم من خطأه بأنه نسب آل جرباء للعباس بن عبد المطلب وهذا ليس بصحيح ألا أن الصحيح هو في كتاب الدرر السنية في الأنساب الحسنية والحسينية أما باقي ما وصف به آل الجرباء فهو غير صحيح.

وبناءً على هذا فعلى القارىء أن يطالع هذه الشجرة أدناه. وعندها فليراجع المتقولون أنفسهم وليثبتوا بأنفسهم عواقب جهلهم ودسهم بأنساب الأشراف وليتذكروا قوله تعالى : ﴿ أعلى الله أم على أنفسكم تفترون ﴾ صدق الله العظيم .

أخي القارىء :

لاحظ اسم علي بن أبي طالب بنهاية شجرة نسب آل الجرباء .



شجرة نسب آل محمد الجربا بيت الرئاسة على قبائل شمر



والدنا الكبير

المغفور له أمير أمراء شمر المرحوم الأمير دهام الهادي العاصي الفرحان الصفوك الفارس الحميدي آل جرباء.

عليه رحمة الله ورضوانه وأسكنه فسيح جنانه



المغفور له والدنا الكبير أمير أمراء شمر

الأمير دهام الهادي الثالث من اليمين عليه رحمة الله ورضوانه أثناء إقامته وليمة غداء لبعض المسئولين الكبار الذين يبدون معه في هذه الصورة الوليمة بمقهى ومطعم كرييس بمدينة القامشلي.

المغفور له المرحوم الشيخ

الحاج صفوق الهادي (آل جرباء)

عندما أشرف هذا الكتاب ببحث المغفور المرحوم عمي الحاج صفوق الهادي العاصي الفرحان الصفوق الفارس الحميدي. فإني لا أتحدث عن شيخ هو من أعظم شيوخ آل جرباء وشيخ من أنقى شيوخ شمر وحسب.

بل، إن مجرد حديثنا عنه رحمه الله. فإنه يعني: الحديث عن المسلم التقي. والمؤمن الزاهد. والفارس المشهور بصبره. وفقيد شمر الذي هو فقيد الحق والعدل والايمان.

المغفور له مسلم تقي :

ولد في البادية وهو أكبر إخوانه: أمير أمراء شمر والدنا الكبير دهام الهادي، وأخويه فزع ، وصعب رحمهم الله أجمعين ، إنتقل إلى جوار ربه الكريم بعام ١٩٧١م .

تغمده الله بواسع رحمته ورضوانه كان رمز العربي البدوي المشهور بصدقه فمه عطّره الله بريحان الجنة، لسانه الذي لم يلهج إلا بقراءة القرآن جعله الله حامياً له يوم تبلى ألسنة الكفار والمشركين والملحدين والفاسقين في جهنم . فمه، لسانه لم يسمع منهما الكلام البذىء الرخيص ولم تنبس شفتاه بكلمة

كذب أو زيف أو ما يغضب الله والناس والدليل على صحة وصفي رحمه الله تتأكد منه أخي القارىء في السطور التالية.

منذ نشأته وهو متعبد لله الذي لا تحنى الرقاب لغير عزته سبحانه وتعالى. فعندما رحل والده الهادي لعالم الله. رفض مشيخة شمر فآلت لأخيه الذي هو دونه مباشرة والدنا الكبير أمير أمراء شمر المغفور له المرحوم دهام الهادي الذي كان عمره سبعة سنوات فقط .

السبب : هو أن قبيلة شمر ذات تقليد وعرف وضمير وأمانة فأمارة شمر محصورة في بيت العاصي فالهادي فوالدنا الكبير أمير أمراء شمر المغفور له المرحوم دهام الهادي وذريته دون غيرهم من أبناء العمومة. وكون المغفور له عمي المرحوم الشيخ الحاج صفوك الهادي باع نفسه لله طبعاً وللدار الآخرة، فقد أدرك أن القلب لا يمكن أن تشغله زينة الحياة الدنيا. لهذا فهو عابد راكع ساجد. زاهد طلق الدنيا واستمسك بالعروة الوثقى حبه وطاعته لله.

حج لبيت الله مستطحباً المغفور لها والدته جدتي المرحومة عانود المجول [1] رحمها الله. كانت حجتها على ظهور الإبل مؤدياً فريضة الله وحق المسلم تجاه ربه وتجاه والدته كما إنه حج الثانية والثالثة.

هو أول بدوي بعموم قبيلة شمر يبني بيتاً لله سبحانه وتعالى ـ مسجداً ـ في قريته أم كهيف باستثناء المغفور له المرحوم عجيل الياور شيخ مشايخ شمر بالعراق فقد سبق المغفور له عمي المرحوم الحاج صفوك إذ أسس مسجداً بحي الدواسة في مدينة الموصل لا يزال قائماً ويعرف بجامع عجيل.

---

(١) آل مجول: مجول والد جدتي الحاجة عانود رحمها الله كان يحمل وسام باشا وهو ابن فرحان باشا تاج شيوخ شمر ولهذا كان يلقب بـ (النارين) أي الذهب الصافي الذي لا غش فيه. ولم يكن في أبناء عمومته من الشيوخ من يجرأ أن يناسبه أم يصهر إليه إلا كبار أكابر أبناء عمومته.

ومن صفات المغفور له عمي المرحوم الحاج صفوك إنه سلم كل أمور زراعته وشؤون بيته لإبنه الأكبر الشيخ عبد الرزاق الذي يكنى به أما هو فلم يتقبل من متاع الدنيا إلا ثوباً ومعطفاً وغترة وحذاءاً من أبسط الملابس في حين إن خدمه يلبسون الأقمشة الانكليزية التي تحمل عبارة Made in england ثم مسجداً يصلي عليه وإبريقاً نحاسياً يتوضيء بماءه وسبحته يسبح بها الله وقرآناً يقرأه بالليل والنهار.

دائماً تجده جالساً في البرية وحده يصلي ويقرء القرآن، ولا يقص على أحد ولا يريد أن يسمع غير ذكر الله والصلاة والسلام على محمد رسول الله وآل بيته الطيبين الطاهرين. كما إنه يتجند مسدسه لا يفارقه إلى أن رحل لعالم الرحمة إنشاء الله.

كان كريماً محسناً عطوفاً حنوناً لكل أهله من ذكر وأنثى كبيراً وصغيراً محترماً لا يمس مشاعر أحد من الناس شجاعته أكبر وأضخم من أن يستطع قلمي أن يصفها، تهابه الرجال كما تهاب الخراف الأسد الهصور. ولكن به هدوء وسكينة رحمانيتين بكلا حالتيه الغضب والرضا .

صبره على الشدائد وكتمان السر:

على الرغم من شدة ورعه وتقاه ألا أنه بدوي بأية حال، والبادية لها من التقاليد ما بقي رغم سيادة الاسلام ومنها الغزو والقتال بين المسلمين.

توجد عشيرة من قبيلة عنزة تدعى الشملان، شيخها الفارس البطل الشاعر المصقع ساجر الرفدي راعي البويضة وهو أحد أبطال الصحراء الخمسة الذين صنفهم الأمير محمد السديري.

ساجر شيخ عشيرة الشملان له ولد أعقبه بمشيخة الشملان يدعى مرضي ترأس عشيرة الشملان بعد وفاة ابيه ساجر، ومرضي خلف عدة أولاد أحدهم (عضيب) ذهب عقله من بعد ما كان من خيرة الرجال وزينة المجالس فأخذ يجوب الديار ما بين السعودية وسورية والعراق يسير في البراري بشعر رأسه الكثيف. ولحيته التي تتدلى إلى ما تحت سرة بطنه يمسي بمكان ويصبح بغيره (فاقد)، ولكن كثيراً ما يأتي لقرية بل لمضافة المغفور له والدنا الكبير المرحوم دهام الهادي عليه رحمة الله فيمكث شهراً أو أقل أو أكثر .

ومع إنه لا يُستَحمَل ألا أنه يحظى بكل تقدير واحترام وعطف من قبل المغفور له أمير أمراء شمر والدنا الكبير المرحوم دهام الهادي رحمه الله. السبب كما يقول رحمه الله.

إنه حفيد البطل ساجر (إرحموا عزيز قوم ذل وأكرموا غني قوم افتقر) فلا يجلسه رحمه الله إلا بجانبه وحيثما دعيّ والدنا الكبير رحمه الله اصطحبه معه، خوفاً عليه من أن يستهزء به المستهزؤون.

غزى المغفور له المرحوم عمي الشيخ الحاج صفوق بشمر ووجهته عشيرة الشملان، فكان المناخ ـ المعركة ـ في الشامية. فهب الشملان ،لاقاة شمر برئاسة شيخهم مرضي بن ساجر الرفدي وابن هذا الرجل ـ الفاقد ـ عضيب.

دارت الدائرة على شمر وبعد أن أصبحوا بمنجاة عن الشملان التم شملهم وراحوا يتفقدون بعضهم بعضاً فلم يجدوا أحداً مفقوداً سوى (عقيد الغزو) المغفور له عمي المرحوم الحاج صفوق الهادي رحمه الله.

حزنوا عليه. فأصر مرافقه الخاص إلا أن يعود لأرض المعركة.

نهاه من معه، خوفوه بأنه سيقتل . قال : لا بد إلا أن يرجع فإما يجد

جسده حيّاً أو ميتاً أو أن يلحق به إلى حيثما صار وذاك الرجل ليس هو شمري أصلاً إنه من قبيلة خفاجا عامر، إنه المغفور له عودي الهلوب رحمه الله.

من قوانين الحرب عند البدو وهي أحد ثوابت قواعد البادية التي هي أشرف وأصدق من قوانين هيئة الأمم المتحدة بالنسبة للحروب أنه :

١ـ عندما تنشب معركة بين عشيرتين أو قبيلتين مهما كانت الخسائر فانهما يتحاجزان تلقائياً مع سقوط قرص الشمس في مغربها.

٢ـ بعد أن تنسحب كل فئة عن أرض المعركة للوراء بساعات قلائل ترسل فئة بعض مقاتليها وكل فريق يتعرف على من فقد من صفه فيحسبون القتلى وينقلون الجرحى دون أن يمس أي طرف الطرف الآخر بكلمة غلط واحدة.

عندما دخل عودي الهلوب أرض المعركة وراح يقلب الجثث وبيده قداحة يتبين على ضوئها وجه المغفور له الحاج صفوك الهادي في حين إن الشملان الذين يبحثون عن قتلاهم كانوا ستة أحدهم شيخهم مرضي أبو عضيب.

عثر عودي على عمي الحاج صفوك حيّاً يرزق لكنه مثخن بالجراح إذ ليس لمن مثله إلا أن تكون طعنته في واجهة صدره وليس من خلف إلا إذا ما حصل له غدرٌ من رجلٍ لا يعرف إلا الطعن من خلف لكن عودي عندما وجد المغفور له عمي المرحوم الحاج صفوك أثخن بضربات السيوف وطعنات الرماح ويطلب الماء ولا ماء حول عويدي ... أخذ يبكي ...

أجابه شيخ الشملان مرضي ـ لماذا يا شمري تبكي، ها أنتم غطيتم أرض المعركة برجالنا ما بين قتيل وجريح هل سمعت فنيا من يبكي ؟

أجابه عودي :

قتلاكم ليس كقتيلي. قتيلي صفوك ولد الهادي... أي عشيرتك أحياءها بقتلاها لا تعادل شخصية قتيلي حاج صفوق الهادي. طبعاً وعودي لا يدر إن الذي يخاطبه هو مرضي شيخ الشملان.

صاح مرضي (إكبر يا حظي وأنا كبير البخت، إكبر يا حظي وأنا كبير البخت) وهذه عند فرسان وأبطال البادية ما يعتبر من أسعد الحظوظ في الحياة وهي أن يأسر رجلاً شهماً أو شيخاً مشهوراً فيعامله بمقتضى قوانين الحرب والأسر في البادية بكل رحمة واحترام وتكريم.

فحمل هو ورجاله الحاج صفوك على ناقة ومعهم قتلاهم وجرحاهم وفي مقدمتهم عودي الهلوب.

والدة مرضي كانت حكيمة ولها خبرة بمعالجة الجروح فظلت ثلاثة أشهر تشرف على علاج المغفور له المرحوم عمي الشيخ صفوق إلى أن برأ وشفيَ تماماً.

ورغم جراحه ومعاناته لألامه كان تقام له بكل يوم ثلاثة ولائم صباحاً ببيت وظهراً ببيت ثاني وعشاءاً في بيت ثالث في عشيرة الشملان وكان كلما يتوجه لدعوة يسير بجانبه شيخ الشملان مرضي وبقيت الرجال وراءهما. أرأيت أخي القارىء أخلاق البدو؟ هل الدول المعاصرة تعامل أسراها بهذا الشكل وهذا الاحترام.

بعد ثلاثة أشهر ودع المغفور له المرحوم عمي الشيخ حج صفوك عرب الشملان على ذلولٍ حر قدم له منهم وبرفقته مرافقه الوفي المرحوم عودي الهلوب. فعاد لأهله وعشيرته.

في عام ١٩٧١م مرض المغفور له عمي المرحوم الشيخ حاج صفوك مرضته الأخيرة.

في آخر لحظات حياته عليه رحمة الله كان والدنا الكبير المغفور له أمير أمراء شمر المرحوم دهام الهادي يجلس أمام المرحوم عمي الشيخ الحاج صفوك وهو مسجى على فراش الموت يحيط بهما فريق من أطباء مدينة القامشلي. وعالم غفير من قبيلة شمر.

كنت واقفاً خلف المغفور له والدنا الكبير المرحوم دهام الهادي وكان الفاقد عضيب بن مرضي ساجر الرفدي واقفاً بالجهة المقابلة أمام عيني المغفور له والدنا الكبير أمير أمراء شمر المرحوم دهام الهادي.

أنَّ عمي المرحوم الشيخ صفوك بهدوء قائلاً (يا رب) بتضور، ثم أردف مخاطباً أخيه دهام، قائلاً :

يبه دهام دير وسادي . أي إقلب رأسي للجهة الأخرى ثم أنّ آه مرة أخرى قائلاً : ففعل والدنا الكبير المغفور له دهام أمير أمراء شمر وسأل أخيه: يبه صفوك هل يؤلمك شيء؟

قال: ما تحت أذني. سأله ماذا يؤلمك تحت أذنك ؟ قال مكان طعنة رمح عندما غزوت الشملان وتلاقيت أنا ومرضي فطعنني برمحه تحت أذني.

حسب الحاسبون وإذ خمسة وخمسون سنة من تاريخ اليوم ١٩٧١ لعام تلك المعركة. ولم يتحدث عن جرحه خجلاً وحياءاً.

فأين نحن أبناء اليوم من صبر البطل الصبور المغفور له عمي المرحوم الشيخ صفوك الهادي ؟

ثم قلب رأسه نحو اليمين وهو يتلو قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا أصابتكم مصيبة فقولوا إنا لله وإنا اليه راجعون﴾. ولفظ الروح. اللهم تغمد تلك الروح وذاك الجسد برحمتك التي وسعت كل شيء يا الله.

رحلّ عمي المرحوم الشيخ الحاج صفوك ورحل معه الصدق

رحل ورحل معه العفاف

رحل ورحل معه التقى والطهارة

رحل الأمير الذي لم يرقه من الألحان إلا ترتيل القرآن الكريم

رحل الولي التقى الذي لم يلفت سمعه إلا نداء الله وأكبر الله وأكبر لا إله إلا الله محمد رسول الله.

رحل عزيز الجار ومكرم الضيوف رمز الوفاء للقريب والصديق

رحل عن دنيا ضحى بها ليكسب ما هو خيرٌ منها دار القرار فجعل الله ترابه فيها من حوض الكوثر وطعامه برياضها من خير ما في الجنة فاكهة لا تبلى ولا تفنى.

غفر الله لك ورحمك الله يا عمي بكل حرف قرأته بصلواتك وبكل لحظة صمتها لوجه الله.

نقل جثمانه لمثواه الأخير ورجلاً واحداً لم يقل تكريمه ولا تبخس كرامته هو عضيب بن مرضي فأين نحن من عزمك وحلمك وصبرك وشهامتك ياوالدنا الكبير ، يا من عقمت أن تلد النساء مثلك يا أبو سعود.



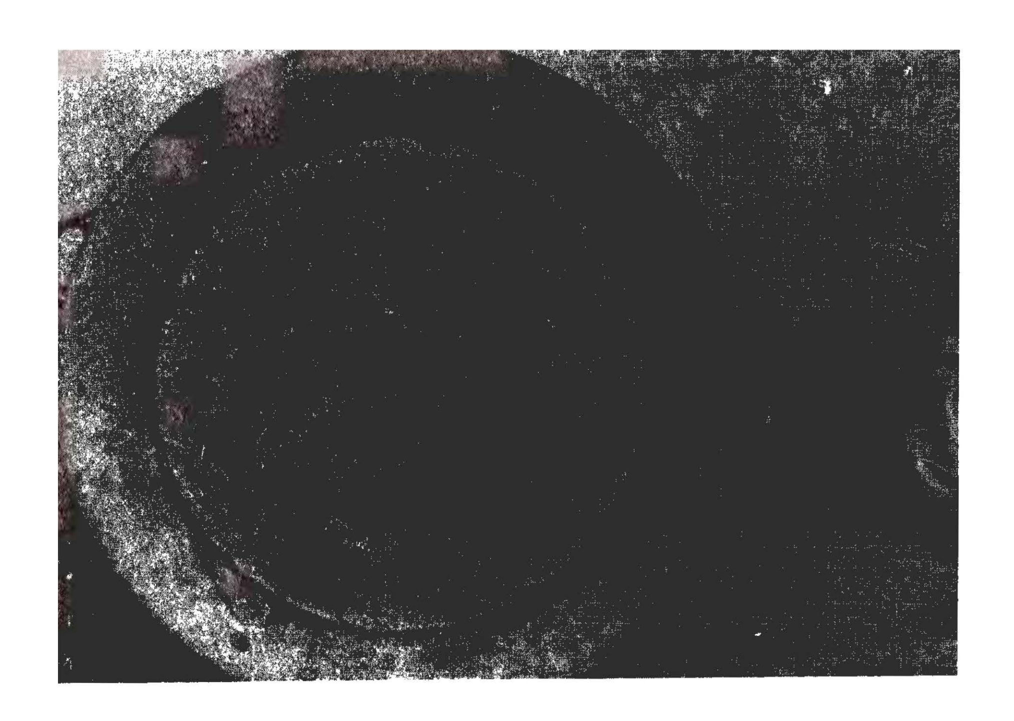
شيخ قبيلة شمر وعشائرها بسوريا

الشيخ حميدي دهام الهادي العاصي
الفرحان الصفوق الفارس الحميدي آل جربـاء

الصقر لا يسمى صقراً لإقدامه على فريسته وحسب. بل أهم ما يسمى به سيد الطيور بالصقر. لأنه سليل صقور وليس هناك من ليث إلا لأن أبيه وأجداده أسود وبإستثناء السلف رحمهم الله. فشمر تعتز ولها الفخر بأن ليث شمر لم يرحل إلا بعد أن ترك لنا ليثاً أثبت إنه ليث، وإنه صقر، وإنه سيف باتر. في أكثر من موقف.

لا أريد أن أعدد من صفاته العربية السامية فالمجتمع يعرف ويخبر مواقفه التي هي رفعة رأس لكل شمري. سوى صفة واحدة أعتز بأن أذكرها له في هذا الكتاب وهي الصفة التي ورثها من والدنا الكبير المغفور له أمير أمراء شمر المرحوم دهام الهادي وهيَ: إنه لم يطأطىء رأسه لغير الله. وإنه الشيخ الثابت المبادىء الذي لم يتغير ولم يتبدل مع تبدل الأيام. انظر الإحمرار الدائم في عينه اليسرى (إنه حمر عين بحق وحقيقة).

(فتحية شمر لكم يا شيخ شمر) .



(شويخ)

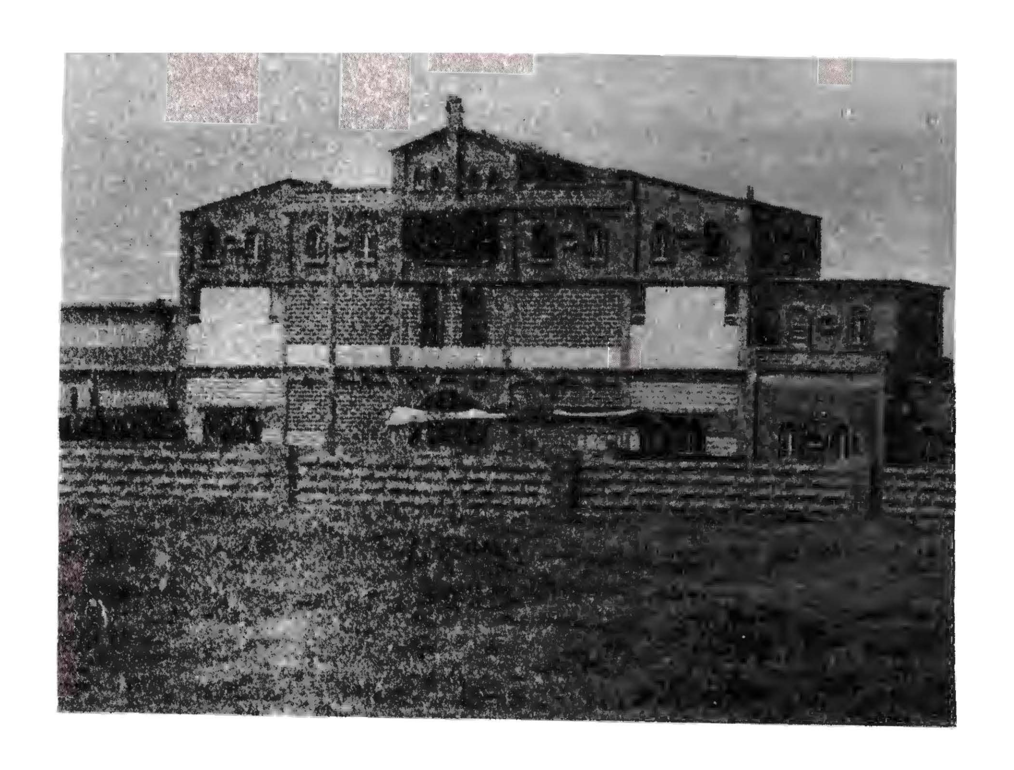
هذه صورة شويخ : صحن المغفور له والدنا الكبير أمير أمراء قبيلة شمر المرحوم دهام الهادي. به ومن خيره أكل وعاش ملىء من الجياع والفقراء والمساكين وحوله جلس أمراء وشيوخ وفرسان وأبطال وكرماء وأجاويد بخيره عاش اليتامى والأرامل والغرباء. منه أكل رؤساء جمهوريات ووزراء وقادة عسكرين وسياسيين شويخ: يتسع لكيسين أرز مطبوخ وأربعين خاروف وناقة. وكان ينادى عليه يقف العبد وكلنا عبيدّ الله سبحانه وتعالى ويصيح ثلاث مرات ظهراً ومساءاً : شويخ ، شويخ ، شويخ . أي يدعو كل من في عرب والدنا الكبير المغفور له أمير أمراء شمر المرحوم دهام الهادي رحمه الله.

اللهم إجعل كل لقمة أكلت وستؤكل مستقبلاً رحمة على روح والدنا الكبير أبو سعود أمير أمراء شمر المغفور له المرحوم دهام الهادي رحمه الله.



(الشيخة)

وهذه صورة الشيخة : أيضاً هي من صواني المغفور له والدنا الكبير أمير أمراء شمر المرحوم دهام الهادي عليه رحمة الله. وكيف لا تكون هذه صوانيه وهو سليل آل بيت طاهرين مطهرين قد أنزل الله سبحانه وتعالى فيهم قوله الكريم : (يطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماًوأسيراً).



(قلعة المجد)

قالت العرب : من خلف مامات.

هذه صورة ربعة (مضافة) شيخ شمر الشيخ حميدي دهام الهادي آل جرباء. وهي المضافة التي سمتها شمر: بـ (قلعة المجد)

انظر الصورة جيداً فالبناء بطابقيه كله مضافة للرجال فمن أي جهة إتجهت نحوها تبين لك من مسافة خمسة عشر كيلو متر. ثم انظر بيت مصيف قطني مبني بفناء المضافة الواسع يجلس به الرجال في الربيع والصيف. لقد أبت على الشيخ حميدي أن يبتني هذه المضافة في أحد المدن السورية بل بناها بالبادية في مقر عاصمة شمر التقليدية (تل علو). مضحياً بثمانية ملايين ليرة سورية السبب كي يتمكن كل شمري من الحضور والجلوس والإستئناس بمجلسه فيها وبرحاب شيخ شمر الشيخ حميدي دهام الهادي.



(قلعة المجد)

مضافة شيخ قبيلة شمر وعشائرها حميدي دهام الهادي بقريته عاصمة شمر تل علو. وقد علتها صورةالمجاهد المناضل بطل الصمود والتحدي والتحرير فخامة رئيس الجمهورية العربية السورية الرفيق الأمين الركن الطيار أبو باسل حافظ الأسد حفظه الله وأعزه بخمسة عشر مليون عربي سوري كلهم باسل. انظر فرقة الهوسة (الحداء) من فتيان شمر أمام المضافة.

أمير أمراء قبيلة شمر وعشائرها

حميدي دهام الهادي آل جرباء

هو : الأمير حميدي دهام الهادي العاصي الفرحان الصفوك الفارس الحميدي. سموه الحميدي تشبهاً بصاحب آخر اسم هو إسم جده الحميدي صاحب التاريخ العربي الشمري الفخم فكان إسماً على مسمى وشجر الخيزران تقتطع منه الرماح وأغصان الورد يصنع منها مراود كحل العيون.

ولد الأمير حميدي دهام الهادي ـ دام مجده ـ في(حمو وكر)الحرية حالياً ، ولم تكن سابقاً قرية بل سهول فيحاء تتوسطها أربعة تلول كبيرة كانت منازلنا تحت ظلال وبأمرة والدنا الكبير المغفور له أمير أمراء شمر المرحوم دهام الهادي رحمه الله.

كان مولده عام /١٩٤٥م/ شهد بين ذراعي والدنا الكبير المغفور له أمير أمراء شمر من الدلال والمحبة ما لم يره غيره على الأقل من أبناء أمراء وشيوخ قبائل وعشائر دولتي سوريا والعراق .

ولكن ظل شأنه كشأن أي طفل في ساحة العز تحت جناح والدنا الكبير أمير أمراء شمر المغفور له المرحوم دهام الهادي عليه رحمه الله. ينشأ ويتربى بادىء ذي بدء في أول مدرسة إجتماعية أخلاقية هو مجلس المغفور له والدنا الكبير أمير أمراء شمر دهام الهادي رحمه الله.

وكانت أول خطوات نشأة الأمير حميدي أن راح يشرب المثل القيمة وأداب البادية وتاريخ شمر مع حليب الثدي الطاهر الذي كان يدر بفمه الحليب الطهور.

ففي قسم المحرم يتواجد مجتمع حريمي مملوء أيضاً بنماذج من الخدم والطباخين والعبيد ولهذا يعتبر المحرم الأميري مدرسة عشائرية تمهيدية إنما موادها الأدبية تضاهي أكبر الثانويات المدرسية النظامية.

نعم مع حليب الرضاعة كانت أذناه تتغذيان بسماع سير تاريخ حياة أمراء وأشراف وأبطال وأجواد وقصائد ووقائع قبيلة شمر وغيرها. فكان كل ما إزداد في العمر أخذت ذاكرته تخزن الجديد مما ذكرنا. ولكن توثيق هذه المعلومات كان يتوثق منها في المجتمع الكبير في الجامعة الشمرية العريقة هو مجلس المغفور له والدنا الكبير أمير أمراء شمر المرحوم الأمير دهام الهادي عليه رحمة الله.

صحيح إن مهده الأول توجد به شاعرات ومتحدثات بالتاريخ وراويات لقصائد وأشعار فرسان شمر وأبطال الصحراء وكرماء العرب.

ولكن عندما بدء يسمع لما يتحدث به رجال المجلس من مثل قيمة، وأخلاق كريمة، وأشعار البدو.وسير قضاءهم . كانت عضلات أذنيه ودماغه قد نضجا وراح يتشرب هذه المبادىء الخلقية والتي هي في حقيقتها جوهر مقومات الحياة الأميرية. واظب على غنم وإكتساب ذلك بكل مستطاعه.

وهذا ما أدهش الناس مما جعل المغفور له والدنا الكبير أمير أمراء شمر المرحوم دهام الهادي يزداد به إعجاباً وله حباً كل ما أطل علينا صباح جديد كما إنه راح يؤكد هذا بشخصه الكريم بكل صدق وشجاعة وباستمرار حيناً بعد حين.

لم يذع صيت هذا الشبل الأميري لكل هذه السمات التي ذكرت بقدر ما كان صيته ينتشر ويتسع بسرعة البرق والنسيم لأنه لا يزال طفلاً .

دون سنّ العاشرة وهو طالب إبتدائي حفظ كل تقسيمات قبيلة شمر من نجد إلى الجزيرة الفراتية. حفظ مئات القصائد القيمة الكريمة التي قالها الشعراء في الفروسية، والجود، والكرم، والوفاء، وحب الوطن، والإخلاص، والتضحية والشعر ديوان العرب كما يقال.

فإن جئته كأمير وجدته كذلك ويدل بسلوكه على إنه إبن عائلة أميرية بحق وحقيقة. وإن جئته بقصد الفوائد الأدبية، فهو قاموس عشائري ومعجم لأدباء شمر والبادية.

ومع كل هذا فهو لم يتعد سن العاشرة ولا عجب في ذلك فإن قبيلة شمر أولت الأمارة والقيادة لوالده رحمه الله وعمره تسع سنوات وهذا مصداق قول الشاعر :

خلفة صفوك وشفت ماكَر عزارون   صيارمٍ فروخه تهوم الهداد

بسن العاشرة راح يتحلى بلبس محازم الفشك الأنيقة الزاهية التي تشتهر بصناعتها مدينة الموصل العراقية ويحمل بكتفه أجمل وآصل البنادق الحربية ثم الرشاشات الصغيرة (التوميكان).

بسن الثانية عشر راح يقود السيارة وفي كل إسبوع يركب الفرس ويطارد مع ثلة من الفتيان الذين هم أكبر منه سناً. فقد أحب الفروسية وركوب الخيل.

وما كاد أن يبلغ سن الثالثة عشر من عمره حتى صار من أمهر ليكانيكين خبير بإصلاح السيارات والجرارات والحصادات لأن كان بقرب مضافة المغفور

له والدنا الكبير أمير أمراء شمر المرحوم دهام الهادي رحمه الله مرآب كبير وبه أفخم عدة ميكانيكية صناعية بإدارة أفخم وأمهر الميكانيكيين الأرمن حيث خرّج ذلك المرآب العشرات من السواق والميكانيكيين الذين إكتسبوا الصنعة لكن كان الأمير حميدي أمهرهم حيث صار له أيضاً ولع في ذلك.

ترك دراسته في دمشق بعد أن أشرف على الثانوية العامة وعلى ما يبدو إنه وجد أن مدرسة والده الكبرى الجامعة الشمرية ـ المجلس ـ أريح لنفسه وأفيد من حيث العلوم التي تخصه هو بالذات ولا مناص له من أن يزداد ويستفيد منها أكثر وأكثر. لأن مصدر الثقافة إثنان، إما مجالس وإما مدارس وقد عب واستفاد من الإثنين مع إحتفاظه بحق تفضيله لعلوم المجالس.

شب الأمير حميدي واستمر على زيارات قومه يومياً كل يوم يدعى لوليمة بين مضارب قومه شمر وفي كل يومٍ يقضيه بينهم يزداد من علوم ومفاهيم البدو والبادية ناهيك عما تشربه من تاريخ أسرته آل جرباء، وأشهر أمراءهم أرباب الجود والبطولة مثل عبد الكريم الأول الملقب بأبي خوذة أي كل ما يطلب الطالب يقول له خوذه أي خذها، وجده الأمير بنيّه بن قرينيص، الفارس المشهور والذي وصف على لسان إبنته الأميرة الشاعرة عبطة والتي وصفته في معرض مرثيتها له عندما قتل .

(بنيّه بعيد العلم يسوى عداله   ياما صفكت يمناه من مال ورجال)

وجده فارس الأول الذي قاد شمر من نجد للجزيرة الفراتية فقهر العباد ودوخ البلاد، وجده صفوق الملقب بصفوق المحترم ولقب بسلطان البر، وجده فرحان باشا الأمير الفارس العالم وجده العاصي أهم أبطال البادية والصحراء إذ

كان مشهوراً بالفروسية والقيافة والشعر، وجده الهادي بن العاصي الذي يسمى (الفيض) ويقول الرواة إنه إذا دخل معركة يصرخ وإذا صرخ تفحج الخيل لصرخته أي تفتح أوراكها وتلصق بطونها بالأرض خوفاً ورعباً.

وفيه والدنا الكبير أمير أمراء شمر المغفور له المرحوم دهام والذي أُقسِمُ أن لا أعلم شجاعاً يزود عليه بشجاعته إلا جده أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين علي بن أبي طالب عليه السلام. وما أكثر الشواهد التي يضيق المجال بذكرها.

كل من ذكرت عليهم رحمة الله. هم أجداد الشيخ حميدي . وحميدي تربية وخريج مجلس أبيه عليه رحمه الله. فكيف لا يكون محط إعجاب المتشوقين لمعرفة شخصيته وأخباره لكل ذلك.

أولاه والده رحمه الله عناية واهتماماً بالغان من دون أبناءه. فسلمه كل شأنٍ يمثله. وظل الشيخ حميدي ملتصقاً بوالده في قرية (تل علو) التي أصبحت فيما بعد عاصمة لشمر.

فإتصف بخفة الروح وحسن التواضع وهبة الريح وحبه لكل شمري حباً قلبياً روحيًا صادقاً.

يقيم الولائم لشمر ولغيرهم يومياً ، يكسي الناس ، يزوج العزاب ، يسلح شمر ، يجود على من قصده ، عطوف ، مسامح ، حليم ...

يعامل الناس وخاصة أبناء شمر على ما كان أجداده يفعلون بل وبزيادة منظمة. يبذل كل ما يحصل عليه بسنة في لحظة واجب واحدة.

يقدم على المكرمة ولا يسأل كم تكلف أو ما عسى أن يبقى مما يملكه بيديه.

يقدم على خوض المعركة ولا يسأل عن عدد من هم أمامه من أعداء لأنه مؤمن بالله والله عز وجل هو وحده المغني والكافي وهذه سنة أباه وأجداده عليهم رحمة الله.

أخذ الشعراء يأمونه ويكثرون من مدحه بقصائدهم وأشعاره واصفين كرمه وجوده وأبرز الشواهد على ما أقول من حيث كرمه أن إستضافه الأمير عبد الرحمن بن عبد العزيز آل سعود في مقره بتل علو. فلأجل تكريم هذا الضيف السعودي الكريم رأى الشيخ حميدي إن صحن المغفور له والدنا الكبير أمير أمراء شمر المرحوم دهام الهادي لا يف بالغرض. علماً إن (الصحن شويخ) يعرفه ويسمع به كل أبناء القبائل بالجزيرتين سوريا والعراق وسكان نجد. (شويخ)[1] يتسع لكيسين أرز وأربعين ذبيحة وناقه، وسبق وأني تحدثت عنه في كتابي (حياة المغفور له دهام الهادي أمير أمراء شمر).

---

(١) شويخ : في البادية مثل صادق، يقول: العين ما تحب الحاجب وهذا صحيح . خاصة بالنسبة لشيوخ القبائل ، قليل فيهم من يعترف بحق غيره.

كنت ذات يوم، سائراً بحلب فشاهدت شيخاً عزيزاً عليَّ ويعتبر هو الشيخ حماد علي الأسعد الفاضل جالساً في مقهى وبجانبه رجل لا أعرفه بعد أن سلمت على الشيخ حماد وجلست وعرف الرجل الثاني من سياق الحديث. أني أنا أنور عسكر مؤلف : كتاب حياة المغفور له والدنا الكبير دهام الهادي. أخذ يسألني عن ذاك الكتاب وانهال عليَّ بالإنتقادات التي لاصحة فيها ولا سند لها. وأكثر ما ركز في انتقاداته حول موضوع (الصحن شويخ) وغاية ما قاله أن وصفي لهذا الصحن ليس صحيحاً . فتدارك الحديث حماد وقال: هذا الرجل يا أستاذ هو فلان بن فلان. لم أكن أعرفه لكن أبوه رحمه الله هو شيخ عشيرة عريقة وكنت أسمع عن أبيه بل وجالست أبيه كثيراً وأشهد إن أباه شيخ ومن أبطال العرب وفرسانها وكرمائها. وعلى الرغم من أن حماد علي الأسعد الفاضل تدخل بالحديث وقال: نعم، نعم، والله كل ما كتبه الأستاذ أنور من وصف عن شويخ صحن عمه المرحوم دهام هو صحيح وأنا جلست وأكلت منه أكثر من مرة ودهام رحمه الله (صوت بالعشا) والذي يصوت بالعشا ماذا تتوقع أن يكون صحنه؟ فأجبت ذلك الشيخ الشهم : ما دمت لا تصدق تفضل وقدم ثلاثة أكياس أرز وليس إثنين كما أنا ذكرت وأربعين ذبيحة وناقة ونضعهن بجوف شويخ. فإن استوعبهن فنحن نأكلهن بلا منة لك ونطالبك بحق عشائري أكبر من الخسارة . =

لقد عرضت في الصفحات السابقة صور الصحن شويخ وأخته الصينية الشيخة ، وأنا لا أعرض صور هاذين الصحنين لأحمل القراء على تصديقي لأن ملايين من الناس من بلاد المغرب العربي واليمن وباكستان وأعالي تركيا جلسوا إلى شويخ والشيخة وأكلوا منهما. وليس معنى كلامي هذا أني أحمد في عمامي الجربان وحدهم على الرغم من قول الشاعر :

"يا الليث معهم إسامي وغليطهم بالطيب يگصر اليادون"

بل أقول الجزيرة مليئة بأهلها وأجوادها، الجزيرة فيها خوالي الملاحمة عوجان المناسف، أهل الرغيف، حمول الخيل خوان هدلة .

والجزيرة فيها آل عساف خوان عمشة أحفاد ملك الجود حاتم السخي، والذين من أحفاده المغفور له شيخ قبيلة طيء التي أعطيت السيادة على العرب محمد أبو فارس، ومنهم المغفور له شيخ طيء عبد الرزاق النايف العساف رحمه الله الذي ذبح مئة وخمسة ذبائح وقدمها بعشاء واحد للضيوف وفيهم أمير طيء محمد عبد الرزاق النايف آل عساف شيخ طيء الحالي الذي فاق بجوده جود جده حاتم الطائي. أجل وأحترم كل أشراف العرب وأجوادها وأبطالها غير إني حيث أتناول في هذا التقييم حياة شيخ شمر الحالي حميدي الدهام. فأقول إنه فاق بجوده كل من سبقه من أهله . وأحد الشواهد إنه عندما أكرم ضيفه الأمير عبد الرحمن آل سعود إستصغر الشيخ حميدي بعينه الصحن شويخ . ففصل لدى أحد الصناع المهرة بمدينة القامشلي صينيته (الفيضة) وإليك صورتها.

= وإن لم يستوعبهن فأنا أعيد لك ستة أكياس رز وثمانين خاروف وناقتين . فسكت الرجل الذي راح يعتذر مدعياً أنه أراد التثبت حول ما قرء من فمي ثم نهضت تاركاً الرجل يهيل لسانه سحابةً من الإعتذارات.



صينية الشيخ حميدي الدهام الهادي

ومنهم من يسميها (أم الربيع) هي صينية شيخ قبيلة شمر وعشائرها حميدي دهام الهادي وهيَّ أكبر صينية تكريم تقدم للضيوف بين شطي الفرات والدجلة تتسع لمئة خاروف باستثناء الأرز والخبز مركبة فوق دواليب تسحب بواسطة سيارة إنظر سلاسل السحب . وقدم إلى جنبها صحن والدنا الكبير أمير أمراء قبيلة شمر المغفور له المرحوم دهام الهادي (شويخ) ثم صينيته (الشيخة) وحوالي مئتين صينية هن أكبر صواني بيوت شيوخ قبائل الجزيرة بالإضافة لصواني اشتريت من حلب بمئة وخمسين ألف ل.س . وهذه حفلة تأبين المرحوم باسل الأسد التي أقيمت بعاصمة شمر تل علو بتاريخ ١٩٩٤/٥/٢٤ م.



منظر للفيضة أم الربيع صينية شيخ قبيلة شمر وعشائرها وقد قدمت بصحبة صحني المغفور له أمير أمراء شمر والدنا الكبير المرحوم دهام الهادي رحمه الله (شويخ والشيخة) وهما الصحنان اللذان يقدمان ليلاً ونهاراً بإستمرار وينادي المنادي عليهما يدعو الجياع والفقراء. انظر الصينية الفيضية أم الربيع وهيَ تجر بواسطة السيارة المنظر واضح في الصورة. إذهب أبا فارس بمكارم أجدادك وأبيك مطلق وفارس الجرباء ووالدنا الكبير المغفور له أمير أمراء شمر المرحوم دهام الهادي لتخلف الزعانف أصحاب الأكف المرتعشة وراء ظهرك . الله ومحمد وعلي وياك أبا فارس .



منظر الصحن شويخ مملوء باللحم المكوم فوقه . كم من عرب شبعت به؟ كم من يتيم عاش بخيره؟ كم من جائع شبع منه؟ كم من جار وطارق وغريب ركع ورتع عليه وشبع منه؟ أنا المؤلف أنور عبد الحميد العسكر السباهي العاني نشأت على شاطىء شويخ، منه كنت آآكل ومنه أشبع. ولحم أكتافي من خيره، رحمك الله يا صاحب شويخ والدنا الكبيرالمغفور له أمير أمراء شمر المرحوم دهام الهادي يا من نعيش باسمك وأنت مرتحم كما كنا نعيش باسمك وأنت حيٌ.

وعندما تمتلىء (الفيضة) لا تحمل وإنما تجر بحبال على دواليب على الرغم من أن بها من جهة كل عرض ثلاثين حلقة ومن جهة كل طول أربعين حلقة (مئة وأربعين حلقة في محيطها). وعندما سحبت للمجلس لتستقر أمام ضيف الشرف الكبير الأمير عبد الرحمن آل سعود، كان عليها مئة وثلاثين خاروفاً وناقتين وتحتهن ستة أكياس أرز. ومئات أرغفة الخبز تحت الرز واللحم.

وبطبيعة الحال جلس حول هذه الصينية (الفيضة) مئات الشيوخ والأشراف وكبار المسؤولين بمحافظتي الجزيرة والفرات فكانت وسيلة جمع بحق وحقيقة ، إذ جلس حولها العربي والكردي والمسلم والمسيحي واليزيدي وكل أبناء مجتمع الديرة. وها هي تملىء بمثل ما وصفنا بكل مناسبة والحمد لله.

وليس الجود وحده ما يتصف به الليث الشمري أبو فارس أخو شاها الشيخ حميدي.

فعندما استولى الإصلاح الزراعي على أملاك الشيوخ والإقطاع وهي مصدر رزقهم الوحيد. إذ ليس فينا موظف ، وليس بنا من لديه مهنة صناعية أو تجارية، وقد إندثرت الحروب والمغازي العشائرية والحمد لله إلى غير رجعة.

كان الذي بقيَ لدينا مصدر وحيد وآمن إنه الأول والأخير هو (الله) سبحانه وتعالى. فاستمرت رحمة الله عز وجل تمطر علينا من لدنه تعالى من حيث ندري ولا ندري . فظلت ملابسنا ملابس العز. وظلت مناسفنا مناسف الجود والكرم. وظلت رباعنا ترحب بالضيوف بنهارٍ أو بليل وهذا مصداق قول الشاعر طايس الزبيدي :

يعيال يا اللي منتوين إمامي   بالله عليكم ديظوهن على هون
وخوذوا معاكم للسيافا سلامي   للابة أللي بالمسير يهلون

فإبتنى الشيخ حميدي رغم الظروف القاهرة التي ما زالت تحيق بنا مضافة من طابقين هي الوحيدة من نوعها في سوريا إلى حد هذه الساعة ...

طولها من الجنوب للشمال مئة متر ، وعرضها من الشرق للغرب أربعين متراً وطول جدارها شرق المضافة ويبتدء من الشمال للجنوب مئتين متر وعرضه من الغرب للشرق مئة متر بناء المضافة على طراز المسجد الأموي شرفه الله . تعلوه قبة كقبة النسر متوجهة لمطلع الشمي يعلو القبة (فنار) مصباح ضوئي كبير يرى من مسافة ثلاثين كيلو متر من كل الجهات ينير الدروب لكل ضيف وجائع وخائف.

خسر الملايين على بناءها وفرشها ولكن ليس هي خسارة والحمد لله . إنما حدس والدنا الكبير المغفور له دهام الهادي رحمه الله لم يخب فوالدنا عليه رحمة الله أسس وبنىّ وأخي الشيخ حميدي هو أضاف لقوة الأساس قوة وعلىّ البناء وأحسن. في حين إن الكثير من أبناء الشيوخ في سوريا. أصبحوا بعكس حميدي الهادي .

حميدي وفيّ للأهل والعشيرة والديرة كوالدنا الكبير المغفور له أمير أمراء شمر المرحوم دهام الهادي رحمه الله. الذي لم يتكبر على تراب قريته ولم يبتعد عن قبيلته ولم يستأنس بمجلس إلا بوسط قومه وهذا هو نجله الكريم أبو فارس الشيخ حميدي الدهام إبتنى هذه الربعه (المضافة) وسط شمر في عاصمتهم (تل علو) زينة للديرة كالوردة في الصحراء. ملاذاً للخائفين فقد عهد التاريخ الأمني إن الجزيرة الفراتية ملاذان أو مأمنان هما: جبل سنجار بالعراق، وسن كلوب أعلى قمة بجبل الجودي بتركيا وهاتين هما معصى ، فمن وصله من الخائفين أمن وسلم ممن يخاف منه .

والآن الثالثة هي ربعتنا مضافة أخي أبو فارس الشيخ حميدي حيث تتحدث هذه الربعة على مدار عقارب الساعة عن تاريخ والدنا دهام وكل آل جرباء رحمهم الله.

فلك يا أبو فارس تحية آل جرباء أحياءهم وأمواتهم.

وإليك تحية شمر في كل أصقاع الدنيا.

وإليك تحيه أجواد العرب عبر العصور والدهور.

من عادات الشيخ حميدي الدهام الهادي :

الشيخ حميدي له من العادات نفس ما للمغفور له والدنا الكبير أمير أمراء شمر المرحوم دهام الهادي والده.

كيف لا وهو سره ـ الولد سر أبيه ـ وتلميذه ـ التلميذ مرآة معلمه ـ به سمرة بدوية نجدية جاءته من خواله آل فهد.

بثغره إبتسامة دائمة هي سمة كُل محمدي من أهله / المحمد منهم آل جرباء والآن ينوفون على ستة آلاف نسمة بارك الله فيهم / لكن قليل من هو فيهم يتصف بحمره العين .

حميدي بعينه اليمنى حمرة ولهذا يلقب / بحمر عين / . الشيخ صفوك الفيصل الفرحان الجرباء إبن عمه يسميّ حمر عين شيخ شمر بالعراق . محسن عجيل الياور يسمى حمر عين ويسمى الذيب الأحمر.

حميدي متكامل هيئة الجسم ـ والكمال لله ـ جميل المحييّ واسع العينين عريض الأكتاف إلى الطول أقرب من الربعة مفرود الصدر. صوته جهوري. طلق اللسان وافر الحديث غنيّ وثري بقصص وأمثال وقصائد وأشعار البادية.

رامي من الدرجة الأولة ، أنيق بلباسه عطر الرائحة ، به تواضع كبير وهذه صفة الحلم والهدوء هيَّ صفة كل محمدي أي كل جرباوي أعني صفة الشيخ حميدي الدهام.

كرمه لا يغالطه عليه أو فيه أحد من شمر ولن يوصف كرمه بما ذكرنا رغم ما أثبتنا في هذه الصفحات من هذا الكتاب من شواهد خالده جسماً ورسماً. لا بل من أهم معالم كرمه إنه لا يعرف ان يأكل بقسم الحريم. لا يأكل إلا بمضافته ـ قلعة المجد ـ هذه المضافة التي لم يوضع علىأبوابها حراس يسألون الضيف من أنت؟ وماذا تريد؟ وهل بينك وبين الشيخ موعد لا. لا شبيه لهذه المضافة في قيمها ومكارمها إلا مضافة أخي أمير قبيلة طيء الأمير محمد عبد الرزاق النايف الطائي ـ أبو باسل ـ أمد الله بعمره . بل ومضافة الشيخ حميدي الدهام هيَّ صورة طبق الأصل برباع خوالي عوجان المناسف خوان هدلة آل ملحم شيوخ قبيلة الجبور والتي قال بها قائل العتابا :

هـلاّ وهـلاّ وهـلاويـن   وسنة ما ننشد الخاطر هلاّوين

نـكـلـهـا هـلاّ وهـلاويـن   وبين العين نبني إله الأطناب

الشيخ حميدي لا يلتذ بالطعام إلا إذا شاركه عدة من الرجال، هيهات أن تخلا مضافته من الضيوف والزوار والمحبين إذا لم يكن في مجلسه مجموعة من الناس أمر بتأخير الطعام الغذاء أو العشاء حتى يتكاثر الناس.

به عطف وإحسان. وذكاء وخبرة بشؤون البدو فهو قارىء ومطالع من الدرجة الأولى فلديه مكتبة تضم أنفس الكتب.

به أنس وراحة للجليس فإذا حدثته بأي موضوع من مواضيع الدنيا إستطاع أن يحاورك فيه بثقة والمام. محب لقومه شمر يعتز ويفخر بهم، جسور غير

هياب سريع النجدة لمن يستنجد به لأي شيء سريع الإستجابة يندفع لإغاثة الملهوف وحمايته بروح هاشمية. دون أن يسأله لماذا؟ ودون أن يهتم بالعواقب وهذه ميزة من ألف ميزة تدل على أصالته الهاشمية الشيخ حميدي الدهام أعزه الله وأبقاه.

ليس هو ممن يقول لمن دخل في قبيلته هذا ليس منا بل هو مجمع لصفات أهله وأجداده الذين وصفهم الشاعر بقوله :

"خوينا ما نجدعه للگصاصيب   يجبر بنا لو مگصمه من العظامِ"

" خوينا لوْ هوْ من الجد بصليب   متعلجن معانا براس السنامِ"

حميدي به عفة وشجاعة أبيه. به شجاعة جده الهادي وذكاء وفطنة وعبقرية جده العاصي. وبه حلم وعقل جده فرحان باشا. وبه عزة وغضبة جده فارس.

به الدم والروح والنخوة والشهامة وكل صفات العرب ، عربي الأبوين والأجداد ، عربي الأعمام والأخوال.

هذا هو حميدي ... إحفظه لشمر يا رب .

أمير شمر

عجيل عبد العزيز (الياور) رحمه الله



الشيخ عجيل العبد العزيز الشهير بالياور، والمكنى باكبر ابنائه ابو صفوك، عليهما رحمة الله ورضوانه، هو أكبر من أن أُلِمَّ بِسيرة حياته، وإنْ كانت شخصيته رحمه الله وأفعالَهُ لا تخفى على أحد خاصة ما بين بغداد وحائل، ودمشق، وإن شئت فقل حتى في لندن عاصمة بريطانيا حيث أخذت له هذه الصورةُ هناك بعام /١٩٣٧م/ وإعتذاري لإخواني القراء : هو إنّ معلوماتي عنه رحمَهُ اللّه قليلة. لأسباب منها :

أ ـ لأنَّهُ شيخُ شمّر بالعراق، في حين أني أعيشُ في سوريا .

ب ـ عدم إستقراري في مكانٍ معين، طبقاً لمهنتي كمؤَلِّف وباحث اجتماعي، فما تكاد تراني بقطر حتى تسمعَ عني أنّي قد رحلت لغيره.

ج ـ نعم إنّهُ من ابرزِ أعمامي وأمراءِ قبيلتي، به أَعتزُّ ، وأفتخر غير أنَّ تراخي بعضِ من يهمه الأمر من أبناء شمّر وشيوخها لم أجد بهم تلك الحرارة الروحية لنبش هذا التراث الشمري العربي الكريم.

ومن هنا أقول : كيف السبيل للإلمام والوصول بتاريخ حياة العظماء، والشرفاء من شمّر بل وكل شمريّ بالوجود. ألا وهو أبو صفوك، أخو جوزة الشيخ عجيل عبد العزيز الياور .

ولهذا فإني سأكتب عنه رحمه الله ضمن ما أُلمُّ به من معرفة عنه وما أسمع عنه، وعن أفعاله .

حياتــه :

قضى رحمه الله بعام / ١٩٤١م / إثْرَ نوبة قلبية بينما كان يقود سيارته بيده ومعه مرافقوه في السيارة .

أما مولده . فإنه صِنْوٌ لابن عمه أمير أمراء شمّر المغفور له، والدنا الكبير المرحوم دهام الهادي لكنهُ لم يُعَمَّرْ، بل كان كبيراً بشخصيته، بمعنوياته بأفعاله الخالده، بالتاريخ الشمريّ الحديث الذي جعل كل عدوّ لشمّر يحسب له حسابه، ولم يكن كبيراً في العمر، قضى وعمره خمسة وخمسون عاماً. تغمده الله بفسيح رحمته، وجنانه.

كان مميزاً بطول قامته، وجمال محياه النابض بالرجولة الناطق بحدة الفهم، والذكاء الوقّاد عارفاً بأنساب القبائل، وأحساب أمرائها، وفرسانها. يتمتع بروح عزيزة متعالية.

بعام ١٩٣٢/ عندما تُوِّجَ المغفور له جلالةُ الملكِ فيصلُ الأولُ بن الحسين عليه رحمة الله، وغفرانه ملكاً على العراق. كان المعفور له أمير أمراء شمّر والدنا الكبير المرحوم دهام الهادي ـ عليه ألف رحمة ـ يسكن العراق، وعندها حاول الإنكليز الذين كانوا أنذاك يستعمرون العراق أن يقوموا بشبه تجزئة للعراق.

حاولوا أن يقيموا حكماً لجنوب العراق، وأن يعثوا بالموصل مملكة نينوى الآشورية القديمة حيث استجاب لهم ملك ياقو زعيم الطائفة الآشورية ففشل هو، ومن كان يريد تعيينه ملكاً إنفصالياً نتيجة محاولتين خرج بالثانية هارباً إلى سوريا ليحتضنه الإستعمار الفرنسي حيث أسكنوه وجماعته على ضفاف الخابور بمحافظة الجزيرة.

أما والدنا الكبير المغفور له أمير أمراءِ شمّر المرحوم دهام الهادي فقد رفض مفاسدهم، وإغراءاتهم بفصل الجزيرة كاملة من الدجلة بالعراق إلى الضفة اليسرى لنهر الفرات بسوريا، وباتفاق ، وموافقة الاستعماريين البريطاني، والفرنسي، وتعينه أميراً، وملكاً لهذه الدويلة. لكنه رفض إغرائاتهم ونتيجة رفضه دخلوا معه بحروب ومعارك غير متكافئة هاجموه بقوات عسكرية برية

مدعمة بالمصفحات ، والأسلحة الأتوماتيكية الحديثة يساندها غطاءٌ جويٌّ مشكل من سبع طائرات. إضطر إثرها أن ينزح بجزء من قومه شمّر ، داخل الحدود السورية.

هنا برزت شخصية الشيخ عجيل العبد العزيز رحمه الله. فانقضّ كالصقر وحقيقته هو صقر، كم من الصقور الجوارح، والنسور القشاعم لقد أربك لعبة المستعمر البريطاني ...

لقد أدرك إنّ المستعمر غزا وطنه بقلوب لا تعرف الرحمة، ولا يهمها أن تمزّق الأوطان التي يحتلها أم تبقى موحدة، ولا يهمّهُ من يقتل ممن يثور ضده دفاعاً عن وطنه واستقلاله أم من يصبح موالياً وعميلاً له.

لقد أدرك المغفور له الشيخ عجيل أنّ الإنكليز المستعمرين ما زاحوا إبن عمه أمير أمراء شمر المغفور له والدنا الكبير المرحوم دهام الهادي رحمه الله إلا ليأتوا ببديل عنه. ومن هو هذا البديل ؟

المستعمر الإنكليزي لا يتوانى من أن ينصب أميراً من غير قبيلة شمر على شمر. بل ويستطيع أن يُلْحِقَ قبيلة شمّر بقيادة أحد شيوخ العشائر المعادية لشمّر. ماذا يمنعه ؟ يستطيع أن يفعلَ أنذاك كل شيء. فتدارك الشيخ عجيل الموقف، فنفر إلى جلالة الملك فيصل الأول ملك العراق في بغداد والذي أقنع الإنكليز بدوره أنّ القبائل البدوية لا يُمكنُ أن تخضع، أو تدين بالولاء إلاّ لبيت الحكم الذي أَلِفوا أنفسهم، وآباءهم وأجدادهم له تابعين . فما كان من الإنكليز إلا أن اقتنعوا فأصدر المغفور له جلالة الملك فيصل الأول ـ رحمه الله ـ مرسوماً ملكياً، يقضي بموجبه تعينَ عجيل العبد العزيز شيخاً على شمَّر بالعراق مع تعزيزات شخصية لم تُعْطَ ولم يتّسم بها أيُّ شيخ، أو أمير بالعراق.



صورة ثانية للمغفور له

المرحوم عجيل عبد العزيز أمير شمر بالعراق

والذي قال به أحد الشعراء في معرض ما قاله :

عجيل اللي حده على الناس محدود   تمشي عنه عصم الشوارب حداد

كم شيخ كومٍ جابهِ الصبح مكيود   وخلاه عكب التصاعيب هادي

وكيفما كان، عجيل لم يأتِ للإمارة فجأة. فهو عجيل بن عبد العزيز بن فرحان باشا بن صفوك باشا الجرباء، فأهله أمراءٌ حكام حتى جده علي بن أبي طالب عليه السلام.

كان رحمه الله شديد الإنتصار للحقّ ، لا يُظْلَم أحدٌ في دياره، وكان حكيماً ساس رعيتهِ بخير ما يسوس الأمير عشيرته، تناقلت الركبان أخباره وأمَّهُ الشعراء قاصدين، ومادحين ، من كل حدبٍ وصوبٍ بلغت سطوته أنَّهُ أَخْضَعُ جميع العشائر المجاورة لشمر لسطوته فأقام معسكراً على غرار ما فعل المغفور له أمير أمراء شمر والدنا الكبير المرحوم دهام الهادي رحمه الله. لكنهِ كان أكثر تنظيماً فعلى سبيل المثال :

- خصص لعسكره رواتبَ شهرية دائمة تصرف من خزانة المملكة العراقية مع لباس مُوَحَّد.
- سلّحهم بأسلحةٍ حديثةٍ بنادق، ومسدسات، ورشاشات مطرلوز.
- هو أول من بنى الصياوين (الخيام الكبيرة) قسمٌ منها لاستقبال كبار الشخصيات الحكومية والأمراء.
- أوجد جهاز سكرتارية برئاسة سكرتيره الخاص محسن العاني، ضبط به الصادر ، والوارد من أموال ونفقات ، ومراسلات .
- كانت صلاته مرتبطه بالبلاط الملكي دون الرجوع بشئونه الشخصية، والعشائرية لمتصرف الموصل، أو وزارة الداخلية ببغداد .
- كان حليماً وفقيهاً بالسيطرة على الناشزين من زعماء شمّر يُهين ، ويؤدِّب من يتمرد عليه، ويرضيه بنفس الوقت.

- أوسع رقعة ممتلكات عشيرته من شمّر فأزاح أكثر من عشيرة غربية" (عن أرض شمرٌ) .

- هو أول شيخٌ من نسل جَدِّهِ فرحان باشا يتَّخذ العقال المقصّب رمزاً للباسه، وها انت تراه يضعه على رأسه في كلا الصورتين .

- راح معظم الوزراء، والقادة العراقيون من عسكرين، وسياسين ووزراء ، ومحافظين، وشيوخ عشائر يتقربون منه، ويعتزون بشخصه ويفتخرون بأنهم جلسوا إليه حيناً ما، وتحدّثوا إليه. وكانت أقواله تعتبر مأثورة وتذهب بين القبائل أمثالاً. فأين ذهبت، أو اتجهت، وفي أي مجلس بدوي تجلس فإنك تسمع من يتحدث ويقول : قال عجيل . تحدث عجيل . فعل عجيل . قرر عجيل . بذاك قضى عجيل... إلخ، وهذا دليل على إستواء حكمه وشدة سطوته، وتأديبه لمن عصاه.

النظرات المستقبلية له رحمه الله :

بالفعل كان رحمه الله يطمح لإقامة إمارة مستقلة لشمر على غرار تلك الإمارة التي سقطت بحائل عام ١٩١٧ ، وسقط بسقوطها حكم آل رشيد.

كانت الظروف مهيأه له، ولكنْ كان يمنعه أمران :

أ- لأنّه شمّريّ ومن عادة الشمري أن يكون وفياً، ومخلصاً للوطن الذي يعيش به، لا يخونه ، ولا يتنكر له، ولا يوجه سلاحه نحوإخوانه وأبنائه وخاصة أنَّ ملكَ العراق تجمعه به الدوحة الهاشمية .

ب - حبه، وصدقه ، ووفاؤه لقريبه عزّ العرب، وفخرهم حضرة صاحب الجلاله المغفور له الملك فيصل بن الحسين، رحمه الله. لقد بلغ بتسامي شخصية المغفور له الشيخ عجيل أن سماه الشعب العراقي باسم "الملك غير المتوّج" .

أنجب من الأولاد :

- المغفور له الشيخ صفوك العجيل رحمه الله.
- المغفور له الشيخ أحمد العجيل رحمه الله.
- المغفور له الشيخ مشعل العجيل رحمه الله.
- المغفور له الشيخ حميدي العجيل رحمه الله.
- المغفور له الشيخ محمد العجيل رحمه الله.
- الشيخ محسن عجيل العبد العزيز أدام الله عمره وأمجاده وهو الآن شيخ عشائر شمر بالعراق. والآن هو مُتواجد في لندن بعد أن رفض أوامر الحكومة العراقية بتاريخ ٢/ آب/ ١٩٩٠ عندما إحتلت دولة الكويت، فطلبوا إليه أن ينزل بعشيرته شمر في مدينة الجهراء، وسيمنح من الأسلحة والأعطيات ما لم يحلم به. لكنه رفض مؤكداً أنّ دولة الكويت دولةٌ مستقلة وذات سيادة وأنّ أبناء الشعب الكويتي إخوانٌ له وهم بدو وعربٌ مسلمون وجيران، وليس من شيمة أيّ عربيٍ أن يصوّب سلاحه ضدهم مهما بلغت الأسباب، أو الغنائم. فترك العراق متخذاً لنفسه لندن منفى مختاراً.

فتحية التاريخ لشخصك الكريم يا شيخاً لم يطأطىء الهامَ طيلة حياته لغير الله. ورحمة الله على روحك يا شيخاً. أشبع الجياع، وأنقذ المساجين. وكسا العراة وزوّج العزاب ، ومنح شمّر من المجد والسيادة ما لم يمنحه لهم أيٌّ أميرٍ قبله من أجداده آلِ جرباءَ الكرام، بإستثناء إبن عمه الذي إسمه في السماء لمع ، وعلى الأرض سطع، ومن ثُمّ إرتضاه خالقه ، فإلى جنة الخلد إرتفع. ذاك هو أمير أمراء شمّر المغفور له والدنا الكبير المرحوم دهام الهادي رحمه الله.

وللوفاء لأهل التاريخ أضيف في بحث شيخ مشايخ شمر بالعراق المرحوم الشيخ عجيل عبد العزيز (الياور) ما تشرفت بتخليده عشرات الكتب التاريخية...

لقد سبق وأن تحدثنا عن شيخ مشايخ شمر بالعراق المغفور له المرحوم الشيخ عجيل العبد العزيز الشهير (بالياور) وقلنا وقولنا حق وصدق.

وإن كان رحمه الله لا يوجد فينا ـ أقصد بسوريا والعراق ونجد والحجاز ـ من يجهل شخصيته وبهذا فهو غني عن التعريف بشخصيته رحمه الله ألا أننا من باب إنصاف ذاك الشريف العظيم المهيب والذي وصف بـ (الملك الغير متوج) . بل ولتشريف كتابنا بصورته وتاريخه الكريم ما ألهمنا الله عنه. ومع هذا أعترف بتقصيري في الاطناب بحقه. غير إنني بينت الأسباب وما عذري سوى عذر الباحث الضعيف حيث أسأل الله عز وجل ومن ثم إخواني وسادتي إبنيّه : الشيخ محسن ـ أبو حواس ـ وحميدي. المعذرة عن كل قصور قد يلمسانه من قلمي في بحث المغفور له والدهما شيخ مشايخ شمر بالعراق المرحوم الشيخ عجيل الياور. بعد أن أدخلت كتابي ـ قبيلة شمر وأمرائها ـ المطبعة وانتشر خبر طباعته أرسل اليّ أخي الشيخ كلمن مثقال العاصي فتوجهت له حيث إقامته بمنتجعه الريفي قريته (الصفاة).

في مكتبه هو صومعة العالم المجتهد الجليل أجلسني وكان أحد أسألته المتعددة : ماذا كتبت عن عظيم شمر وداهية العراق الزعيم العربي والركن القومي المغفور له شيخ مشايخ شمر بالعراق المرحوم عجيل الياور ؟

فذكرت له إني كتبت الشيء اليسير نظراً لقلة معلوماتي عنه رحمه الله. قال الشيخ كلمن : لا هذا ليس بعذر، وأنا لا ألزمك بأن يكتب كل تاريخ حياته لكن أريد أن تكتب النزر اليسير عن عظمة شخصيته رحمه الله .

فودعته بعد أن زودني بأربعة كتب من مكتبته الخاصة وهنم :

١ ـ من ذكرياتي ـ لعبد العزيز القصاب.

٢ ـ مذكراتي في العراق لأبي خلدون ساطع الحصري ١٩٢١م ـ ١٩٤١م

٣ ـ مذكرات طه الهاشمي بقلم: خلدون ساطع الحصري رئيس أركان الجيش العراقي بالعهد الملكي.

٤ ـ الدرر السنية في الأنساب الحسنية والحسينية . للشيخ: الشريف أحمد بن محسن الصالح البرادعي الحسني.

إذ أن الكتب الأربعة تتحدث عن صاحب ألمع إسم فيهن ألاوهو شيخ مشايخ شمر المغفور له المرحوم الشيخ عجيل الياور عليه ألف رحمة من الله.

فأما الكتاب الرابع (الدرر السنية في الأنساب الحسنية والحسينية) فإنه يرتفع بنسب المرحوم من أبيه عبد العزيز بن فرحان بن صفوك بن فارس بن الحميدي إلى أن يصل به إلى جده أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب على أخيه محمد رسول الله وعليه وعلى ذريتهما الطيبين الطاهرين أشرف الصلاة وأفضل السلام.

وفي الكتاب الثاني أعني (مذكراتي في العراق) لخلدون ساطع الحصري أقتنص بعض المقتطفات التي تدل على عبقريته ودهاءه وشجاعته ودبلماسية الشيخ البدوي الذي لا يقرء ولا يكتب كيف جعل من شخصيته أبرز وأهم رجالات العراق بشهادة عبقري العرب المغفور له سيدنا جلالة الملك فيصل الأول ملك العراق رحمه الله بل وساسة العالم الأوربي بما فيهم رجال عصبة الأمم المتحدة .

وهذه لمعة بشهادة ساطع الحصري رحمه الله إذ يقول في كتابه /مذكراتي/ الصفحة (٥١٠) ما نصه : [عندما ذهبت إلى الموصل - خلال وجود اللجنة هناك - زرت رئيسها دوفرس Doversov (رئيس لجنة عصبة الأمم للنظر في وضع مدينة الموصل. أتبقى عربية عراقية أم تركية؟

زيارة خاصة تكلمنا عن أحوال العالم وعن التيارات السياسية السائدة فيه . دون أن نتطرق الى أحوال الطرق بوجه عام . وأحوال الموصل بوجه خاص . ومع ذلك انه ذكر لي الإنطباع الذي تركه في نفسه الشيخ عجيل الياور ، شيخ عشائر شمر ، بقامته المديدة، وسيمائه المهيب ..قال : خيل إلي بأني أمام أحد الـ Patriarchs المذكورين في العهد القديم.

وظهر لي من بقية كلامه أنه كان فخوراً ليس بهيئة الشيخ المادية فحسب، بل كان معجباً بوقار حديثه أيضاً، إنه كان تأثر من أداء الحديث المذكور قبل أن يطلع على معانيه، على لسان المترجم - الحديث لمستر دوفيرس رئيس لجنة عصبة الأمم - إذ قال الشيخ عجيل : عندما بدأ الانكليز يحتلون العراق، حاربتهم - مع عشيرتي - بجانب الجيوش العثمانية، وانسحبت إلى الشمال بصورة تدريجية، مع الجيوش العثمانية، وعندما إحتل الانجليز الموصل، انسحبت إلى ديار بكر، ولكن بعد مرور مدة تزيد على السنتين، عندما علمت بأنه تكون في العراق حكومة وطنية، تركت ديار بكر، وودعت الأتراك، ورجعت إلى العراق، وبهذه الكلمات الوجيزة والبليغة أعلن إرتباطه الشديد بالعراق، وبالحكومة العراقية.

قارئي العربي !!!

ماذا تتوقع أن يجود قلمي بوصف عبقرية عجيل الياور وعظمة شخصيته وهو البدوي الأمي بأكثر مما وصف به إبن أوربا رئيس لجنة عصبة الأمم الذي إعترف بصغر شخصيته أمام شخصية الشيخ عجيل رحمه الله حيث قال: خيل إليّ بأني أمام أحد الـ Patriarches المذكورين في " العهد القديم".

ما أكثر الأدلة والشواهد على عظمة شخصيته وعبقرية المغفور له عجيل الياور، ومهما كتبنا عن ذلك فنحن نظل مقصرين وتبقى شخصيته رحمه الله بغنى عن التعارف. لكن وكما أسلفنا وفاءاً لهذا الشيخ الذي جعل من الفريق الشمري المهاجر من نجد لبلاد الرافدين شبه أمارة تتمع بشبه حكم ذاتي يسير بقيادته وزعامته إذ إرتقى بشخصيته من مستوى شيخ عشيرة إلى مستوى جعل منه أهم رجال العراق أصحاب القرار إجتماعياً وسياسياً واليك إهتمام أكبر المسؤولين الملكين بالعهد الفيصلي في العراق ماذا يقول. وهذا النص أورده من الصفحة (٧٣) من كتاب (مذكرات طه الهاشمي: لساطع الحصري)

[ذهبت مع الأمير زيد ـ المقصود زيد بن علي عم الملك فيصل الأول ـ إلى (الحضر) بقينا هناك وتذاكرنا مع عجيل... وذهبنا لرؤية الآثار القديمة والحضر من نقوشها بأنها رومانية ... الخ] الأمير زيد كان الرجل الثاني من حيث الأسرة الملكية الحاكمة والرجل الثاني بعد المغفور له جلالة الملك فيصل الأول رحمه الله في حكم العراق.

أليس عظمة شخصية عجيل الياور رحمه الله هي التي حملت الأمير زيد رحمه الله ليولي من إهتمامه بتلك الشخصية البدوية الفذة والمؤثرة لدرجة إنه قام بزيارته لمضاربه في الجزيرة ثم إصطحبه معه بالطائرة لزيارة موقع مدينة الحضر الأثرية ؟

وبنفس المصدر الصفحة (٧٤) يذكر ساطع الحصري أن جلالة المغفور له جلالة الملك فيصل الأول قام بزيارة لمدينة الموصل. وذكر ما نصه: (استعرضت وحدات الموصل أمام جلالته ـ الملك فيصل الأول ـ وكان الترتيب والمسير جيدين . ذهبنا قبل الظهر إلى بيت عجيل في البادية تغذينا ثم ذهبنا إلى "تلعفر" لإستعراض القوة المركزية والكتيبة الثالثة وكانت النتيجة طيبة) .

أخي القارىء !

فكر وتمعن وحلل عقلياً ...

العراق به مئات القبائل والعشائر وكل قبيلة وعشيرة مليئة بشيوخها فهل قرأت أو سمعت أن أحداً من الأسرة المالكة قد زار أي شيخ من شيوخ تلك القبائل والعشائر باستثناء شيخاً واحد هو شيخ مشايخ شمر المرحوم عجيل الياور (أبو صفوك)، السبب لأنه أهلاً لذلك.

وبنفس المصدر مذكرات طه الهاشمي يذكر المؤلف ساطع الحصري بالصفحة /٩٧/ ما نصه :

[١٣ مايس ١٩٣٧ (الأستانة)، ورد كتاب من علي ممتاز فيه أخبار عن الثورة وعن الصحف، وإن صاحب (صوت الأحرار) بعد أن آخر نشر التكذيب نشرت الجرائد الأخرى التكذيب، أما صوت الأحرار فلم تعتبر ما كتبته تكذيباً بل جاملت علي ممتاز وزعمت أن "عجيل الياور" عندما مرّ من بيروت قال: إن المبعدين سوف يعودون ما عداي لأنني أنا وأخي الحقنا الضرر بالعراق، وتلاعبنا بمقدراته، وتاجرنا بالسلاح إلى غير ذلك من الكذب. ومما ينتقد علي بكر ـ بكر صدقي ـ أنه فرّق منطقة الديوانية إلى محلات عديدة]

الشاهد الذي نعتز به في نص الحصري السابق، هو ما يعرف عن الشخصيا المثالية التي كان يتميز بها عجيل والمستوى الذي إرتقى إليه وسط جيش لجب من كبار مثقفي العراق الملكي ما بين سياسي وعسكري لدرجة إنه بات يصر تصريحات تجعل من كبار رجال الصحافة تتربص للإقتناص من تصريحاته عل أنه من الرجال العظام للملكة العراقية وإن وزراءاً تحبه ووزراء يحسدونه فيكذبو عليه أمثال وزير الدفاع الملكي بعام ١٩٣٧ بكر صدقي غفر الله لهما الإثني

ومن نفس مذكرات طه الهاشمي لساطع أنقل للتاريخ وقراءه الشرفاء نص ما ذكره الحصري في الصفحة (٢٠٦) : [يقول رشيد عالي - رشيد عالي الكيلاني رئيس وزراء عراقي ثم صاحب الإنقلاب بعام ١٩٤١م - أنه أتاه الحاج خضر قبل الإنقلاب بثلاثة أشهر وطلب إليه إرضاء حكمت - حكمت سليمان رئيس وزراء عراقي ملكي سابق - لأنه يخربط ثم أتاه علي سليمان وقال له: الشيء نفسه، فذهب إلى يسين - يسين باشا الهاشمي رئيس وزراء عراقي ملكي - وأخبره بالأمر، وكان إجتماع بين رشيد وحكمت ويسين. فقال حكمت : كيف يعقل إنه يحرك القبائل؟ وكان بحث مع جعفر أبو التمن - أحد الزعماء العشائريين والدينين في جنوب العراق وهو من أبرز علماء الشيعة وأديب مشهور ووزير عراقي ملكي ويشكل جبهة معارضة بارزة - واستعرض الأشخاص فرأيا أن أحسن وزارة هي وزارة يسين، فقنع يسين بذلك وقال لرشيد أما تعلم أن حكمت صديقنا؟ ثم أتى "عجيل الياور" إلى رشيد وطلب اليه يخبر يسين ليتحادث معه بشأن حكمت، وضرب له موعداً فاجتمع به، وكان تكليف عجيل عبارة عن تعيين حكمت في إحدى المحلات، فكان جواب يسين لا يليق بحكمت الآن قبوله الوظيفة، ولا يليق بالوزراة تكليفه بذلك] .

هل عرف التاريخ العربي بشكل عام أعني التاريخ العربي المعاصر أن شيخاً بدوياً ابن الصحراء يصبح وسيطاً بين رؤساء وزارات تشتت آرائهم واختلفت أهدافهم في تآلفهم وتوحدهم على درب مسيرة واحد لرفأ الفتوق ولم شتات الشعب العراقي واصلاح مافسد من أوضاعه ؟وبالتالي أصبح الوزراء أنفسهم أقل قدرة واستطاعة على اصلاح ذات البين بين أنفسهم حتى يأتي المغفور له المرحوم الشيخ عجيل الياور شعورا منه بمسئوليته الوطنية وبدافع من احساسه الوطني وبدافع يناديه من اعماق ضميره الحي اليقظ أن هب وامضى لإخوانك فيصلح بينهم . عجيل يعرف مكتب كل وزير ويعرف بيته. لكنه لم يكن

فوضوي ليذهب للناس في بيوتها، ولو لم يحس ويشعر بآلام شعبه ووطنه العراقي فانه لن يزر حتى رؤساء الوزارات في بيوتهم فانظر بعد نظرته وعمق تبصره إنه يريد إقناع يسين باشا الهاشمي لإدخال حكمت سليمان بالوزارة. فيذهب من أجل هذا لرشيد عالي الكيلاني بمكتبه يكلفه بأن يأخذ له موعداً لمقابلة يسين باشا الهاشمي وهكذا ينجح الشيخ عجيل بعقد مجلس وزاري مصغر يضم بعض وزراء العراق إلى جانب يسين، ورشيد عالي الكيلاني وليس العبرة في نجاح عجيل يعقد المجلس الوزاري المصغربل العبرة في إنصياع الوزراء باعتبار شخصيته شخصية دبلوماسية هيئت لها عبقريته أن يعالج أخطاء كبار من تقع عليهم مسئولية الوطن وامانة الشعب فيحملهم على الإعتراف ويقودهم على طريق المصالحة ولم الشمل .

فعليك رحمة الله يا من خسرك العراق كما خسر عبقري العرب الهاشمي جلالة المغفور له المرحوم الملك فيصل بن الحسين رحمه الله.

وفي نص لساطع الحصري بنفس المصدر اللآنف الذكر جاء في الصفحة (٢١٢) حول شخصيته (عجيل الياور) ما نصه :

[٢٢/ آب/ ١٩٣٧ ـ الإستانة، ويقول عجيل الياور، الذي عاد من أوربا إلى استانبول، إنه اجتمع بحكمت فأخبره بأنه سيقوم بحركة ويقعد الوزراء مع نسائهم لمدة لا يعرف مداها إلا الوزراء، ولما أصر عليه ليخبره عنها لم يجبه حكمت، وحينئذٍ أتى اليّ (الكلام لعجيل) وطلب مني أن أهيء له مقابلة مع الأخ ـ يسين الهاشمي ـ وكان ذلك قبل سفري إلى الخارج.... الخ] .

وهل تحتاج أخي المطالع لما أدلك به على عظمة رجلٍ أصبح مستواه بين ملوك بغداد ولندن وعظماء الإستانة هل تحتاج لأن أنورك عن شخصية شيخٍ راح كبار رؤساء وزارات المملكة العراقية يلوذون به ويناشدونه أن يكون لهم

الأخ الأكبر يلجؤون إليه يشكون همومهم ويفاتحونه بأسرارهم لدرجة أن حكمت سليمان يصارحه بأسراره الخطرة كقوله ـ بأنه سوف يقوم بحركة ويقعد الوزراء في دورهم مع نسائهم لمدة لا يعرف مداها إلا الوزراء .

ومما هو متعارف عليه أن الوزراء لا يكاشفون بأسرارهم إلا الوزراء فلو لم يشعر بعض هؤلاء الوزراء أنهم بحضرة من هو أكبر منهم قدراً وأسمى منزلة لما كاشفوه بأخطر أسرارهم وهم بانتظار مشورته ورأيه السديدين. نعم إن الوزراء عندما يكلفون عجيل بالتوسط فيما بنيهم لحل خلافاتهم وعرض قضاياهم الفردية عليه رحمة الله ليس هذا إلا لإيمانهم فعلاً بأنهم بحضرة (ملك غير متوج) .

وهذا هو عبد العزيز القصاب صاحب كتاب (من مذكراتي) يقول في الصفحة /٢٦٧/ ما نصه : [في تاريخ ٢٢ مارس ١٩٢٥م غادرت بعثة عصبة الأمم الموصل عن طريق (تلعفر) وسنجار والبديع وخرجت مع المفتش الإداري المستر لويد لتوديعهم إلى أراضي البديع وأقيمت هناك حفلة شاي لهم من قبل رئيس عشيرة شمر الشيخ عجيل الياور] .

أخي القارىء بعد وقوفك على بعض النصوص عن حياة وشخصية الشيخ عجيل الياور ، بماذا تقيمه يا ترى ؟

أتقيمه بمستوى مجرد شيخ عشيرة ؟ أتقيمه بمستوى المواطن المسؤول البدوي الذي يستجيب لطلب متصرف لواء الموصل له متى شاء ؟ وهو الذي كان ارتباطه بجلالة المغفور له المرحوم ملك العراق فيصل الأول مباشرة دون الرجوع لمتصرف لواء الموصل أو وزير الداخلية في بغداد ؟

لا شك إنك ستقيمه بأنه أحد رجالات العراق العظماء، وإنه زعيم عربي وركن قومي.

وبالتالي صدق من وصفه ـ رحمه الله ـ بأنه (الملك الغير متوج).

" المغفور لـه "

المرحوم الشيخ باشا متعب
آل عاصي آل فرحان آل جرباء



كان ـ رحمه الله ـ مثال الصدقِ والصراحة، بعيداً عن الكذب، والنفاق والمداهنة، لا يهاب غير الله وُلِدَ عليه رحمة الله ورضوانه. وحيداً لأبويه، وله شقيقة واحدة، عاشت رحمها الله بما تجسد بهِ صفات العلويات الهاشميات من جداتها سكينة بنت الحسين، وزينب الطاهرة بنت علي بن أبي طالب، وفاطمة الزهراء بنت محمد علي جدهن، وآبائهن، وإخوانهن، وذرّيتهم الطيبة الطاهرة أشرف الصلاة، وأفضل السلام.

هي أمنا جميعاً وأم وحيدها الشيخ عليٌ بن دهام الهادي إبن عم صاحب الترجمة رحمهما الله .

ولد الشيخ باشا متعب العاصي في البادية بسنة تؤرخ بها العرب ـ ذراية ـ بحدود عام / ١٩٠٤م/ ؟ وانتقل إلى جوار ربه الكريم في ٢٩ / ٤/ ١٩٧٩ م.

كان يمتلك عدّة قُرى في الشمال الشرقي من محافظة الحسكة. وأهم قراه (تل رميلان) المحطة الرئيسية لمجموعة حقول بترول رميلان، وفي أعلى تل رميلان لا يزال قصره المنيف.

خلف من الأولاد كلاً من الشيوخ التالية أسماؤهم :

ـ نواف : حفظه الله ويكنى أبا فارس وهو من أبرز فرسان شمر المشهورين بالعفة والإباء .

ـ عبد العزيز :

ـ علي :

ـ عبد الرحمن :

هؤلاء وأولهم الأمير نواف أمهم شقيقة المغفور له امير أمراء شمر المرحوم والدنا الكبير دهام الهادي، رحمها ورحمه الله تعالى .

- أحمد (متوفى) : خاله المرحوم شويش جاعد العاصي رحمه الله .

- محمد :

- حسني : هؤلاء خوالهم عشيرة العامود

- عبد الكريم :

- عبد الله:

- فرحان : خواله الشلال .

نبذه عامة من حياته :

كان رحمه الله كإبن عمه المغفور له الشيخ هذال فهد العاصي، سريع الغضب، سريع العفو والرضاء . لكنه اشتهر قلبه بزيادة الحنان ، والرأفة ، على الرغم من شدة تواضعه وإنسانيته .

أيضاً اشتُهر بالشجاعة، فهو من أبرز فرسان شمر وله أكثر من ميدان يشهد له بالشجاعة.

كما كان وابن عمه المغفور له الشيخ ميزر المدلول العاصي رحمهما الله تعالى النسبة لوالدنا الكبير أمير أمراء شمر ـ رحمه الله ـ الجناحين اللذين يظلُّ بهما العواصي ويكفخ بهما أعداء شمر بل كانا له الذراعين اللذين يقهر بهما العدو والعينان اللذين ينظر بهما النور .

المغفور له الشيخ باشا العاصي كان بدويّاً متحضراً ، وفطرياً متطوراً، لقدانتبه لضرورة زيادة الإستقرار ، وأنّ جيل أبنائه وذريّتهم غيرُ جيله وآبائه، فملك بيتاً في مدينة القامشلي وبيتاً في حي الرئيس بدمشق لكنه باعه واشترى

خيراً منه في حي المزرعة بدمشق ، ثم باعه بإلحاح من إبن عمه المغفور له المرحوم الشيخ ميزر عبد المحسن الذي اشترى أرضاً وعمر فيها قصراً بحيّ الجامعة الأمريكية بحلب، واشترى ـ الباشا ـ أرضاً، وعمر بها قصراً يجمع الطرازين الشرقي الإسلامي والغربي بنفس الحي بحلب. وبالإضافة لكل ذلك فقد شارك في أكثر من مشروع تجاري درّ عليه أرباحاً طائلة . هذا ما عدا أراضيه الشاسعة التي كان يقوم بزراعتها بآلاته الزراعية الحديثة ويجني من تلك الحقول الملايين من الليرات السورية. لم يكن متغطرس ، بل كان الدّعم الإقتصادي لشمّر إذا أَلَمّتْ بهم ملمة فتح خزانته لهم فيسلح ويكسو ويُطعِم ، ويَقْضي، ويعتبر الشخصُ الثاني ممن يوقع على إصدار القرار الشمري عندما يجتمع مجلس المشورة الشمري بقيادة المغفور له أمير شمر والدنا الكبير المرحوم دهام الهادي عليه رحمة الله.

ومن حسن إنتباهه للأيام المستقبلية أنَّهُ ثَقّفَ أَوْلادَهُ وأدخلهم الجامعات :

- عبد الرحمن الباشا : درس في مدارس بيروت .
- حسني : درس في جامعات فرنسا وإيطاليا (ديكور) .
- عبدالله : في جامعة حلب ثم بجامعة مانشستر بإنكلترا (سياسة واقتصاد)

كان المغفور له الشيخ المرحوم باشا متعب العاصي رحمه الله مجمعاً للرجال ، وقطباً قوياً في عائلة آل عاصي وركناً، في أرومته ، (آل فرحان الجرباء) وزعيماً من زعماء شَمّر .

حَجَّ عدة مراتٍ ، بهِ دينٌ وتُقَى شديدان ، زار عدّة دول عربية غَير وَطَنه سوريا ، رحل لعالم الخلود كما ترحل البدور عن نجومها، وغاب كما يغيب السيف في غمده فعليك رحمة الله يا بدراً كان زينة في سماء أمجادنا، وعليك رحمة الله يا سيفاً كنا نهزُّه على أنوف الأعداء وعليك رحمة الله يا شيخ ظَلَّ

مكانُهُ خالياً بين المجتمع الشمري لن يملأه غيره إلى يوم تقوم الأشهاد عليك رحمة الله يا عماً لن ننساه.



هذا هو المغفور له عمي المرحوم الشيخ باشا متعب العاصي (على اليمين) يبدو في الصورة أعلاه راكباً جملاً، وعلى اليسار إبن عمه الشيخ . عوينان مدلول العاصي الفرحان الجرباء (أمد الله بعمره). المشهد هو في ساحة الإهرام بالجيزة - مصر -

أخي القارىء : أمْعِن النظر في هذين الشيخين وكيفية ركوبهما للإبل إنّها تنمُّ عن الأصالة الشمّريّة البدوّية العربيّة فهما ابنا ركابة الإبل. وهما ابنا ذباحة ومطعمة الإبل. وبالتالي هما حماة الإبل.

المغفور لـه

الشيخ علي مدلول آل عاصي (رحمه الله)

هو : الشيخ علي بن مدلول بن العاصي بن فرحان بن صفوك بن فارس بن الحميدي.

قضى رحمه الله وعمره ثمانية وثمانين عاماً. ولد في البادية وتوفي بمنزله بقريته تل عدس ودفن في مقبرة الجرباء ـ قلعة الهادي ـ جعل الله مرقده روضة من رياض الجنة .

كان وضاح الوجه بياضاً إسلامياً محمدياً مشرب بحمرة أجداده بني هاشم. بثغره إبتسامة مملوحة الإنفراج. هادىء الطبع لكثرة ما به من حكمة وعلم بالحياة ومجرياتها والمجتمعات وشؤونها.

وكان، رحمه الله الركن الذي لا يعوض سواءاً بالنسبة لأسرته شيوخ شمر أو لقبيلة شمر نفسها. نافذ النقد، دقيق العد، مستقيم الحد.

لا يمكن أن يتخذ قرار بقبيلة شمر إلا ويعرض عليه. وعندما يعرض عليه. لا يرفضه ولكنه ينجح في معالجته أو إصلاحهُ أو صياغته.

رأيه سديد. وشوره رشيد . وبصره حديد.

كان فمه رحمه الله أبعد ما يكون عن ألفاظ الفحش والفسق والفساد كانت شفاهه منزهة عن سقط اللفظ وحوشي الكلام والمعاني الرخيصة حتى أن

عباراته وأقواله باتت لدى أبناء المجتمع من عرب وأكراد وسريان وأرمن تعتبر فوائد لفظية. ومغانم منطقية . باتت أمثالاً يحتذى بها وقواعداً يسسهد ويعمل بها أيضاً.

المرحوم الشيخ علي المدلول (أبو أحمد) . حكيم :

لم تعرف قبيلة شمر رجلاً ذكياً كما تشهد للمرحوم الشيخ علي المدلول بذكاءه. فأكثر الفتن القبلية التي كادت أن تثور وسط قبيلة شمر أو بين شمر والقبائل الأخرى كان الفضل في إخمادها يعود فضل وئدها في مهدها لله سبحانه وتعالى ثم له.

وعندما يقتضي أمر إخمادها خسارة مالية فإنه يدفع كل ما يترتب من جيبه الخاص. وآرائه هي التي كانت تحل المشاكل وتخمد الفتن أكثر من تأثير المال.

وأشهر ما عرف أنه حكيم القصة التالية :

المرحوم الشيخ علي عليه ألف رحمة من الله له أربعة إخوان. . أخي القارىء العربي أرجوك تمعن في هذه القصة وهذا الموقف الرجولي الحكيم وعسى أنك تجد فيه عبرة لك تدخرها .

المغفور له المرحوم الشيخ ميزر المدلول : هو أخوه من أمه وأبيه .

الشيخ عوينان مدلول العاصي ـ أطال الله عمره.

المغفور له المرحوم الشيخ عبد الرحمن المدلول.

الشيخ سرحان مدلول العاصي حفظه الله.

هؤلاء الثلاثة هم إخوانه من أبيه وأمهم من عائلة كياخي طيء من أشهر

وإذ بالناس يتفاجئون بشقيق عبد الرحمن (الشيخ عوينان المدلول) يقتحم المشفى وبيده بندقية . يريد أن يقتل شقيقه عبد الرحمن.

إقتحم الباب الرئيسي للمشفى وأخذ يركض داخل ممرات حجر المشفى ولا أحد يجرء عل أن يعترضه أو يمسك به. الكل يعرفون إنه شجاع وفي مثل هذه الحالة كل واحد من الموجودين يعرف إنه جاء جسداً بلا روح. وإذ بالمغفور له المرحوم الشيخ علي يعترض أخيه عوينان ويقتحمه بكل جرأة والمغفور له عمي علي رحمه الله أيضاً تعرف الناس شجاعته وإقدامه.

البدو، يقال إن البدو أهل كبير. أتعلم أيها القارىء ما معنى أهل كبير ؟ أي إن البدوي يحترم من هو أكبر منه ولو بساعة واحدة من العمر سواءاً كان أب أم أخ أو إبن عم .

لا يناقشه في مجلس. ولا يجلس بجانبه ويراكبه على المراكي. ولا يخالفه في أمر. ولا يقطع بأمر بدون الرجوع إليه. وخاصة هذه العائلة آل جرباء لا فرق عندهم بين الأخ الشقيق أو إبن العم من عشرة أظهر .

اعترض المغفور له المرحوم عمي علي رحمه الله أخيه الشيخ عوينان والتقط من يديه البندقية وحل من جنبه المسدس . الشيخ عوينان إحترم أخيه المرحوم الشيخ علي وسقط على الأرض منهار القوى باكي العينين حزين الروح. فإنحنى عليه أخوه المرحوم علي وهو يرفع برأسه قائلاً : كنت أظنك رجلاً أكثر مما أراه منك، ماذا يبكيك؟ ماذا يحزنك إن كان لما حدث فهذا أمر الله لن يرده حزننا ولا بكائنا. وإن كنت حزيناً على أبنيّ أخيك فالخسائر جداً بسيطة. إن أسرتنا مؤلفه من ألفين رجل متزوج (عائلة آل عاصي فقط) هذه الليلة، كل واحدٍ مننا يطأ حرمه وسيلد لنا ألفين غلام. أما أنك تقتل أخي لا ، وألف لا. لأن والدنا المغفور له المرحوم ـــ مدلول العاصي ـ رحمه الله لن يعد من القبر ليطأ حرمه ويخلف لي أخ.

وراح المغفور له المرحوم عمي الشيخ علي المدلول يشتري زمر الدم واستورد دماً مبستراً بطائرة خاصة من دمشق وأنقذ أخاه وعاد يجلس خلف دلال القهوة كعادته يصب القهوة، يلف سجائر التبغ بيده. عسى أن تلك اليدين متشابكات بيدي محمد رسول الله وآلا بيته الطيبين الطاهرين في الجنة. ويوزع على جلساءه اليومين إبتسامته المعهودة ويؤنسهم بأحاديثه التاريخية والتراثية السامية.

فأي حكيم بعد هذا الحكيم. لكن الحق يقال: إن عائلة آل جرباء غنية بمثل نماذج هؤلاء الأبطال والذي كما وصفهم الشاعر (رجالٌ على شدات الأيام صبار) فهناك المغفور له المرحوم أبو ظاهر عمي الشيخ هذال الفهد العاصي وقصته مشهورة في هذا الكتاب. وقبله جدهما فارس فرسان نجد الأمير مطلق الجرباء رحمه الله عندما قتل ولده الفارس الصنديد مسلط وكان عمر مطلق يناهز التسعين عاماً لم يكترث ببكاء شمر وحزنهم بل أغار على زوجته ورماها أرضاً وعلاها ثم عاد للرجال وقال سيأتيكم فارس أعظم من مسلط ولكن أظن إنه سيلد وبه علامة وعندما ولد كانت علامته يرتعش دوماً فسميَّ عبد العزيز المرتعش وهو الفارس البطل الذي ظل يطارد أحد أمراء العبيد (زويد) مدة يوم وليلة من جنوب مدينة الموصل إلى أن أدركه على شريعة الطاش حيث نهر الرميلة داخل حدود سوريا ناحية اليعربية الحديث طبعاً عن المغفور له المرحوم الشيخ علي المدلول ولكن كون الحديث ذي شجون فإنه وكما يقال الحديث يجر بعضه لهذا جئنا بشواهد جانبية لا بد لنا من ذكرها وفاءاً للتاريخ ليس إلا.

مواقف المغفور له المرحوم الشيخ علي المدلول الوطنية العربية :

في عام ١٩٥٤م أفتتح في مقهى كريبس أشهر مكان بالمدينة تقام الولائم ويجتمع أبناء الشعب لتنفيذ قراراً ما والآن جددت هذه المقهى بشكل فريد في كل سوريا. معرضاً الغاية منه جمع تبرعات لإعانه الشعب الجزائري ومساندة

جيش التحرير العسكري الجزائري التهب الحماس والتسابق لتسجيل المواقف التاريخية الوطنية الشريفة من قبل كل المجتمعين .

الشيوخ ، البشوات ، وأغوات ، ومخاتير العشائر الكردية والسريانية وشخصيات الجزيرة من أبناء المدن وعلى رأسهم كبار المزارعون والتجار.

وعلى رأسهم الجميع لجنة حكومية من مدنيين وعسكريين وراح أحرار الجزيرة يكومون تبرعاتهم وكان المغفور له المرحوم الشيخ علي المدلول العاصي من بين الموجودين. لم يقتصر أي مواطن ممن ذكرنا وخاصة من حضر. وكان أبناء شمر قد حضر معظم شيوخهم ووجهائهم. الوقت كان في شهر شباط وأهل الجزيرة ـ محافظة الحسكة ـ يكثر عطائهم وكرمهم بأيام مواسم الحصاد، فشهر شباط ممطر بالنسبة لطبيعة الأرض جاف بالنسبة لجيوب الناس فتبرع شيوخ شمر بعدة سيارات وعلى رأسهم الشيخ عونيان المدلول الذي تبرع بسيارته (الكاديلاك) .

المواقف الإنسانية الشمرية للمغفور له المرحوم الشيخ علي المدلول رحمه الله :

كان رحمه الله شديد الحرص والغيرة الزائدة على الشخصية الشمرية وكرامتها ففي مجلسه لا يسب ولا يذم شمري، وإذا سمع بأي شمري محتاج قضى حاجته أن مغرم شاركه بالغرم حتى إن غير شمر يقصدونه فيجدونه الشمس التي تشرق بخيرها وعطاءها على كل بني البشر.

في آل عاصي عوائل عجائز أرامل فكان يدفع لكل منهم ومنهن رواتب شهرية غير زكاته بمواسم الحصاد .

والجميل في عمله الذي نسأل الله أن يجزيه عنه بألف خير أنه كان شديد التستر على ما كان يفعله لوجه الله سبحانه وتعالى.

كان ملفى وسنداً لعلماء الدين يجلهم يقربهم يكرمهم. وعرف عنه الصدق والصراحة حج عدة مرات لبيت الله الحرام متعبد زاهد عفيف الشمائل.

محترم من جميع الناس لأنه يحترم جميع بني البشر. به عطف على أهله وبه حنان ، به تواضع وأدب جم كما أنه شاعر حكمي فلسفي لا يجاري قضى أبو أحمد وقضى معه الجود والكرم فإلى جنة الخلد يا عمي رحمك الله يا عمي علي برحمته التي وسعت كل شيء.

أما المغفور له الشيخ علي المدلول رحمه الله. فعلاوة على تبرعه بآلاف مؤلفة من الدراهم. فقد طلب بإلحاح من وجهاء شمر أن كل واحد يتبرع ويدفع ، ومن إعتذر لخلو يده ساعتذاك من المال فإنه مستعد أن يقرضه ما يرغب بتبرعه من مال على أن يستوفيه منه بموسم الحصاد، فتبرع بإعانة كل وجهاء شمر.

تحدث أيها التاريخ عن مواقف المغفور له (عمي) علي المدلول رحمه الله.

استدراك :

أسرتي آل سباهي أسرة حسينية منسوبة لم يختلف على صحة تسلسلها إثنان إلى أن ترقي لجدنا السبط الشهيد المظلوم الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام إذ من ذريته أحد أجدادي العالم العلامة الروحاني المجتهد الفيلسوف الرباني (المنتجب الدين العاني) إلى أن وصلنا عهد والدنا الكبير المغفور له المرحوم دهام الهادي أمير أمراء شمر عليه رحمة الله . بكنفه ، بظله ، بنعمته ، بروضته ، أنجبني والدي المغفور له المرحوم عبد الحميد العسكر السليمان السباهي العاني .

لكني وعيت نفسي بحضن وبنعمة وبعز والدنا الكبير المغفور له المرحوم دهام الهادي أمير أمراء شمر ومنذ ولادتي وإلى أن أنزلته وأخي وأخينا ولده علي إلى لحده العطر لم أسمع من يقول لي أنت ليس شمري. إلا بعد ما إنحدر بدر العواني في مثواه الأخير.

وبغض النظر عن العواطف فشمر ليس بملائكة إنهم بشر فيهم الصالح وفيهم الغير صالح أمثال هؤلاء الذين أخذوا يسمعوني (أنت ليس منا) وأنا إذا أتسمى بشمر فإني أتسمى بشرفائهم شخصيات هذا الكتاب.

وهم الشرفاء الذين لا أنا ولا غيري سمع منهم عبارة هذا ليس شمري هذا من (عنة)، وأنا أقول لمن يعزيني لهذا الشرف العظيم.

عيرتني بالشيب وهو وقار ليتها عيرت بما هو عار

عندما أقول: والدنا الكبير المغفور له المرحوم دهام الهادي فأنا صادق لقد رضعت الحليب من ثدايا زوجاته العفيفات الطاهرات.

من حليبهن رضعت، على صدورهن الطاهرة ترعرت ، بنعمة والدنا الكبير المغفور له المرحوم دهام الهادي نشأت ونلت من العز أنا ووالدي وإخواني وأخواتي ما لم ينله إخواني أبناءه للظهر، ومثل هذا العز كان يمطره علينا كل إخوانه وعمامه وأبناءهم (أهلي) عمي الباشا ، عمي هذال ، عمي صفوك الهادي عمي نواف، عمي السيد ، عمي ميزر، عمي علي عليهم جميعهم رحمة الله.

لا أتسمى بهؤلاء لأني بلا أصل وليس لأن أصلي من أشرف الأصول ولكن هكذا اعرفهم وهكذا نشأت وهكذا لا يستطيع لساني أن يسميهم إلا (بأهلي ، عمامي) ولكن ويا للأسف عندما غاب والدنا الكبير المغفور له المرحوم

دهام الهادي رحمه الله راح بعض الذين في قلوبهم مرضى والذين يرفضون أن يتستر الآخرون على معايبهم وفضائحهم يسمعوني كل ما يريدون أن أكفر بنعمة أهلي الذين أعترف بفضائلهم ليس إلا وفاءاً ونقاءً حليب مني أو بالتالي: صدق ربي حيث قال : ﴿ ليكاد الذين كفروا أن يزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر.. ﴾ صدق الله العظيم.

١ ـ تنبيه هام :

أخي القارىء العربي الكريم !

ألفت نظرك الكريم إلى أني ـ المؤلف : أنور عبد الحميد العسكر ـ رجل عراقي الأصل أنتمي إلى بلد أبائي وأجدادي (عنه). هذه المدينة التي بنيت في القرن الثالث قبل الميلاد. وهي بلد العظماء والعلماء والأدباء. وما من كتاب تاريخ إلا ويضيء إسم عنه صفحاته ـ وأسرتي (آل السباهي) هيّ من أشهر عوائل عانة وفيها قبر جدي : أصلان ـ عثمان ـ باشا القائد الذي أفرج السلطان العثماني عن أسره فقاد الحملة العثماينة العسكرية وحرر بغداد بعام /١٦٦٥/ ودفن في عنه درع شاطىء الفرات الأوسط. كما دفن أخيه: سنان ـ السيف ـ باشا في مسجده جامع السنانية بدمشق وهو فاتح اليمن والمغرب لأنه أيضاً كان من أهم قادة الدولة العثمانية العسكرين. ومن سلالته أعمامي في حلب وقسم منهم نزح بالخمسينات لمصر وسكن فيها أما أعمامي من جدي أصلان باشا فقد سكن قسم منهم في الديوانية بجنوب العراق وهم آل سباهي شيوخ عشيرة البو سلطان من جبور الواوي وقسم شيوخ العشيرة البو رجاب هناك ، وقسم سكنو مدينة الموصل. أما أجدادي سليمان وولده عسكر ووالدي المغفور له المرحو عبد الحميد العسكر فقد عايشوا آل جرباء شيوخ شمر ومن آل جرباء آ عواصي حصراً.

المغفور لــه المرحوم

الشيخ ميزر مدلول آل عاصي



أقول فيك وقد إحترت بالمقال ... يا ذا المعالي والأفعال الجزال

فيض المكارم حامي المحارم ... معيل الأرامل واليتامى والعيال

مفيض الدهر في عزم وحزم ... حصن القبيلة من خطر النبال

وكم من سيف بك قد تحطم ... يا سيفاً هاشمياً مبخون الفعال

كم كنت الخير كل الخير فينا ... وكنت البدر الذي به تبيض الليالي

فلو من مات مثلك يُفدي بحيٍّ ... لكان فداك أبي وأمي وعمي وخالي

ينعيك من صار بعدك وحيداً ... بمجلس ليس فيه من يفهم مقالي

عليك رحمة الله يا فخر الأكارم ... عليك الرحمة عمي يا فحل الرجال

ميزر المدلول والاسم أسمى ... من أن يعرف من أول لتالي

اسمك كأوصافك أياتٍ منزهات ... واسمك كنور يسطع على روس الجبال

بكتك شمر وطيء والأكارد ... وناحت لفقدك سيوف العرب والعوالي

تغمرك من صمت وصليت له ... رحمة تدف عليك إلى يوم الزوال

" أنور"

هذا الفصل من هذا الكتاب (عنوانه) أمراءَ شمّر أخصّ بالذكر منهم آل عاصي. هؤلاء أهلي ولي الفخر والشرف بأهلي الذين أنتمي لهم حسباً وليس نسباً لأني وكما أوضحت في مؤلفاتي وفي أكثر من مكان بهذا الكتاب. بأنّي " أنور عبد الحميد العسكر السباهي العاني" الشهير [بالشمّري].

ولكنّ آل عواصي أهلي، وأهل أهلي منذ خرجَتْ أسرتي آل سباهي من مدينتها عانه بالعراق ، عانه التي تعتبر درّة شاطىء الفرات الأوسط.

وأنا عندما أذكر أعمامي آل عواصي لأنّهم فخري، وفخر أسرتي بل فخر قبيلتي شمّر مثلما هم فخر أمة العرب عامة.

وليس قلمي الوحيد الذي يعتبرّ ، ويفتخر بذكرهم، وبالكتابة عن مكارمهم، وبيض مواقفهم. بل يعتز، ويفتخر ، بذلك كل صاحب قلم شريف وضمير نزيه نظيف.

لقد كتبت عنهم قبل اليوم وأصدرتُ خمسة كتب. ولم ولن أكون أسفاً عن ما خسرته من أموال لأنّ دافعي الوفاء والحميّة الشمّرية. خاصة وأنا أرى عشراتِ الكتب تنزل عن أُسَر، وأناسٍ لا تاريخ لهم في الوجود إلا ما تصدره الأقلام المأجورة التي تحركها أنفس دنيئة ذليلة.

أما أنا عندما أكتب عن أهلي العواصي، والذين تسمّيهم قبائل العرب فيما تسميهم من كريم الأسماء بـ (سلاطين البر) فهذا شرف لي خاصة، وأنا أعيش بعصر أرى فيه أنّ الرجل العادي تمرّد على أسياده وأرباب نعمته، وأشراف قبيلته بل وراح يستخفّ بالشيخ وينكر وجوده ، وتاريخ أسرته لأنّه يتناسى الله، ويجهل أنّ الكبير لا يمكن أن يُصْغُر وصغير الشأن، ومغمور الأصل لا يمكن أن يشيخ وأيُّ بناءٍ يصعد بلا أساس؟ والبناء الذي أساسه من ملح لا بدّ وأن يهدم، ويردم، وإن طال به الزمن.

ولهذا أيضاً فأنا عندما أشعُر بسامي الشرف، وأنا أكتب عن أهلي العواصي فلي أعظم الشرف، وأسماه، وأنا أكتب عن فخري وفخرهم، فقيدي وفقيدهم فقيد الإسلام ، والإنسانية فقيد شمّر، والبدو، والبادية، والعرب ألَا وهو المغفور له الشيخ المرحوم ميزر المدلول رحمه الله .

المغفور له الشيخ المرحوم ميزر المدلول رحمه الله :

هو ميزر بن مدلول بن العاصي بن فرحان باشا بن صفوك الجرباء. وُلِدَ بعام ١٩٢٥ م تقريباً في البادية .

كان فارسَ شمّر الأول بالقرنِ العشرين أشْتُهر بين شمّر، وقبائل الجزيرة بالفروسية والشجاعة، وطول المغازي ، لكنه لم يذكر عنه أنَّهُ هاجم ضعفاءَ، أو أنّه غنم حلال فقراء .

له الفضل بتوسيع رقعة ممتلكات شمّر مثلما له الفضل عليه رحمة الله بتوطيد الأمن، والسلام والإخاء، والمحبة، بين قبيلته شمّر، وسائر قبائل الجزيرة.

وكان دائماً، وأبداً يتحدَّث ، ويعتزّ ، ويفتخر بمكارم، ومواقف، وأصول أسرته آل جرباء، بدون تمييز بين عائلة، وأخرى من آل جرباء. إلى أن أخذ يطبق الأقوال بالأفعال حتى أنَّه وبشهادة معاصريه وهو الذي لم يمضي عامان على رحيله رحمه الله. إنّهُ فاق أجداده جميعهم برجولته، وكرمه، وعظمة شخصيته.

وكان له الفضل رحمه الله بإقناع وجهاء شمّر بفكرة الإستيطان والأعتماد على الزراعة سيّما وأنَّ الحروب القبائلية، والعشائرية إلى غير رجعة.

فكان رحمه الله الرائد في فكرة الاستقرار، فشكّل مصلحة زراعيّة هي من أوائل مصالح الزراعة بالجزيرة ، والفرات.

وما زالت هذه المصلحة قائمة ، وعاملة، وموفقة بيد خلفه (ولده) الشيخ عُدَيْ ، أدام الله وجوده ، وجهوده

له من الأولاد :

- طارق : رحمه الله وكان يدرس بجامعات إسبانيا.
- سيف : درس وأقام في نيويورك مدة أربعة وعشرين عاماً وعاد لوطنه.
- عديّ : ورث عهد والده . يعتبر مسئول العائلة ومرجعاً من مراجع قبيلة شمر وأمرائها تخرج من جامعات الرياض سياسة واقتصاد.
- أحمد : رحمه الله . الولد الشاب النقي .
- فاضل : درس الطب في جامعات الرياض وما زال منذ عشرين عاماً مقيماً في السعودية.
- مانع : ما زال يدرس بإحدى جامعات أمريكا.
- حسن : يدرس بجامعة دمشق.
- حسّان : يدرس الثانوية العامة.

لمحة هامة عن هؤلاء الشباب :

عندما استقرت القبائل واستعاضت عن بنادق القتل والحروب بالجرار الزراعي ووسائل العمار والعلم والخير.

كان المغفور له المرحوم الشيخ ميزر المدلول عليه رحمة الله وكما قلت رجلاً ناجحاً وحليماً ويسبق زمنه بتوقعات ما يحدث ، فمما أحسنه في حياته وكل حياته كانت حسنات. إنّه هَذّبَ أولاده وأحسن تأديبهم إذ أدخلهم المدارس وخرّجهم في الجامعات. ولكنّ أهمّ الجامعات التي تلمذهم عليها وتخرجوا فيها هما جامعتان :

الجامعة الأولى : مجلسه الكريم، مجمع المتحدثين والشيوخ والرواة ، وساحة الشعر . ومجمع المكارم .

والجامعة الثانية : هو أن عهد لهم جميعاً وأدخلهم الحوزة الدينية النقشبندية ي قرية حلوة التابعة لمنطقة القامشلي حيث أشرف على تأديبهم وتعليمهم دينياً لمغفور له المرحوم الشيخ علوان بن الغوث النقشبندي المغفور له الولي المشهور لشيخ إبراهيم حقي رحمه الله ورضى الله عنه وقَدّس الله سَرّهُ العزيز، فنشؤوا في حوزته على خير ما ينشأ أبناء الأمراء الصلحاء الأتقياء الأدباء، كما أحسن المغفور له الشيخ علوان إبراهيم حقي رضى الله عنهما تعريفهما بخير مواقعهم في الدنيا وقال لهم إعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون. وأنار لهم الطريق السليم للدار الآخرة.

والدار الآخرة هي دار القرار بل ومكنهم من ولوج الأبواب الواسعة لبلوغ الدار التي أُعِدّتْ للمتقين (الجنة) وأهم هذه الأبواب هي الصلاة والصوم الزكاة، والحج والإحسان للناس بالقول، والعُمل، واتباع السيئة بالحسنة ومتابعة العلم ولو في الصين. فخرجهم في مدرسة القرآن والإيمان. بهذه المناسبة لا بدّ لنا من أن نلفت نظر القرّاء إلى آل حقي والكون كله يعرف من هم آل حقي: رهبان بالليل ، فرسان علم ، وتقى بالليل ، والنهار قوم باعوا دنياهم بآخرتهم منقطعين لعبادة الله عبادة صادقة بكل وجوهها ومعانيها فلم تلههم عن عبادته تجارة، ولابيع .

ومصداق وصفنا هذا لهؤلاء ، العلماء ، الأتقياء الأبرار، الأطهار أن ليس فيهم من يملك حطام الدنيا شيئاً سوى بيادر الكتب، والمساجد. ومن شغلته الدنيا عمل بمالها، ومن لا يملك الدنيا لا مالاً، ولا حلالاً، فأيُّ شيءٍ يحرّفُهُ عن السبيل القويم للجنة التي حفظ الله لهم منازلهم فيها ؟

فهم فقراء لله وحده ، لا يطلبون، ولا يكلفون الناس إلحاحاً ولم يمنّوا على الناس بعلومهم. ولا يملكون محطاتٍ لبيع البترول أو فنادق أو قصوراً بمدن

سوريا . كما أنهم لا يتشبهون بالعلماء فيخدعون الناس . باستثناء العلماء آل الخزنوي بالجزيرة فهم يملكون محطاتِ بترول ومزارع وعقارات وهم الذين ينفقون هذه الأموال في سبيل الله للعلم وللمسلمين وللإسلام .

إنّ آل حقي رضي الله عنهم، لا يتحدثون بأي نوع من السياسة، ولايؤمنون بغير الإسلام ، وهم أولُ أسرة علماء في الجزيرة الفراتية منذ عشرات السنين.

الصفات الشخصية للشيخ ميزر مدلول العاصي رحمه الله :

ما إن استقرّ بالأراضي وسكن البناء بالإضافة لبيت الشَّعر رمز البداوة والأمجاد، والذي ظلّوا مستمسكين به حتى اليوم، حتى خرَّ بين يدي الله يكثر من حمده، وتسبيحه، وتعظيمه مقيماً لصلاته صائماً لرمضان أدّى حجتين لبيت الله، وهكذا سرعان ما تحول مجلسه في بيته إلى دار إيمانٍ وتقى يُتْلَى فيه القرآن الكريم. معظم جلسائه علماء ورجال دين، مُجَمّلاً مَجْلِسَهُ بالأيتام، والفقراء وحتى المجانين الذين تخلّى عنهم ذووهم ولم يجدوا من يتحملهم ، ويكسيهم ويطعمهم إلا الله ثم المغفور له الشيخ ميزر ، وأولاده الكرام .

من عاداته ، وتقاليده :

كان كثير التصدق على الفقراء، والمعوزين، والمحتاجين لوجه الله. باراً بأهله وأقاربه، يصل الرحم، يعفو عمّن أساء إليه متواضع، وهو الأسد الذي لا يدان عرينه، أنيس مع جلسائه محبوباً بين أصدقائه فخراً لمعارفه، وأبناء قبيلته ، وسائر الناس من أبناء القبائل وأبناء الحواضر.

طار صيته وبَعُدَ علمه فراح ذوو الحاجات يقصدونه من داخل البلاد، وخارجها.

إذا استدانه احد من الناس اعطاه فوق ما يطلب، وإذا استحقّ دينه لايطالب به حتى وإن كان بحاجة إليه.

عفيف النفس، كريم الشمائل، وافي الخصائل. لم يغتّر بكونه الشيخ الذي تجلّه الناس، ولم يخدع نفسه كون أبيه مدلول العاصي (أبو الطركي)(١) بحر الجود، والكرم.

فقد كان رجل عمل يشرف على عمل مصلحته وعمالها بنفسه، الجرارات والحاصدات وغيرها - فينظم مواقيت العمال، ويفحص تربة الفلاحة ويحسن البذار من غربلة ، ومداواة، وطريقة بذار أرضه، وحصادها كان رحمه الله يرأف بعماله فلا يرهقهم، ولا يجرح شعور من يقصر أو يتغيب، أو يمرض بل كان يكسيهم، ويكافئهم بأحسن المكافآت وكان من تقاليده أنه يخرج من مواسمه نصاب الزكاة وبقدرها عشرات المرات إثر كلّ موسم.

أثناء الحصاد يبني بيت قطن مثولث يكثر الدوام فيه فلا تمر ساعة إلاّ وترى عشرات السياراتِ أمام ذلك البيت كل من في السيارات طالبون، ومستعينون فيغدق لهم الصدقات والحسنات، والعطاء. حتى أصبح رجلاً أمميّاً ...

شّمر تراه ابنها، قبيلة طيء تراه إبنها، الأكراد يرونه ابنهم، الحضر يرونه من ساداتهم. فدائماً وأبداً ترى من كل هؤلاء الأقوام ترى أناساً كراماً إمّا في مجلسه ببيته بمدينة القامشلي، وبيته بيت مصلحته الزراعية في القرى التي يزرعها.

---

(١) أبو الطركي: كنية المغفور له والده المرحوم الشيخ مدلول العاصي رحمه الله. علماً أنّ أكبر أبناء داهية البادية وفيلسوف عقلاء شمر المغفور له المرحوم الشيخ علي مدلول العاصي. وعبارة أبو الطركي لقبوه الناس بها لشدته، وكثرة كرمه. فقد اقسم لن يمر "طركي" من أمام بيته إلاّ يحضر، ويجلس ويأكل ويشرب. وقد بلغ به هذا لاكرم لأكثر من هذا أنه كان ينصب بيته (الشعر) على ملتقى الطرق لإلزام الضيوف بإطعامهم طعامه، وقهوته ولهذا كان إذا رأى قافلة مقبلة من بعيد أخذ سيفه، وانتظرها حتى تصل ، وأقسم عليها إلا أن تنزل بضيافته.

وإذا حدثت أيّة مشكله عشائرية، أو زراعية، أو تجارية ارتضاه الطرفان حكماً فذهبوا إليه، ولن يقوما من مجلسه إلاّ متراضَيْين متصالحَيْن ، ولو يؤدّي من جيبه دفناً للفتنة وإزهاقاً للشرّ وما أكثر ما دفع، وخَسِر عن قضايا لاناقة له فيها، ولا جمل سوى حبه للخير، وأولاً وأخيراً لوجه الله لا يريد من وراء عمله لا جزاءً ولا شكوراً سوى الأجر من الله الذي أنزل: ﴿ من يعمل منكم مثقال ذرة خيراً يره ﴾ صدق الله العظيم.

شيوخ العشائر وأمراء القبائل تتنافس وتتحاسد فيما بينها، فإذا أُمْتُدِحَ أميرٌ أمَام أمير آخَرَ، يتحسس حتى لو كانْ أخوه. لكن المغفور له المرحوم الشيخ ميزر رحمه الله هو الشيخ الوحيد الذي إذا ذُكِر اسمه أمام أيِّ فرد بالجزيرة أو الفرات، أو أمام أي مخلوق يعرفه ، أو يسمع باسمه قال لك: ألف نعم من أبو خوام - بخوام يكنى ، ولا خوام -

ومن عاداته رحمه الله : أنّهُ إذا سمع بمريض أسرع لزيارته، ودعمه ماديّاً إن كان من ذوي العوز والحاجة. وكثيراً من المرضى يتحمل نفقات علاجهم، وإذا مات أيُّ مخلوق يعرفه أو يعرف أهله أو أنّهُ من ذوي السمعة الحسنة، أسرع وشارك في تشيعه، ودفنه ، عزّى ذويه.

شارك كثراً في بناء مساجد، وجوامع ، وكناتس، ودعم طلبة عديدين في دراساتهم مادياً، معنويّاً، وكثيراً أيضاً ساهم، وساعد في شراء بيوتٍ لعوائلَ لا سكن لها فسترها، وأشاع الراحة والسعادة في صدور أهلها.

وكان يتحلى دينياً بأخلاق مشايخنا آل حقي الأفاضل رضي الله عنهم جميعاً، فلا يتدخّل بشؤون الدولة، ولا يتحدّث بالسياسة مطلقاً، ولا يتردَد على دوائر الأمن إلا بمناسبة الأعياد إذ أكرم الله هذه البلدة الآمنة - القامشلي - بعدة ضباط ومسئولين شرفاء شهماء أشاعوا الأمن، والعدل، والمحبة، لمواطنيهم

تكريمهم للشرفاء بشكل خاص فأحبتهم الناس وأولهم المغفور له المرحوم الشيخ يزر مدلول العاصي.

في تاريخ ٢٧ / رمضان/ من عام ١٩٩٢/ كان مَدُعوّاً لبيتِ أحدِ أقاربه لتناول طعام إفطار رمضان ...

بعد تناول طعام الإفطار أئتمّ بالمصلين فضيلة الشيخ الأستاذ عدنان إبراهيم حقي رضي الله عنه، وقدّسَ اللهُ سرّه وفي آخر سجدة صلاة تراويح أتمها المغفور له المرحوم الشيخ ميزر المدلول إستردّ الله عز وجل روحاً بارّة صاعدةً إلى جنة الخلد . إلى الفردوس. إلى حيث دار القرار يسكنه الله عز وجل: ﴿ أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جّنت المأوى نزلاً بما كانوا يعملون ﴾ صدق الله العظيم . س/ السجدة / آ ـ ١٩ / .

وهذه قصيدة قالها برثائه الشاعر مساعد بن بطيحان: يمدحه فيها، ويستعينه للوقوف إلى جانبه لحل مشكلة حدثت للشاعر بالجزيرة مع لفت النظر إن الشاعر قادم من المملكة العربية السعودية.

بادي بااللي عزل ليله عن نهاره	يا رفيع البيت ما غيرك طبيب
من تجر بالكذب يبشر بالخسارة	لو زهت له ينكسه ربه قريب
يا نديمي شد لي كور الغمارة [1]	والبعيد بصاية الله لي قريب
أبـو خـيـام جـرنـاس الـزبـارة	شبه جرناس على الصيده عطيب
شبه حرٍّ عادته كفخ الحبارة	لياعتّى بالجول يفديهن حطيب
مثل سبع الهيش الياطب الأمارة	لا إختلف ذهنه ولا هو مستريب

(١) الغمارة: تسمي البدو كل سيارة تكسي صغيرة، غمارة.

شوق رعبوب زهت بلبس الحمارة والثنايا كنهن شخب الحليب

بنت كرم طيب وجتنا خباره لا بد بالله عن عيون الجريب

المثايل مثل جلاب التجاره ومن كنص بالحر ما ظنه يخيب

جيل أبو بطيحان ما قوله كمارة إسمعوا يا الربع واش قال الأديب

وعندما سمع الشاعر نفسه ـ مساعد بن بطيحان ـ بموت المغفور له المرحوم الشيخ ميزر المدلول رحمه الله رثاه بالأبيات التالية :

قال أبو بطيحان :

مرحوم أبو خوام عز الرفاكه عز الظعيف وعز من جاه محتار

عدي أبو ميزر ذرى كل عاكه إنت الخلف يا الحر يا طير غيمار

سيف شطير ويعجبك بانزلاكه يقول اللي بالتماثيل بيطار

ونيت ونة من غدا عظم ساكه خلوه ربعه يوم الدخن ثار

أبكي على طير غدى من سباكه الحر الأشقر ينقده كل محتار

قلبي كما دلوٍّ تكطعت حلاكه أبجي هديب الشام شيال الأقطار

عز الضعيف وعز من له وساكه الياصار عند كطيهن مثل الأفنار

بجاه من صلى بجد وصداكه عساه بالجنة عدد نبت الأشجار

وهذه قصيدة قالها المحامي حمود نايف آل جرباء وهو أحد أبناء عم المغفور له المرثي الأمير ميزر المدلول العاصي رحمه الله :

يبو محمد حط بالقلب مشهاب علم بجوف الليل جاني واحراه!

حر الحديد يا توهج عنًّا ذاب　　　　ههيهات ما يطفيه دمع سفحناه
جمر الغضىّ والحزن مثله اليا ناب　　　　ما ليم من نثر الدمع واجراه
حوّ المصيبة فجر الدمع وانساب　　　　بكبر المصاب الصبر شحت عطاياه
الهاتف اللي وصّل العلم ما طاب　　　　حش الظلوع وحطم الجسم وأوهاه
علم كبير هز الأصحاب واجناب　　　　وكل تأسف يومٍ سمعوا بفركاه
يعاه ربعٍ يذكرونه الياغاب　　　　حيثه تجر بالطيب وأفلح بمسعاه
يبجيه جيلٍ ما تخلك بالأصلاب　　　　ياتي ويسمع عن زعيم فكدناه
مشيٌّ بدرب الخير من هو شاب　　　　ولا كال عند الشيب يكفي وخلاه
قرم تخطى كل صعيبات باعصاب　　　　مامل ماجلن يدينه ولا خطاه
شديدٍ بالشدات مكدام ما هاب　　　　بعزمٍ وحزمٍ والمراجل تمثناه
عنده تدور الراي يا حلت أسباب　　　　والثور عنده يا ستشرناه تلكاه
يوم إتفخم كالة يفتح لها أبواب　　　　ولو هي عسيره جاب حله وفحواه
والمعضلة يرسي لها يضحك الناب　　　　يوم الرجل يضيع حلمه مع أرياه
له منطكٍ ينصت له العود والشاب　　　　حلو الشمايل وافياتٍ مزاياه
طموح للطولات للطيب جساب　　　　حرٌّ طويل الباع كوله ويمناه
سهل مع الوانين سمحٍ للأحباب　　　　نفسٍ خفيفه لا تجبر ولا تاه
لو ردت أعدد من مزاياه بكتاب　　　　لأكتب بعالي الصيت واذكر سجاياه
تفٍ على الدنيا عسلها تكل صاب　　　　وتفٍ على الدنيا وهذي رزاياه
خذيتي المنكوف من بين الأصحاب　　　　وبان الخلل بالعون من ذاك يرفاه

يا الربع! ميزر لو فكدناه ما عاب لازم نعيش العمر دايم بد كراه
ونجعله قدوة بالمسرة والأوصاب بالنهج والسيره وطرايف حجاياه
ونسعى بجمع الشمل من كول حطاب حيث الردى والخلف فرك عناياه
ونصبر على جور الليالي والأسباب والغيظ مع مرّ المصايب جرعناه
ونطلب عسى المرحوم والرب وهاب يجعَلُهْ ، الجنة بالفراديس مثواه

جزى الله المحامي الأمير الاستاذ الأخ حمود الجرباء بألف خير لهذه المشاعر النبيلة الصادقة الحارة ـ سيما وأن فقيدنا المغفور له الأمير المرحوم عمنا ميزر المدلول العاصي أهلٌ لهذا بحقٍّ وحقيقة.

وهذه قصيدة وقف قائلها ، وألقاها في مجلس العزاء رفض أن يفصح عن إسمه أو هويته :

الله من ليلٍ جرى بالتراويح جانا وكيل الموت وأعطىٰ الإشارة
هجم علينا مع صلاة التسابيح الليلة الغبرا اللي شربنا مراره
لو الصياح يجدي ياعدي لا أصيح أصيح وابجي ليله مع نهاره
يوم جرى (بحلوة)[1] وتناويح ما لومهن لو صيحن العذارى

(١) حلوة: حلوة قرية تقع شرق مدينة للقامشلي بإثني عشر كيلو متر ونصف وغربي ناحية القحطانية بمثل المسافة، فيها الحوزة الدينية النقشبندية لعلمائنا الأفاضل (آل حقي) رضيّ الله عنهم، وفيها مقبرتهم ومعظم الأتقياء يقبرون فيها إيماناً منهم أنّ (تزيل الكرام لا يضام). خاصة وأنّ بتربتها العطرة مرقدُ الوليّين المشهورين بكراماتهما للعيان وبتقاهما المشهود لهما به.
آ ـ الفوت النقشبندي المغفور له شيخنا إبراهيم شيخ حسين النقشبندي ، رضى الله عنهما وقدس الله أسرارهما .
ب ـ وأخوه سيف الشريعة، وأسد العلم وبحر الفقه واللغة شيخنا المغفور له المرحوم محمد شفيق الشيخ حسين النقشبندي الشهير بـ (أخي هدلة) رحمه الله، ورضى الله عنه، وقدّس سرّ
وكان المغفور له المرحوم عمي ميزر المدلول رحمه الله قد أوصى بحياته أنّه إذا حان وقت وفا أن يدفن في مقبرة حلوة.

لوبنا من فكد ميزر مجاريح ... نمشي معه للقبر مثل السكارىً

رحوم يا شيخٍ كسب هبة الريح ... لا يا عديُّ والله علينا خساره

بو الأرامل والعميّ والمدابيح ... مرحوم يا شيخ بعيداتٍ ذكاره

لمطبعة كله تصدح تصاريح ... تشهد عرب وأكراد حتى النصارىّ

يا خذ على غيره فنون ومشاويح ... أمير والله من سلالة أماره

لو غالطوه الغوش تاخذ تصافيح ... عن شبر أبوخوام تقصر شباره

تاخذ عنه عصم الشوارب تنازيح ... الشيخ أبو خوام ليث السعاره

اليا يمجزوا عن الراي وصارت تناشيح ... حلال كالات بعدل وجساره

هذا اللي قلت وكل شيء بتصحيح ... ما قلتها بخدعة ولا هي قماره

قلته بضرغام بعيد المشاويح ... ما دور الغرات بنسوان جاره

أمر عليه الحق ما هي تمازيح ... لا وحسايف يا عكاب الزبارة

علينا لو هو بالكون تاتي مطافيح ... من دون أبو خوام تفدى عماره

لكن خذت قبله رجالٍ مفاليح ... عسى محمد والصحابة جواره

عساه يوم الفوز من اهل التساميح ... الله يفكه من لواهيب ناره

ليا خسروا الإسلام من المرابيح ... مبسوط بالجنة يقطف ثماره

وصلوا على المختار زين التصابيح ... على اللي أنذر وجاب البشارة

وهذه قصيدة الشيخ: غازي عكيل ضعب الهادي العاصي من أبناء عم فقيد شمر والبوادي المغفور له المرحوم عمنا الأمير ميزر المدلول العاصي يرثيه فيها:

الحمد لله مخلف الجيل بالجيل والحمد لله نحمده بكل الأحوال
والحمد لله والثنا والتهاليل وسواه ما ينحمد على نكبة الجال
ومن بعد هذا أبتدي بالتفاصيل ولا أقولها كاذب ولا أني بدجال
بعمي وأبوي وعزوتي والمحاصيل اللي عدل لي الحمل من عقب ما مال
يا سيدي ما أنت بحاجة لتبجيل لا والذي خلاك مضرب للأمثال
وحتى مماثل زادك الله بتدبيل عشت بشموخ ومت شامخ كالجبال
والله وأكبر، يا عظمي الرجاجيل كم كنت بالمواقف عظيم ورجال
والله وأكبر، اليافتر مننا الحيل كم كنت بالأزمات حكيم وفتال
والله أكبر بالمراكض مركض الخيل كم كنت بالأزمات حكيم وفتال
والله وأكبر يا هزع يمنا الشيل كم كنت للحمول النجيلات شيال
والله وأكبر يا غشى جونا الليل كم كان نورك بالدياجير شعال
حلحيل يا ميزر المدلول حلحيل يا مرخصن بالوقت والجهد والمال
يا أجلت اليمنى على العدل والميل يا بيتنا المبني للأجناب مدهال
يا شمعة المجلس ونور التعاليل يا دافن الزلات يا طيب الفال
وكم عنى لك قاصدك بالتساهيل الله على إيدك تبدل العسر باسهال
وكم يتيم جالك دمعه هماليل أكفيّ سعيد راضي طيب الغال

وكم أرملة وكيتها بالتكاميل ... عوضتها فعلا عن العم والخال

وكم وكم وكم مانوفي الجيل ... يا عزنا والله عقبك أنا ذال

والله إن ما صار بالحال تبديل ... ما يرتفع صرحٍ ولا طايل طايل

ويا لابتي عيشو الحقيقة بتفصيل ... حنا فقدنا ناهيبة وعز وظلال

ونطلب عسى الله يخلف بالمجاييل ... ترى السعد عقبه على حفة الجال

وهذه قصيدة للسيد دحام شعفان الصايحي الشمّري أيضاً رثى بها فقيد الإيمان والتقى والجود والكرم والخيل والأسنة : المغفور له المرحوم عمنا الأمير ميزر مدلول العاصي رحمه الله .

بديت باسم الله في كل الأحيان ... الوالي اللي كلنا له ملبين

اللي ارسلنا نور الهداية بقرآن ... بكتاب وضح به جميع البراهين

ومن بعد ذكر الله بديت الا-حزان ... من صوغ جاش مسه الغبن والبين

صرخة صرحه وجد حرمان ... بفراك من فركاه هي البلاويين

الأجودي اللي علمه ظفىء كل الأوطان ... من نجد للدوحة وحتى فلسطين

لبغداد لربوع الجزيرة لعمان ... كلٍ سمع بك تاجنا مثل حطين

حكيم الياصار التفاكير شتان ... رايك صواب وتقتدي بك ملايين

يا ما بذلت من العطايا والإحسان ... ارخصت مالك تابع منهج الدين

الله حبك غارز بقلبك الإيمان ... والناس والله كلهم لك محبين

كم گالة حليتها بصدك أوجدان ... وخليت أهلها عقب الأكثر سعيدين

الله عطاك الهام مع خبر برهان ... أبٌ عطوفٍ للفقارى والمساكين

رحلت أبو خوام يا ذرب الايمان[1] وفي حاجتك والله ناس مقيمين

من هو، كتب في صفحة المجد عنوان في هلزمن ميزر فقط بين قوسين

عساه قبرك ورد وعطر ورياحين روض من الجنة جزاء المصلين

وعساك بالفردوس مع خير إنسان قولوا وهي من قلب آمين آمين

والله يا لو ألفت من الشعر ديوان نقطة تظيع إبحر الكريمين

ما يرجعك شعر كتبته بالالحان ولو يرجعك لأنزف حروفي براكين

لكن شعور الشمري شبني وكدان شمر عيالك كل أبوهم حزينين

شفت الأسى بعيونهم والأحزان يا كبرها حسره بقلوب الغلامين

يا عزوتي ميزر رحل الأزمان كونوا يدٍ وحده على العسر والبين

ما تنفع كتابة صبغ على الجدران لاصار ما هي نابعة من الشرايين

أقولها من دون زور وبهتان لا قاصدٍ غاية ولا أبي ناشين

تم الجواب اللي كتبته بقيفان فانوس فكري نظم الشعر حرفين

يستاهله من جاد بالمجد وازدان يستاهله ميزر نسل العريبين

وصلاة ربي بكل فجر له آذان على النبي اللي وضح دروب الميازين

---

(١) الايمان: هذه لاتعني التقوى والدين : إنها جمع يمين وتعني الأيادي الخضراء الندية العفيفة الفعالة.

وهده قصيده قالها السيد جاسم بن خليفة الفداغي الشمّري يرتي بها لمغفور له المرحوم عمنا الأمير ميزر المدلول رحمه الله:

مرحوم يا شيخ رحل برمظاني — بالعشر الأواخر لعند ربه زياره
مرحوم يا حافظ جميع المعاني — راح الفقيد اللي علينا خساره
لشيخ أبو خوام طللك اليماني — ميزر ولد مدلول عز لجاره
يا ريف الأيتام ومن جاه عاني — حتى الأرامل زارع لها شكاره
ولياشاف مسكين هف له ولاني — ينافل دروب الشرف والطهارة
عزٌ لشمر يا كثير الحساني — وعز العوايل عجزها مع صفاره
أوين اللي يجي تالي الليل عاني — على ضعوف طايحينٍ فقاره
يا صار قل الزاد والوقت شاني — يجود أبوخوام بليل ونهاره
بما عطا من المال بليا فناني — يعطي بيمينه ولا تدر يساره
نطلب من الله عالمٍ بكل حال — يدخله بجناتٍ إتدافك نهاره
ونطلب من الله جنها بالتماني — نبي الخلف من واحدٍ بالخساره
عسى عياله يقظبون المكان — المصقرة لازم تروده حراره
وصلوا على المختار طول الزمان — اللي عطر سنته من أنواره

وهذه قصيدة قالها الشهم: عبيد ذعار العكيدي الشمري، ووالده دعار رحمه الله من شيوخ فخذ البهيمان من عشيرة الخرصة الشمرية وهذا ـ عبيد ـ يرثي بها المغفور له المرحوم عمنا الشيخ ميزر المدلول العاصي عليه رحمه الله.

قال عبيد :

أبدي بذكر الله على العين والراس	حيث إني سخرت جزل القاف بتمكين
أرثي شيخ ينضرب فيه القياس	ماله مثيل: لعزوته والبعيدين
ضحى بجاه ومال في خدمة الناس	يضحك حجاجه بالعسر واللين
بنيّ لنا مجدٍ وعليّ لنا ساس	فهو فخرنا وهو عزنا يا المحبين
شهم رحميم براي مع قوة الباس	وكل الملا بأفعال ميزر فخورين
صيته تحاكت فيه نجد والأفراس	وياما ساعد يتامى في فلسطين
عفيف الشمايل صالح ودوم مرواس	رمز الوفيّ شهم من سلالة حشيمين
الهام من ربّ فهيم وحساس	وسجله التاريخ بأفعال وعناوين
رحمه ربي برحمته بوكت الأدماس	بشهر الرحمة والجماعة مصليين
ضاكت الدنيا بزود همٍ وهوجاس	ومن عكب صقر القوم شمر حزينين
وصاحت الجزيرة ونجد بحزن وعماس	والشيوخ والعلام للرب داعين
مرحوم يا شيخ على الطيب جلاس	مساكنه الجنة بورود ورياحين



صورة ثنائية لأصحاب الرحمة والمغفرة إرتضاهما لجواره الكريم

فضيلة المغفور له عالم الجزيرة الجليل شيخنا علوان إبراهيم بن الشيخ حسين العلواني النقشبندي المشهور بحقيٍّ تغمده الله في فسيح جنانه آمين. ويبدو من جاوره بالدنيا، وفي تربة الرحمة المغفور له المرحوم الشيخ عمنا ميزر مدلول العاصي الفرحان آلصفوك آل جرباء عليه رحمة الله تعالى وغفرانه.



المغفور له المرحوم

الشيخ ميزر مدلول آل عاصي - رحمه الله - أيام شبابه

من للخيل بعدك يا أبو خوام ؟ من لليتامى والأرامل بعدك يا مقيل عثرات الكرام ؟ من للعشيرة بعدك يا راقع كل فتق ومتلقي كل واقعه قبل وقوعها ؟ من للبؤساء والفقراء بعدك يا ولي من لا ولي له بعد الله عز وجل ؟ من للعراة ؟ من للجياع ؟ من للمرضى والحزانا بعد الله إلاك ؟ ... عليك رحمة ربي يا عمي .



الشيخ عونيان المدلول العاصي

الفرحان الصفوك الفارس الحميدي الجرباء (صورته بالوسط)

هو ثالث أبناء المغفور له جدنا المرحوم الشيخ مدلول العاصي (أبو الطركي) رحمه الله. من أبرز شيوخ شمر أصحاب الحل والعقد والربط، إنتخب نائباًعن منطقة المالكية بعهد الإنفصال، خدم قبيلته شمر ودفع ثمناً لذلك ضريبته الدم وجعل من جسمه سداً منيعاً ضد من طمع في تجاوز حدود قبيلته حيث شارك بهذا الدم في إعادة صياغة وكتابه التاريخ الشمري من جديد.

يشتهر بالكرم والعفاف والصدق والجود. مثلما تعرف عنه النخوة والحمية. مستمسك بدينه متعبد حج لبيت الله مقيماً لصلاته مؤدياً لفرائض الله عز وجل محباً لوطنه سوريا ولعروبته.

ولد بالبادية. عمره يناهز الخامسة والستين يسكن قريته (تل عدس) أخواله (الحلاجمة ـ كياخي طيء) وهم نفس خوال أبناء مثقال والمرحوم نعمان إبن عمنا نروي الزيد العاصي والحلاجمة عرف عنهم الشجاعة ويلقبون بـ (صيادة الشيوخ) ويكنون بإخوان حندولة.

وأبرزهم الشيخ دحام الكياخي من أبرز فرسان قبيلة طيء.



المغفور له المرحوم

الشيخ هذال فهد العاصي

الفرحان الصفوك الفارس الحميدي آل جرباء

أبو ظاهر : سلطان الجود والكرم والشجاعة ، الملقب بحاتم طيء القرن العشرين . ولا شبيه له بجوده وكرمه سوى أمير أمراء قبيلة طيء الحالي محمد عبد الرزاق النايف آل عساف الطائي .

المغفور لـه

المرحوم الشيخ هذال العاصي

عندما يتحدث التاريخ، فإنه يتحدث عن الرجال وأهم الرجال هم العظماء

أمّا عندما نملي حديث التاريخ على الزمن، بأيامه ولياليه. فإننا وتحت عنوان الشيخ هذال فإننا لن نكتفي بأن نَعَرِّفَهَ فنقول:

هو هَذّال بن فهد بن العاصي بن فرحان باشا بن صفوك آل جرباء هذا تعريف من تعرفه البطحاءُ، والسماءُ.

فقبل أن نعرّف التاريخ به. فالتاريخُ، وأهله يعرفون من هو : أبو ظاهر، من هو: حاتم السخيّ بالقرن العشرين. ففي كل قبائل سوريا، والعراق، ونجد، وخاصة قبيلة شمّر إنْ قلت " أبا ظاهر" ! قيل لك ألف نعم. ذاك هو هذال العاصي وإن قلت: حاتم الجود، والسخاء! قيل لك والف نعم. ذاك هو هذال العاصي. وإنْ قلت: الحر العصاميّ! قيل لك وألف نعم ذاك هو هذال العاصي.

نعم هذال هو الشيخ الذي وُلِدَ في البادية السورية، وانتقل لجوار ربه الكريم بتاريخ /١٢/ ١٢/ ١٩٨٠م/ عن عمر قضاه في البّرِ، والتّقى، والإحسان مثلما عُرِفَ عنه سامي القيم، والنخوة، والشهامة، والرجولة.

الشيخ هذال العاصي : هكذا كان يكنى، ويكنى أيضا ً بأبي ظاهر كان يسكن قرية (مسعدة) الملاصقة للحدود السورية العراقية ناحية اليعربية (تل

كوجلك سابقاً) ، كما أنَّ له قرىً عديدة غيرها أشهرهنّ قرية (الطاش) خاصة بالمغفور له الشيخ (نواف فهد العاصي) رحمه الله.

وهما إبنا عم أمير أمراء شمّر المغفور له، ووالدنا الكبير المرحوم دهام الهادي العاصي، أسكنهم الله فسيح جنانه وتغمّدهم بواسع رحمته تعالى.

حياتــه :

كان في بداية حياته مُعسراً مقتراً، ولكنه طيلة أيام حياته المعسرة ما عُرِفَ عنهُ إلاّ العفّة، والأنفةُ، والصبرُ، والعزة، وعظمة الشخصيّة، وعلّو الهمة.

فإذا جاع قال: إنّهُ شبع ويكثرُ من حمد الله. وإذا أُتيح له أَقَلَّ نوعٍ من الطعام فإنه لا يستسيغه حتى ينادي عليه جيرانه، ويرغم من هو في مجلسه ليشاركه في تناول، ولو لقيمات من ذاك الطعام.

كان بيت أبي وبيته رحمهما الله متجاورين تضمُّهما عربٌ [1] واحدة، وعندما إستتبت قبيلة شمّر سواءً بالعراق، أو بسوريا، بل وحتى في نجد امتلك كل واحد قريةٍ، أو عدَّةَ قرى.

وهكذا أصبح بيت والدي بقريةٍ لكنه في (ظلال التاج) بكنف القلعة التي لا ترام، والحصن الذي لا يضام، بيت والدي رحمه الله في قريتنا البيلونه وقرية المغفور له المرحوم الشيخ هذال العاصي في قرية مسعدة. والمسافة بين القريتين خمسة وعشرون كيلو متراً.

وجدت نفسي فجأة استوضح من المغفور له المرحوم والدي عبد الحميد العسكر

(١) عرب: كلمة عرب هنا لا نعني بها أصل أو قومية. إنما في اللهجة البدوية تعني الفريج: الفريق، أي النزل، أو، الحيّ بمعنى أوضح تعني مجموعة بيوت شعر فيقال جاء فلان من العرب الفلانية أو إنه ذاهب للعرب الفلانية.

أهم أسباب صعود نجم المغفور له المرحوم عمي الشيخ هذال العاصي، وأسباب إعجاب الناس بشخصه، واستقلاليته الذاتية؟

كان والدي رحمه الله يحدثني عنه كثيراً. وكان يصفه بعزة النفس، والإباء منذ صغره ومما كان يقوله لي والدي عنه رحمهما الله.

ولدي : أرأيت صحن شويخ، صحن والدك دهام عليه رحمة الله؟

ـ : نعم أعرفه يا أبي. وهو الصحن الذي عشت عليه. وبه أفتخر .

ولدي : ورأيت كيف كانت شمر والزائرون والضيوف ترتع به وتبلع منه؟

ـ : نعم .

ولدي : كل من في المجلس ينهض، ويأكل منه إلا رجلاً واحداً هو عمّك المغفور له الشيخ هذال، والصحن شويخ هو صحن أخيه وابن عمه لكنه كان رحمه الله يرفض أن يأكل مهما دعاه أو حاوله المغفور له والدك أمير أمراء شمر دهام الهادي.

وميزة أخرى، كان يأتي لقريتنا باعة متجولون منهم من يبيع تتناً، ومنهم من يبيع قماشاً أو عباءات أو تمراً ودبساً... إلخ.

فكان المدخن بيتديَّن من البائع تتناً (تبغ) والعريان يتدين خاماً، ورب العائلة يتدين دبساً، وتمراً.... إلخ...... بإستثناء المغفور له المرحوم عمك الشيخ هذال العاصي. لا أحد يذكر أنّه قال لأحدٍ ديّني أو أقرضني.

وعندما إستقرّتِ القبيلة على الأرض ، وسكنت وكان هو أبرزَ الملاك تعاقد مع بعض المزارعين الأثرياء الأقوياء، فأحسن زراعة قراه حيث راح يجني من زراعتها الأموال الوافرة.

بل وقبلها تعامل مع التجار الذين يشترون، ويبيعون الغنم، والإبل، والخيل، ودبس العراق وتمره، وكان يجني من ذلك أموالاً طائلة، فابتنى بيتَ شعرٍ مخومس [1] . ولحق به العبيد، وصار له أعوانٌ من شمّر وانفرد بعرب خاصةٍ يقال لها (عرب هذال) مثل عرب المغفور له، والدك دهام الهادي أمير أمراء شمر رحمه الله .

لكنَّ ذلك البيت سرعان ما صار سوقاً يؤمُّه الفقير فيأكل، ويشبع والعاري، فيلبس، ويكتسي، واليتيم، فيكفله البيت وصاحبه فيعيش وينشأ. بل قل : أصبح ذاك البيت روضةً يعتزّ بها بخيرها الضيف، والزائر، وحصناً منيعاً يستجير به الغارم، والمضيوم، والدخيل .

وهكذا بارك الله له بالنعم الوافرة، والخير العميم، والسمعة الحسنة، والخبر الطيب .

فكان رحمه الله ذبّاحاً، طعاماً، مضيافاً، وهاباً، نقاذاً، ستاراً.

سَلّح عبيده ورجاله، وأنشأ مصلحة زراعية تضاهي أكبر المصالح الميكانيكية الزراعية. بسوريا. وذاعت أخباره كأهم شيخ من شيوخ سوريا، ومن سائر شيوخ شمّر فقد انفرد بالجود والكرم فيده لا تعرف العطية الضعيفة، ومضافته تقدم بها ذبائح الضان يومياً، لحماً، وسمناً، وأرزاً، وخبزاً عندما أخذ يتردد للمدن السورية، واللبنانية تنبه لركيزة من ركائز الراحة والسعادة فإشترى بيتاً (طابق) بأحدث شوارع دمشق بالمالكي، وآخر بالقامشلي في محافظة (الحسكة) لكن الأول بيع بعد إرتحاله لعالم الخلود .

وكان يعتبر الشيخ الثاني في عشيرة الخرصة الشمرية. وعندما أسس

---

(١) المخومس : هو بيت الشعر الذي تحمله خمسة أعمدة ومثل هذا البيت لا يبنيه بالقبيلة إلا الأ أو الشيخ مهما كانت منزلته أو ثروته.

مصلحته الزراعية إستغنى عن جهود المزارعين الذين كانوا يعملون بأرضه فراح يقوّم أراضيه بمصلحته، ويستأجر أراضي وقرىً من الملاّكين من شمر وغير شمر داخل محافظة الحسكة والرقة وخارجهما. لكنه لم يكن كبقية المزارعين...

إذا وجد أنّ صاحب الأرض محتاجٌ. ترك له الموسم وضحىّ بكل أتعابه، وانسحب. وكثيرٌ من الناس يفلح أراضيهم ويبذرها من بذاره ويحصد لهم الزرع بحاصدات، ودون مقابل .

كثيرٌ من أبناء شمر كانوا عزّلاً فمنحهم السلاح .

بعض أبناء شمر لم تعد تلائمهم الخيول فاشترى لهم سيارات وكان بعض أبناء شمر ضعفاء إقتصادياً فاشترى لهم أغناماً أما من كان يقصده من سوريا أو من العراق أو من لبنان أو من الأردن أو من نجد فهم على مدار السنة وفي معظم سنين حياته رحمه الله .

لا شبيه له بالكرم إلا واحداً من أبناء عمه هو المغفور له المرحوم عمي الشيخ ميزر مدلول العاصي رحمه الله لن أستطيع لا أنا ولا غيري أن نصفه بتقاه، وشجاعته وإنسانيته وجوده وكرمه، وحلمه وذكائه، وحسن تدبيره عليهما رحمة الله .

أخلاق المغفور له الشيخ هذال :

المغفور له الشيخ هذال قضى رحمه الله، وهو بكل عمره كما نشأ بأول صباه. عصامياً، أبياً عزيز النفس .

لكنه كان حاد المزاج، غضوباً، سموحاً بآن واحد، يختلف عن أبناء عمومته أمراء شمر بأنه يضرب بيده إذا غضب لكنه سرعان ما يعفو، ويسامح

لأنّه عُرِفَ عنه الحنان، والرأفة، ولكنه أكبر من أن يغضب من فقير أو يزعل ممن هو أدنىّ من مستواه.

تولّع بالأسفار، فجاب كل أقطار أوربّا، والولايات المتحدة الأميركية لعدة مراتٍ. كان محبّاً للأدباء، والشعراء، ومكرماً لهم، كان أنيقاً في ملابسه، طويل القامة، نحيف الجسم، بعينيه بريق لامع، سحنة وجهه سمراءُ سماراً نجديّاً، مال بسماره لأخواله من زعماء عشيرة عبده، ضحوك السن، باسم الثّغر، مولعاً بتدخين السيجارة، وشرب القهوة العربية، رغم رقّة عوده، ونحافة جسمه، يساهر ضيوفه ويؤانسهم لساعات متأخرة من الليل، لكنّهُ يستفيق مبكراً.

ومن صفاته بالكرم كأي واحد من أبناء عمومته من أمراء شمر أنّه يجمع سكان قريته (مسعدة) وعدّة قرى مجاورة لقريته بكل إفطار بشهر رمضان فيفطرون على مائدته لكنّ هذه نبذة من مواقفه بالجود والشهامة وللإنصاف، وللتاريخ أسوق للأجيال عنه هذين الموقفين :

وليمة المغفور له الشيخ هذال للطلاب العرب في نيويورك :

بعام /١٩٦٠م/ كان المغفور له الشيخُ هذال في مدينة نيويورك، بالولايات المتحدة الأميركية برحلة إعتيادية من رحلاته السنوية، كان رحمه الله يصطحب معه (إصطابرو) [١] الذي يجيد عدة لغات لكن المغفور له الأمير هذال شعر يوم ما أنّ مرافقه، ومترجمه إصطابروا لا يجيد الانكليزية بطلاقة، وبقوة فإضط لاصطحاب طالب عربي سوري يترجم له.

بعد اسبوع أو أسبوعين فهم الشيخ من هذا الطالب أنّ لكل جالية طلاب

(١) إصطابرو : من سكان مدينة القامشلي، يحمل الجنسية اليونانية وطنه الأم يعمل رئيس مر ومسئول المصلحة الزراعية لدى المغفور له المرحوم الشيخ هذال العاصي. كان يصطحبه برحلاته كمترجم ومرافق خاص.

عربية نادياً يجتمع إليه الطلاب بإستثناء الطلبة السوريين لا يوجد ما يجمعهم أسوى السفارة السورية بواشنطن أو لقاءات الصدف في المحلات، والشوارع.

فما كان المغفور له الشيخ هذال إلاّ أن وجّه الدعوة لكل طالب عربي سوري، ومن يحضر معه من إخوانه الطلبة العرب الآخرين.

أقام الدعوة في منتدى فخم بقلب نيويورك وجمع الطلبة العرب من معظم الولايات المتحدة الأميركية، ومعهم طلبة من أقطار عربية. وعلى رأس الجميع البعثة الدبلوماسية السورية التي حضرت من واشنطن إلى نيويورك وشاركت في الحفل التكريمي للطلبة العرب السوريين بشكل خاص.

المغفور له الشيخ هذال العاصي أحلم بن أكثم بن صفي :

لم ينجب المغفور له الشيخ هذال رحمه الله سوى ولدٍ واحدٍ كان اسمه فهد عليه رحمة الله.

قراء التاريخ يعجبون من حلم وإنسانية حكيم العرب أكثم بن صفي. الذي جاءه ولداه ممسكين بابن عمهما وفي يمين كل واحد منهما سيفٌ كان أكثم وسط مجموعة من الرجال يتحدث إليهم. فلم يقطع حديثه ليسأل ولديه عن أمرهما مع ابن أخيه حتى إنتهى من حديثه. عندها التفت إليهم، وسأل ابنَيْه ؟ فقالا له : إنّ ابن عمهما قتل أخاهما، فأسراه، وانتزعا سيفه، لكنّ حسن أدبهما منعهما أن يلحقا به ضرراً قبل أن يرجعا لأبيهما ليرى فيه رأيه.

قال أكثم : حسناً فعلتما، وقد كان أخوكم يمين ابن عمكما فقطعها بشماله. أفتريدون أن تقتلوه، وتقطعوا، شمالكم بيمينكم.؟ أخليا سبيله. لكنّ أخاكما ـ رحمه الله ـ أمّه غريبةٌ عني فامضيا إلى إبلي وأدّيا لها مئة ناقة.

والآن بماذا سأحدث التاريخ ؟ والتاريخ يذكر أنّ في كل زمانٍ، وبكل مجتمع أكثم، وحاتماً، وعنترة ....

المغفور له الشيخ هذال لم ينجبْ سوى فهدٍ رحمه الله. فأنشأه بأحسن تنشئة ودلله دلال أبناء الملوك .

كان فهدٌ طفلاً، لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره. نسّبه لأرقى الكليات الأجنبية في لبنان كلية يلحق الأمراء، والأثرياء، والباشوات أبناءهم بها. لكنّ فهداً كان محبّبا إلى قلب أبيه. إنّه وحيده وإنّه ابن من يُنْهب ماله لمن هم ليسوا بأبنائه أو إخوانه، فما بالك بفهد وحيد أبويه وغاليهما وابن من أجلس على مائدته أربعة آلاف طالب في مدينة تنطق بالعملة الصعبة كان الفهدُ يلبس أحسن الثياب، وأغلاها، وكانت له سيارةٌ خاصةٌ مع سائق خاص بنفس الكلية. طبعاً كان بالمرحلة الابتدائية .

عاد لأهله في ربيع مشئوم كان هو آخر ربيع بحياته التي كانت كعمر الوردة العطرة، وعودته كانت بمناسبة عطلة الربيع المدرسية. بعد وصوله بيومين، أقام المغفور له هذال وليمة كبيرة، حضرها المئات من أبناء شمر، والأكراد، وغيرهما، وكان للوليمة مناسبةٌ وإن كان رحمه الله يقيم الولائم يومياً بمناسبة، وبدون مناسبة .

خرج المرحوم فهد مع ولدٍ صغير من أبناء العبيد اسمه "كليل بن أدهم المزنة" وبيد الفهد بندقية صيد صغيرة عيار ستة ملم، وساحا في البرية. دفع فهد البندقية لمرافقة كليل وتنحى عنه، وجلس لقضاء حاجة. وبينما كان الفهد مقرفصاً، لاح لكليل طائر فجأة، صوب البندقية باتجاه العصفور وأطلق عياراً نحوه، فوثب فهد فجأة، فجاءت الطلقة بنقرة رأسه من الخلف وسقط قتيلاً .

جاء الناس بكليل للمغفور له هذال، ومعه المرحوم فهد مُنْتَثِراً مخ رأسه وجسده سابح بدمائه .

مجلس المغفور له الشيخ هذال كان ممتلئاً بمئات الرجال، لكنه ـ رحمه الله ـ أقسم يمينا بأنّه سيفرغ مسدسه برأس أي امرأة تصيح، وأي رجل يتكلم، أو أن يشعروا ضيوفه بأدنى مؤشر قد يكدر جلستهم ويحرمهم الطعام الذي لم يقدم حتى تلك اللحظة .

ثم أمر أن تُزم حقائب فقيده الغالي فهد ـ رحمه الله ـ وبما حوت من غالي الثمن، وخفيف الحمل فأعطى كل ما للمرحوم فهد من ثياب، وبدلات وحقائب، وتحف ثمينة، ومعهن كليل، ووضع الجميع بسيارة وأعطى كليل دراهم كثيرة وأرفق معه رجلين. واحد يقود السيارة، والثاني مرافق حماية مسلح وهو يقول: إمضوا به لقرية عمه النوري [١] مؤقتاً خوفاً من أن يراه عمه الشيخ نواف عم فهد، ويقتله إمضوا به ـ هذال يخاطب الرجلين ـ وأوصى أن يبلغا أقاربه أمراء العراق ألاّ يمسه أيُّ واحد بسوء [٢] .

بعد اتمام تأليفي لهذا الكتاب ثبت لي أن أحد الرجلين هو المرحوم عمي نواف مهد العاصي والزمه المرحوم عمي هذال بأن يحميه حتى يوصله قعر الأمان .

تحدث التاريخ عن حلم أكثم بن صفي وللتاريخ أسمى الشرف أن يتحدث عن حلم وإنسانية وشهامة الأمير الذي عاد لمجلسه وسط مدعويه، وضيوفه، وزواره، وهو يضحك ويبتسم ويتحدث لهم بكل هدوء تاركاً من هم في قسم

(١) النوري : هو المغفور له نوري فيصل الفرحان الصفوك آل جرباء من شيوخ شمر بالعراق وهو أحد أبناء عم المغفور له المرحوم الأمير هذال العاصي، يسكن النوري رحمه الله بقريته مشيرفة قرية عراقية حدودية تبعد عن قرية المرحوم الأمير هذال مسافة اثنين كيلو متر مشيرفة عراقية، ومسعدة سورية وهما متقابلتان.

(٢) بعد انتهاس الكتابة من هذا الكتاب تأكدت بأن الذي حمل كليل لقرية مشيرفة هو المرحوم االأمير نواف الفهد عم الشهيد فهد فتحدث يا تاريخ عن شهامة أهلي فخر الأمم .

المحرم - النساء - أناسٌ تصب ما في القدور بالصحون ليقدموا الطعام لمن في مجلس الرجال، وأناس آخرون يغسلون، ويكفنون الفهد ليزفوه إلى روضة ربيعةُ كان أخر ربيع شبابه كما كان ذاك الربيع أشأم ربيع بحياة المغفور له المرحوم الشيخ هذال العاصي .

ذاك هو المغفور له المرحوم الشيخ هذال فهد العاصي، صاحب المواقف، والمآثر التي هي أكبر من أن يحيط بتعدادها، أو ذكرها كتاب .

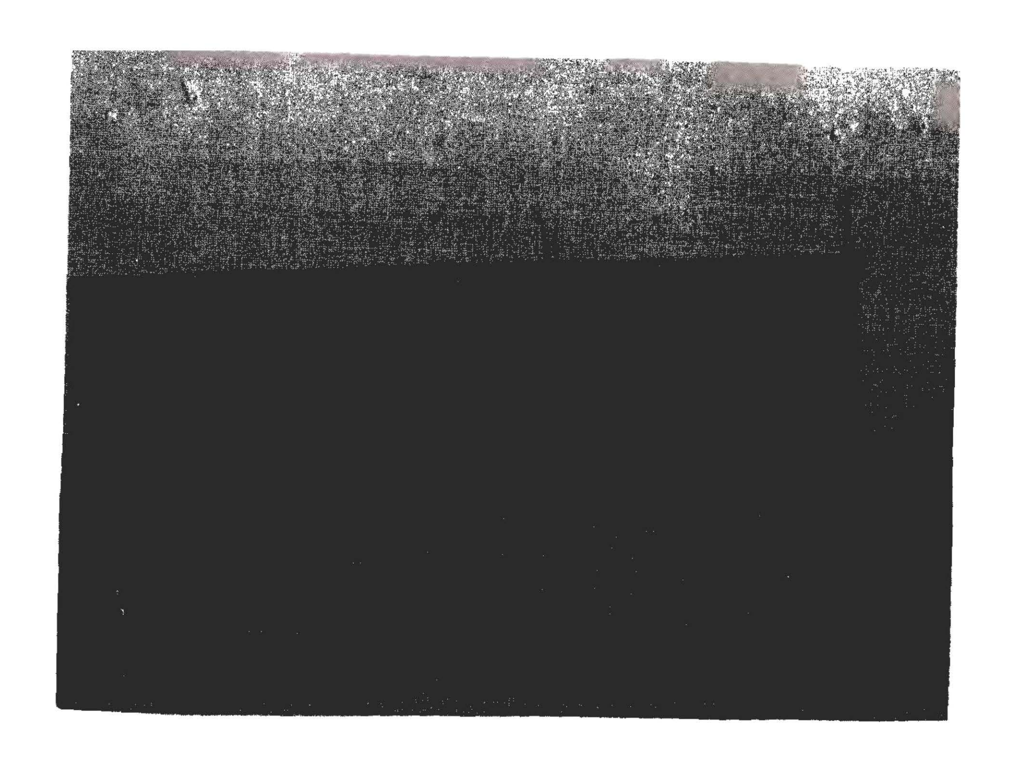


المغفور له المرحوم الشيخ هذال فهد العاصي
بجانب المرحوم فارس بيك الخوري رئيس الوزراء السوري سابقاً



المغفور له المرحوم : الشيخ هذال فهد العاصي رحمه الله

وهو يصافح أحد الوزراء السوريين السابقين في مكتبه ويبدو وراءه في الصورة على اليمين المرحوم الشيخ ميزر المدلول العاصي رحمه الله.



هذه مضافة المغفور له المرحوم الشيخ عمي هذال فهد العاصي الفرحان الصفوق الفارس الحميدي الجرباء رحمه الله .

بنيت بأوائل الستينات من هذا القرن (العشرين). وعندما بنيت كانت أكبر مضافة في سوريا قاطبة، فكان الشمري عندما يدخلها يُصفر بشفتيه ويقول. هذه بلاط. فيجيبه السامع نعم إنها بلاط شمر .

كان المغفور له عمى المرحوم الشيخ هذال يذبح ويقدم يوميًا خمسة ذبائح مع أرزها وخبزها وسمنها حتى ولو لم يوجد أي ضيف وإذا أقام وليمة فإن قلت لك يذبح مئتين أو خمسمئة ذبيحة بيوم صدق وللتثبت إسأل عن صحة هذا الكلام كل شمري أو كل سوري وعراقي ولبناني ونجدي وحجازي ومصري وعربي وكردي وبدوي وحضري .

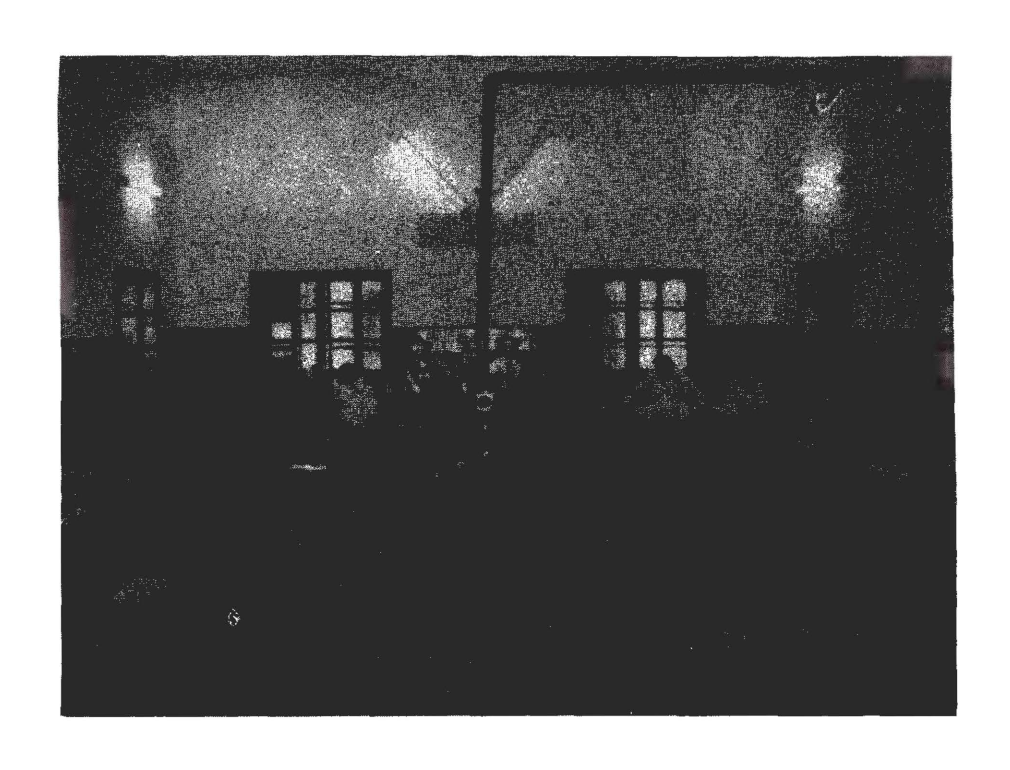


صورة لربعة عمي المغفور له المرحوم الشيخ هذال العاصي الجرباء رحمه الله

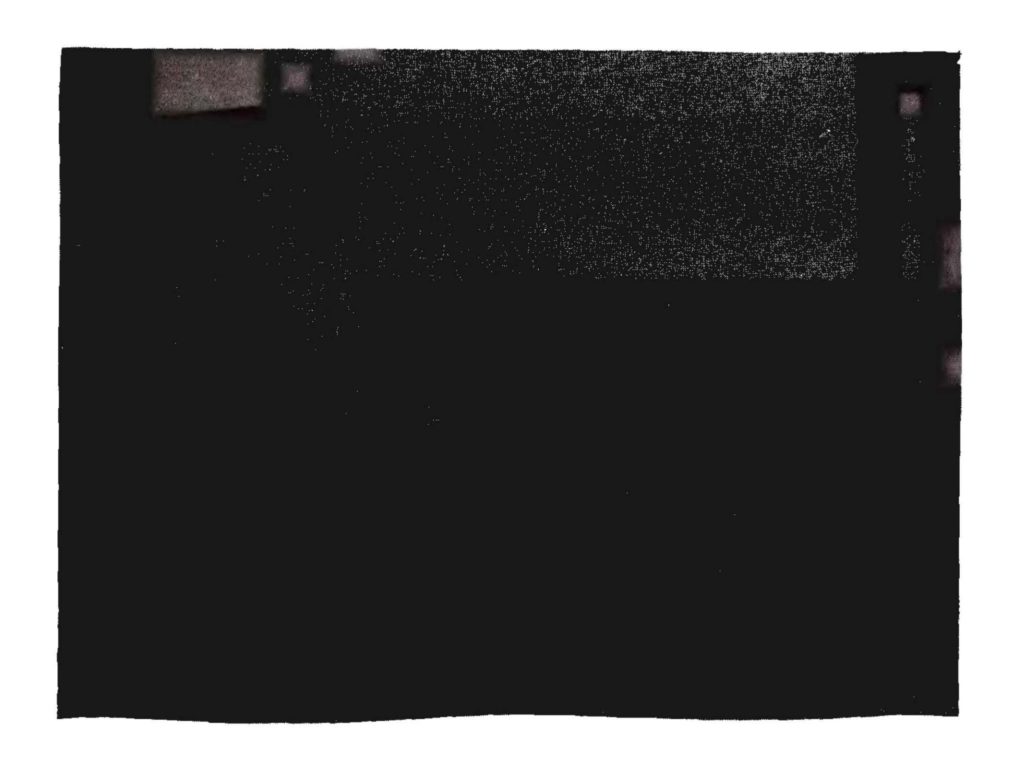
أخي القارىء إنظر الباب الرئيس المفتوح في الصورة عرضه أربعة أمتار أتدري لماذا. أتخذ هذا العرض ليتسنى للصواني الكبيرة كي يدخل بها الرجال للمجلس وهي متلله بعشرات الذبائح. تقدم للضيوف وكأن لسان حال صاحبها المغفور له عمي المرحوم الشيخ هذال رحمه الله يردد دائماً :

« نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزءاً ولا شكورا »

فعليك رحمة الله يا صاحب البلاط الذي لم يحوي إلا الشرفاء والنبلاء رحمك الله يا شيخاً عشت ومت وأنت متبع ولم تكن تابعاً لغير الله .



أخي القارىء : انظر صورة ربعة (مضافة) المغفور له عمي المرحوم هذال من الداخل. انظر السعة إن عرضها أربعين متر قام أبناء أخيه المرحوم عمي الشيخ نواف فهد العاصي أبناء أخ المغفور له عمي المرحوم الشيخ هذال بترميم هذه المضافة بترميمها وتجميلها حيث أنفقوا مليون ليرة سورية لذلك. السبب هو أصالة هؤلاء الشيوخ الشباب وأبرزهم الشيوخ فرج حميدي وزيد وعونيان ومجحم وفيصل وباقي إخوانهم جزاكم الله يا إخواني بخير ما يجزي الله الصالحين بأعمالهم. وبخير ما يجزي التاريخ من تتشرف صفحاته بتخليد أعمالهم .



مضافة المغفور له عمي الشيخ هذال العاصي من الداخل ويبدو المؤلف وإلى جانبه (دليان نهير اللكيط الزوبعي من كبار عشيرة المثلوثة الزوبعية الشمرية ، وهو من أهم حفظة التاريخ وقصائد التراث الشعبي الشمري. كما يعتبر مرجعاً تاريخياً قبائلياً موثوق بصحة رواياته) .

هذه القصيدة قالها الشاعر دليان نهير اللكيط الزوبعي وهو من كبار زوبع ومناسبتها عندما إنتقل والدنا الكبير المغفور له أمير أمراء شمر المرحوم دهام الهادي، عندما حضر الشاعر مراسيم الدفن ورأى شمر تهيل التراب على الجسد الطهور، إنتحب الشاعر وأحضر مباشرة بهذه القصيدة وهي من مفاخر رثاء الأوفياء للشرفاء .

مع السلامة يا زمام الحرايب
ظد الظديد وعز من لك يطيعون [١]

الليث نكال الحمول الصعايب
يشهد لك التاريخ والظد ملعون [٢]

وليتك تشوف اللي ركَوا ما أنت غايب
جموعٍ تهمل دموعهم وما يتحاجون[٣]

عيّا على السوجر عطب الظرايب
من قبرص للبحر الأحمر له يودون[٤]

عسى إبراهيم ونوحٍ عندك كَرايب
بسلسبيل تجاور شعيب من دون [٥]

بي جنة خضرا الرطايب
إدعوا معي يا اللي نويتوا تحجون[٦]

وبجاه الحرم وبجاه هاك الترايب
وبجاه اللي سعوّا واللي بعد يطوفون[٧]

أبي اللي يحلل بين حاظر وغايب
حتى إتشوف اللي بعدهم اشلونٍ يسون[٨]

شرح مفردات أبيات القصيدة :

١ ـ زمام الحرايب : يقصد به المرحوم دهام الهادي .

٢ ـ الليث : يقصد به دهام أيضاً لشجاعته .

٣ ـ اللي ركوا : يقصد بهم جموع شمر .

٤ ـ السوجر : يقصد به الحكومة الفرنسية المستعمرة .

٥ ـ بسلسبيل : حوض الكوثر .

٦ ـ خصيب الرطايب : كثيرة الفاكهة أي الجنة .

٧ ـ هاك الترايب : تربة مكة المكرمة والبقيع الطاهر بالمدينة المنورة .

٨ ـ إنشوف اللي بعدهم : يقصد بهم أبناء آل عاصي، يتسائل هل الإبن يفعل مثل ما كان أبوه يفعل ؟

قال الشاعر دليان بن نهير اللكيط الزوبعي الشمري هذه القصيدة يرثي بها المغفور له رمز الجود والكرم حاتم السخى بالقرن العشرين المرحوم عمي هذال فهد العاصي عليه رحمة الله.

(١) يا فهد ابن خدعان عيني سهيرة
وألا تكل تجتح بالمعاليج ملّة

(٢) ودليت أساهر دلةٍ لي صغيرة
اللي كَامت تفوح إبهيلها عكب بنه

(٣) أوين الرجال اللي عليهم نديرة
دهام والباشا للي فاطنن له

(٤) ولحجت بأبو ظاهر زبون الكصيرة
ألّلي يثني اليا صارت على الزوبعي ذلة

(٥) ويفرح اليا داجت على البيت زيله
ما تفرج اللاجين من أهل المحله

(٦) وصيانٍ مثل الشرايع يديره
يذبح من مرايع الغنم من فوك جله

(٧) وموزٍ وتفاحٍ يباري مسيره
الله عليكم إنجان بالحرف زله

(٨) وماله شبيه كود شط الجزيرة
يزود لو ترتمي المخاليج كله

(٩) وعلمه وصل يم الحسا والمسيره
والمملكة وحدود صنعا وصل له

(١٠) مرحوم زبن الوانية يوم الكسيرة
يعل بطن جابته لألف جنة

شرح مفردات أبيات القصيدة :

١ـ فهيد بن خدعان : هو فهيد بن عيادة الخدعان من شمر وهو الذي نقل نبأ وفاة المرحوم هذال. الملة : هي النار الكامنة في الرماد الدقيق .

٢ـ دلـة : الابريق الذي تصب منها القهوة العربية المرة .

٣ـ أبو ظاهر : يقصد به المغفور له المرحوم الشيخ هذال العاصي. زبون الكصيرة : الذي تُعيش جارته بجانبه بعز وأمانٍ وكرامة .

٤ـ دهـام : يقصد بـه والدنـا الكبير المغفـور لـه أميـر أمـراء شمـر المرحـوم دهام الهادي. الباشا : المرحوم باشا متعب العاصي صاحب المواقف المشرفة وهو أهم أركان قبيلة شمر رحمه الله .

٥- زيلـة : أزوال جمع زوال أي أشخاص أي يفرح عندما يرى الضيوف.
ولكثرة الضيوف الذين إختلطوا اللاجئين السياسين من شمر وابناء الموصل مع شمر سوريا حتى لم تعد تسطتع أن تفرق بين شمري عراقي أو سوري وكان يقدم لهم الطعام وهم ألوف مؤلفة فكان يذبح كل يوم خمسين ذبيحة لمدة عشرة أيام. ناهيك عن عشرات ظروف السمن ومئات أكياس الأرز وأكياس الطحين التي تعجن وتخبز. وعندما نضب السمن من بيته أخذ يشتري تنك السمن ويصبه فوق الذبائح للضيوف .

٦- الصياني : صوانيه وهن ما زلن موجودات يشبههن الشاعر بشرائع الأنهار الواسعة والتشبيه صحيح .

مرايع : جمع مرياع، وهو الخاروف الذي يدلله الراعي يطعمه الأرز والخبز بالإضافة للحليب والشنينة فيؤالفه الخاروف فإذا ما نعس بالمفلا ونام ووجد أن الغنم سرحت بعيداً عنه، فلن يقوم من مقامه بل يصيح على الخاروف باسمه فيأتيه الخاروف المرياع راكضاً فتتبعه بقية الغنم راكضة نحو المراعي. لهذا المرياع غالي الثمن ولا يذبح لغلاته وحاجة الراعي اليه. لقد كانت غنم المرحوم هذال كثيرة وفيها مراييع كثيرة ومن كثرة كرمه لا يذبح للضوف .

٧- موز وتفاح : الشيخ هذال هو أول شيخ يقدم للضيوف أثناء ولائمه الفواكه مع الطعام .

٨- شط الجزيرة : نهر دجلة كناية عن كثرة كرم المرحوم الشيخ هذال ومهما يبذل يزداد فرحاً ولا يهاب الكرم لو تستضيفه كل الخلائق .

٩- ويقول الشاعر إن صيت كرمه وصل لكل بلاد الدنيا .

١٠- في هذا البيت يصف الشاعر لشجاعة هذال ويدعو له ولأمه بالجنة .

وهذه قصيدة ثالثة قالها الشاعر دليان نهير الكيط يصف بها وفاء قبيلة شمر لأمراءها وشيوخها مجسداً هذا الوفاء بتأمله قانون الإصلاح الزراعي عندما تقسمت قرية (مسعدة) مقر وقيادة الشيخ هذال فهد العاصي رحمه الله.

ومناسبتها أن الشاعر المشهور المطرب الكبير والفنان الشمري القدير المرحوم مطر بن عمشة وهو أشهر مغني وعازف ربابة بالبادية وهو من عشيرة الصايح.

كان المرحوم مطر بن عمشة ممسك بقوس - الربابة - يغني عليها بصوته الذي يشبه بأنه أحد مزامير داود عليه السلام وغايته أن يؤنس ويعلل المرحوم الشيخ هذال.

وجرت العادة أنه كلما وجد مطر بن عمشة بمضافته وأراد أن يجر قوس ربابته ويغني يسارع الناس لوضع المسجلات أمامه لتسجيل قصائده وصوته وأنغام ربابته. وكان بتلك الليلة شاب يدعى (حسين) وضع مسجلته بحضرت ووجود المغفور له الشيخ هذال وكان الشاعر دليان بالمجلس أيضاً .

قال مطر بن عمشة :

أطلب من الله يا مسعدة يشافيج، أي يدعو لقرية مسعدة بالشفاء ومسعدة ليس مرضانه.

إلى أن قال : طبعاً ابن عمشة ..

واكثرهم يوم إتدارا صيانيج
واكلهم يوم أجتحت ما بهم كار

أي وصف أن قوم الشيوخ العواصي من شمر ليس بهم ربح وصفهم بالجبن فعندما كانت صواني هذال مملوءة بالخير والنعم كانوا كثر أي شمر العواصي: وعندما قسمت قرية مسعدة وتبدلت الظروف إختفوا أولئك الناس .

فغضب الشاعر دليان وصاح بحسين أن أطفيء المسجلة فحضرته قصيدة من عدة أبيات أجاب بها على مطر بن عمشة :

يا مسعدة علّ على القلب طاريج
والله عليم بي خفيات الأسرار

حسين ما يفهم ملاوي معانيج
يا مسعدة يوجد من الناس خبار

ياما حمينا من السهل مع عواليج
وياما ذبحنا من واحدٍ جاج غوار

ويا مسعدة جان هبت ذواريج
تبشري باللي على الكود صبار

ويا مسعدة ما أحد من الناس ناسيج
مثل الظحية جوج بالحل والوزار

وحتى رظيع الديد الياحل طاريج
يا مسعدة ميجي يا تكل تلذعه نار

ويا مسعدة كثر الشواحيذ تاتيج
من الحويجة جوج للشط عبار

فما كان من المرحوم مطر إلا أن قذف برباته على الأرض خائفاً وهو يصيح : دليان طلبتك أن تتوقف وتسكت وطالبك تاليها أي لا تكمل .

قصة عربية شمرية تحمل في معانيها القيمة أرفع المثل القيمة التي تجسد الأخلاق العربية المثلى الرفيعة بالمحافظة على الجار من كل ناحية .

فكان مع أحد عربان شمر وهيَّ عشيرة الهضبة حصراً وطايس الزبيدي عنى بمديحه الهضبة من سائر شمر .برجل غريب يقال له (طايس الزبيدي) أصله من عشيرة الهيازع من قبيلة العبيد. وهو شاعر وعنده بنات ذاع صيتهن بالجمال الفاتن الأخاذ .

وفي أحد الليالي كان أحد فتيان شمر يسوق الخيل (للعذرة) أي للمرعى، فتفاجىء الشاب بكلب يدغره من هبرة ساقهُ من الخلف، ولم يلتفت الفتى ودغره الكلب مرة وثانية وثالثة، إلى أن ضربه الفتى بعصاءة خيزران كانت بيده، فإرتد عنه الكلب وظل الفتى يسوق الخيل، وفي الصباح .

لاحظ والده أن عباءة ولده ـ الفتىّ ـ ممزقة من الخلف وعليها أثر دماء. فسأله أبوه ما هذا؟ فحكى له القصة وقال إنه لما وصل للعذرة وعلم رفاقه الفتيان الذين سبقوه بخيولهم لمعذر الخيل وحكى لهم ما حدث لهم أكدوا له إن هذا كلب بيت طايس الزبيدي .

فسأله والده ما الذي ذهب بك إلى ذاك المكان ؟

فهم الفتى أن أباه شك بالأمر أي يريد أن يفهمه إنه يريد التقرب لإحدى بنات طايس الزبيدي.

فعظم مثل هذا الاتهام على الفتى من أبيه. فأجاب الفتى قائلاً :

أبي! والله ثلاثاً إن الكلب عضه عدة مرات ولم يلتفت لوراءه، ولم ير بيتاً ولا يدر أن وراءه بيت أم لم يكن .

سمع الشاعر طايس بهذا الموقف الذي جسد أخلاق كل شمري فقال في ذلك القصيدة التالية :

(١) يا عيال يللي منتوين إمامي
بالله عليكم ريوظهن على هون

(٢) وخوذوا معاكم للسيافا سلامي
لـلابـة ألـلـي بـالمسـيـر يـهـلـون

(٣) يا الليث يا العربان معهم إسامي
وغليطهم بالطيب يكصر اليادون

(٤) واويلي على اللي جارهم ما يضام
بعيطا وعن كل المطاليب مامون

(٥) جـاراتـهـم خـواتـهـم بـالمنـام
مالاخسوا بعيونهم لوهم يغيبون

شرح مفردات أبيات القصيدة :

٢ ـ السيافا : إسم لعشيرة الخرصة من قبيلة شمر حصراً. اللابة ألّلي بالمسير يهلون : يعني بهم الخرصة بشكل عام بل الهضبة بشكل خاص لأنه معهم

٣ ـ غليطهم بالطيب يكصر اليادون : أي لا أحد يزود عليهم بطيبه أو كرمه أو أمانته أو شيمته .

٤ ـ عيطا : قمة التل العالي، أو قمة الجبل والعيطا يرتفع لها الخائف والشاعر يقصد إن جار أو دخيل عشيرة الهضبة من السيافا لن يبلغه من يخيفه .

٥ ـ وفي البيت الخامس عنى الشاعر كل أبناءِ شمر الذين من عاداتهم أن لا يروا بنات جيرانهم لأنهن أخوات حتى وإن غاب وليّ الأمر فلا أحد ينظر لنساءه نظرة ريب حتى بالمنام لا يحلموا بهن. عفة ونزاهة وحفظاً لعرض الجار .

عندما قسمت مسعدة قرية المغفور المرحوم عمي الشيخ هذال العاصي على الناس بحجة أنهم فقراء وليس لديهم أرض يفلحونها ويزرعونها ومعظمهم أصحاب محلات تجارية بمدينة اليعربية (تل كوجك سابقاً) نُسيَّ أمر ووجود الشيخ هذال رحمه الله والذي كان على قيد الحياة آنذاك .

نسيَّ أمر من كان يصب إيراد مواسم قرية مسعدة في صوانيه لإطعام البائس واليتيم والفقير والأرمل والمحروم نسيّ أمر من كان ينثر الليرات الذهبية على فرسان شمر أثناء جهادهم ضد المستعمر الفرنسي من أجل طرده عن تراب الوطن السوري وتحريره واستقلاله .

نُسيَّ وجود من أجلس أربعة آلاف طالب عربي سوري وغير سوري على مائدته بأفخم فنادق نيويورك عندما دعى الطلاب العرب لحفلة تكريم .

نسيّ وجود من كان يذبح بكل يوم خمسين ذبيحة ويقدمها للاجئين العرب العراقيين الذين التجؤا لسوريا بعهد الوحدة عندما قامت ثورة الشهيد العقيد عبد الوهاب الشواف رحمه الله ضد حكم طاغية العراق بالستينات (عبد الكريم قاسم) ونُسيّ وجود هذه الربعة أي المضافة ...

فكم حوت من شريد وطريد وأرمل وفقير. وكم آوت من خائف ومن دخيل .

وكم قامت فيها من ولائم تجسد معالم العرب الأصلاء بالكرم والجود.

نسيّ كل هذا ووزعت أرض قرية مسعدة على الناس وكل عزائنا أنها أرض عربية سورية ووزعت على عرب وسوريين. (وتلك الأيام نداولها بين الناس).

وبقي المغفور له الشيخ هذال بعزه وحبه في قلوب أبناء شمر وما زالت

مضافته عامرة وتقدم نفس الصواني بنفس الخير والعطاء وظلت دلالنا تصب قهوتنا لأبناء شمر وللضيوف والزوار وإن كانت معالمها تذكرنا بقول شاعرنا العربي :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
أنيس ولم يَسْمُر بمكة سامر.

تألم الشاعر مطر بن محذاف الشهير بابن عمشة فقال في قرية مسعدة القصيدة التالية:

يا مسعدة متى تأتي فزعة الله تناديج
ويفج النور وياطي على الدار

ومتى يزول الهم من قلب راعيج
اللي غدا من علتج تكل سنار

متى نشوف زوال من هم غواليج
ومتى يزول الظيم والوقت يندار

يا مسعدة خِلْيِّنْ جنوبج واديج
وبالحيف جَوِّجَ مظلمٍ عكب الأفنار

يا مسعدة مالج رجالٍ تحاميج
ولا تكل شفتي من صليبين الأشوار

وأكربهم يوم الرخىّ وهم أهاليج
ويا بعدهم يوم أدبحت عكب ما صار

علمي بهم يوم المقسم ايباريج
أكفوا هل الردات وصدوا بالأنظار

صدوا صحيح وعاونوا من معاديج
وتكاسموج بيوم صيحات الأبصار

مثل الذيابة يوم صاحوا بتاليج
أكفت على بيوت الأجاويد بحدار

الجمع يزمي من شمالج لغربيج
كصدن على بيوت الأجاويد الأمار

كَوم خذت لَهْ كَوم تجاجيج
وكومٍ إتدور بالأجاويد الأشرار

وكَوم إتدورهدم مركز ملافيج
وكَوم تنام طامع ونذار

العيد جاج وخاليات مبانيج
والدار توحش ما بها من هل الكار

العيد يوم به الأجاويد تاتيج
دفعات يوم الأجاويد ياتون زوار

عيدج نهج والعيد صار لضعافيج
عيال الخدم حشاثة الجدر بالنار

أهل الزكاة اللي إتدور حسانيج
ربىّ بالبيت للكَوم سبار

حماية اليتمان ما هم حواليج
اللي على الساكات.........

المغفور لــه

الشيخ نواف فهد العاصي
الفرحان آل صفوك الجرباء



المغفور له المرحوم الشيخ نواف فهد العاصي، عليه رحمة الله هو شقيق الشيخ هذال رحمه الله، وهو أصغر من هذال سناً (ولد عام ...... وتوفي رحمه الله بعام /١٩٨٢/١٢/١٢م) .

كان محباً مطيعاً، ومخلصاً، ووفياً لأخيه هذال بشكل كان يُحسدُ عليه، كما كان هذال ونواف مضرب الأمثال بالإخاء، والودّ، والاحترام. كان المغفور له المرحوم الشيخ نواف يعتبر نفسه الولد الأكبر لأخيه هذال. وأكيد ليست هذه أخلاق نواف وحده بل هي أخلاق العواصي جميعاً، وذلك لما خصّهم الله وحباهم من لطفه ورضائه بأن جعل قلوبهم عامرة بالحبّ، والودّ، والحنان، والعطف.

ومن أقرب الأمثلة أنّه كان يفهم أبناءه أنّ أخاه الأكبر هذال هو بمثابة أبيه وأبيهم جميعاً وهكذا فإن جميع أبناء المغفور له الشيخ نواف كانوا ينادون المغفور له المرحوم الشيخ هذال باسم (يا أبي).

كان الشيخ نواف رحمه الله محّبباً ومقرّباً من قبل كل أبناء عمومته شيوخ شمر آل عواصي؛ الدرة؛ آل عمشة. كان فخراً في عموم عشيرته الخرصة وقبيلته شمر. لما كانت القبيلة بشكل عام تلمس منه، الطيب، الكرم، والتواضع وحسن التقدير، والاحترام من قبله لكل الناس سواء أكان شمرياً أم غير شمري. لقد كان إنساناً ونعم الإنسان الذي رحل، وترك حبه في كل قلب .

كان يسكن رحمه الله بقريته الطاش على ضفة نهر (الرملية) وقرية الطاش تبعد عن قرية أخيه هذال مسافة عشرين كيلو متراً. لكنّه لم ينقطع عن أخيه هذال، ولو يوماً واحداً ولم ينقطع عن الأب الشمري والباني الأول فخر المفاخر

أمير أمراء شمر المغفور له، والدنا الكبير المرحوم دهام الهادي، أسكنه الجنة يا رب أسكنه الجنة يا رب أسكن الجنة كل أهلي آل العواصي يا أرحم الراحمين .

لقد ألفت بيوت شمر زيارات المرحوم الشيخ نواف فكان عطوفاً، رحوماً بالكبير، وبالصغير، كان سهل الأخلاق سخيّ الكف عف الشمائل، يزينه تواضعه، ويفرض حبه على القلوب بإنسانيته الحقة .

صفاتــه :

المغفور له الشيخ المرحوم نواف الفهد رحمه الله. كان طويل القامة، أسمر السحنةِ، متوسط الجسم لا هو بالسمين، ولا هو بالنحيف، بشوش المحيا، تزين بشاشة محياه إبتسامته الدائمة، عرف عنه السماح، والعفو، والكرم، ووقوفه إلى جنب كل مضيوم إذا ألمت به ملمّة.

كان محباً لسماع مكارم البادية من شجاعة، وفروسية، وجود، وكرم، وحسن جيرة، ووفاء، وصدق، ونخوة، وشهامة، وكل هذه بالحقيقة صفاته، وميزاته عليه رحمة الله .

كما عُرِفَ عنه حسنُ الهندام وشدّةُ الأناقة، ولكن بدون ترفع، أو تصنُّع، كان تقيّاً لا يفارق بيوت الله مؤدياً للصلاة في مواقيتها، كثير العطاء، وكثير التصدق، لوجه الله عزّ وجلّ، محبّا للعلماء، ومجالستهم .

كان مثال المحمدي من آل عواصي. وعلماً من أعلام شمّر وإن إنطوى هذا العلم الرفيع ألا أنّ ظلاله لا تزال يستفيء بها الكثير من الناس فعليك رحمة الله يا عماً لن ننسى ذكراه .

أبناؤه الكرام :

لقد خلف رحمه الله كل من الشيوخ التالية أسماؤهم :

- فــرج
- خالد رحمه الله
- زيــد
- ميــزر
- مشــل
- أحمد
- حميدي
- عوينـان
- علـي
- مجحـم
- عبد الرحمن
- فيصـل

تنويــــه :

- الشيخ حميدي : بن نواف : درس الحقوق في جامعة حلب ودرس الإعلام بجامعة الملك سعود بالرياض .

- الشيخ أحمد : درس الطيران المدني في بريطانيا ثم درس العلوم الإدارية بجامعة الملك سعود بالرياض .



صورة للمغفور له المرحوم الشيخ فهد العاصي الفرحان الصفوك آل جرباء وهو يبدو على اليمين في هذه الصورة والثاني هو الشيخ أحمد دهام الهادي، أخذت لهما في لندن .



صورة للمغفور له الشيخ المرحوم خالد بن نواف فهد العاصي رحمه الله

زئر كأسد وسكت فجأة كما يسكت النهار الربيعي المشرق. برق كحسام باتر، ولكن أغمده مغمد العظماء، والملوك. كما يلمع القمر لمع صيته كبرق الربيع، ولكن للبرق ومضة وانتشرت مكارمه كما تنتشر روائح الورود، وما أقصر أعمار الورود .

رغم صغر سنه، ووحدانيته بعد أجوديّ العرب عمه هذال، ووالده نواف رحمهما الله، أثبت أنّ ثمرة الشجرة الجيدة لا تفسد، وأنّ جرناس الصقر لا يخيب فأثبت قدمه من حيث لا يتوقع أحد له موقفه البطولي في الحياة .

أبقى شمر، ومعارف أهله تتطلع إلى ربعة عمه هذال بمسعدة وربعة أبيه بالطاش ومثلهما بحياته خير تمثيل إلى أن ارتضاه الله سبحانه وتعالى فجأة وهو يهيىء الوليمة لمئات المدعوين من شمر وغير شمر وكبار المسؤولين فتوفي بتاريخ... عليه رحمة الله .

الشيخ سيد الزيد العاصي

الفرحان الصفوك الفارس الحميدي آل جرباء

أدام الله وجوده



يلقب بعدة ألقاب

((داهية الصحراء، أبو العلاء المعري المعاصر، طه حسين)) .

كفيف، أمي، لكنه يحفظ القرآن الكريم كاملاً مع كثير من تأويل آياته الكريمة لعدة مفسرين، ملم بالكثير من الأحاديث النبوية الشريفة، تاريخ واسع يدخر بصدره آلاف القصائد والروايات والأحداث القبلية لكل قبائل البادية من نجد إلى بدو الجزائر (بنو هلال) .

يعتبر فيلسوف القبيلة وحكيمها ومرشدها الروحي. كما يعتبر العقل المفكر الذي لا يمكن إلا ويرجع إليه بنهاية كل أمر شمري كبر أم صغر .

هكذا يجلس دوماً إعتاد أن توضع أمامه وسادتين حيثما جلس أو نظر. انظر الصورة .



الشيخ : السيد الزيد العاصي آل جرباء

الشهير بأبي (العلاء المعري المعاصر) أو داهيــة الصحراء

الشيخ سيد الزيد العاصي، فرحان باشا بن صفوك بن فارس الحميدي آل جرباء. ولد بعام ذراية والبدو تقول : (سنة ذراية) .

والمعروف أن العرب تؤرخ بالسنين ووقائعها وأحداثها. وحسبما يقدر من يعيّ تلك السنة وهو ـ الشيخ سيد ـ هو أحد أبناءها إذ يبلغ عمره المديد ـ إنشاء الله ـ خمسة وثمانين سنة تقريباً .

التقيم عن هذه الشخصية التاريخية يحتاج لأكثر من دقة. ويحتاج لأكثر من مؤلف، ويحتاج لأكثر من كتاب...

ولد مبصراً، ولكن الجدري داهمه وعمره ثلاثة سنوات فكف بصره وترك الجدري أثره في وجهه الكريم .

هو أحد (أبناء البيت) والمقصود بالبيت هو بيت والدنا الكبير المغفور له أمير أمراء شمر المرحوم دهام الهادي رحمه الله. فقد ربىّ المغفور له والدنا الكبير أمير أمراء شمر المرحوم دهام الهادي ستة عشر طفلاً كلهم أبناء عمومته الذين أحسن تنشأتهم وتربيتهم بعد رحيل أباءهم إلى رحمة الله .

كان أكثر من يحظى بعطف ورعاية والدنا الكبير المغفور له أمير أمراء شمر

المرحوم دهام الهادي رحمه الله هو (عمي السيد) لأنه إبن عمه. ولأنه أصغر أولئك الأيتام سنّاً ، ولأنه كفيف .

نعم كان ولا يزال رجل لا يبصر، ولكن أذانه مفتحة لكل دروس الجامعة وما تلك الجامعة إلا مجلس المغفور له والدنا الكبير أمير أمراء شمر المرحوم دهام الهادي .

- فيها تتلىّ قصص البدو وتاريخ البادية .
- وفيها تعقد جلسات القضاء البدوي .
- وفيها يتحدث علماء الدين الأفاضل ويقرأ القراء سور القرآن الكريم .
- وفيها يلقي فطاحل الشعراء قصائدهم .

وهكذا نشأ عمي الشيخ سيد الزيد العاصي حفظه الله. مجمعاً لكل مثل المشيخة والبدو والبادية فقد ألم بالكثير من تاريخ العرب وقصصهم وأصول مقاضاتهم وقرائن الحكم القبلي كما حفظ الكثير من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين كما إنه حفظ القرآن الكريم. كاملاً والحمد لله. مما جعله وحتى اليوم أحد عظماء البشر نظراً لقوة ذاكرته وشدة ذكاءه الوقاد. وعمق دبلوماسيته الهادئة .

ولهذا وما زالت عشيرة شمر بأسرها تلجىء إليه لفك معضلاتها، ومشاكلها، واستنارة دروبها. مما جعله العقل الخاص لأمير أمراء شمر المغفور له والدنا الكبير المرحوم دهام الهادي رحمه الله .

وكان المرجع، وكان العقل المدبر، وإن شئت فقل : كان "الدينمو" الذي يدير عجلة ميكانيكية شمر سواءاً بالتقدم أو بالإستقرار .

ونتيجة حب واحترام والدنا الكبير المغفور له أمير أمراء شمر المرحوم دهام الهادي عليه رحمة الله.

راح كل واحد من أبناء المرحوم العاصي - عمام السيد - وأحفاد العاصي - أبناء عمومة السيد - يتسابقون لكسب وده ومحبته واحترامه واكتساب المزيد من عاداته وأخلاقه المثلى إنه شخصية بدوية إسلامية.

به إنفة وعزة الشيوخ البدو العرب الأصلاء. وبه أخلاق المسلم الذي تخرج من مدرسة القرآن الكريم .

لقد كان له الحظ الأوفى بتربيته لأبناء أخيه وابن عمه أمير أمراء شمر المغفور له والدنا الكبير المرحوم دهام الهادي رحمه الله. بل ومعظم من كان يحسب على دهام وبيت دهام وآل دهام بما فيهم (أنا) صاحب هذا الكتاب.

كان يبصرنا بالطرق الحياتية الشريفة . كان يفعم أذهاننا بالأمثال القيمة التي تخلق الرجال . كان يوصي النشأ الصاعد بطاعة الله وتقواه والإلتزام بقيم الإسلام الحنيف. مع توصيته للنشأ الذي نال شرف تهذيبه بالالتزام بآداب البادية والمحافظة على تقاليد وعادات البدو وخاصة الأباء والأجداد .

ولكل ذلك لم يكن مجلس والدنا الكبير المغفور له أمير أمراء شمر المرحوم دهام الهادي رحمه الله مستوفي المسرة إلا إذا وجد عمي الشيخ السيد الزيد العاصي بوسطه .

كان وما زال . هو تاج المجلس، ووردته الفواحة .

تزين حديثة (غنـةٌ) بأنفه وهذه ميزة يتصف بها كل ذرية آل العاصي من أنثى أو ذكر ، وسبحان ربي الذي أحسن كل شيءٍ صنعا. ما أجمل وما ألطف

هذه الغنة بأحاديث أبناء العاصي وذريته. تزيد المتحدث منهم جمالاً فوق جمال ما تفوه به أفواههم من معاني كريمة ومفاهيم سامية.

عمي الشيخ سيد زيد العاصي. كان مدرسة وطنية ومعلماً يفعم بها أحرار شمر وفرسانها بالإلتفاف وطاعة أبوهم وقائدهم المغفور له أمير أمراء شمر والدنا الكبير المرحوم دهام الهادي أثناء نضاله وحروبه ضد الجيش الغازي الدخيل جيش الاستعمار الفرنسي.

عمي الشيخ سيد زيد العاصي. رجلٌ لم تفارق جبهته الكريمة مسجد الصلاة منذ بلوغه سن الرشد ولليوم ولم يفرط بيومٍ واحد من أيام رمضان منذ أصبح مكلفاً بعبادة الله. والزامه نفسه بتطبيقه حدود الإسلام على نفسه. حج لبيت الله مرتين .

وهو ملاك لكنه يسكن حالياً مدينة القامشلي. وقريته كرديم عامرة.

أبناءه الكرام كل من الشيوخ التالية أسماءهم حفظهم الله.

- فيصل : به ملامح جده المرحوم زيد العاصي فارس شمر الأول وبه دين قوي وتقوى شديدة ونخوة هاشمية وأريحية عربية .
- محمد : أنهى دراسة الإعلام جامعة الملك سعود بالرياض.
- عبد الله .
- عمار . (أخواله السادة الحياليون)

" فيصل، عبد الله، محمد" : (أخوالهم الحريرة من شمر).

ومن تاريخه الذي يجب ألا يطمس انه كان ساقاً صلداً قوياً أقصد ساق الشجرة الطيبة الذي يرفع الحياء من الجذور العريقة إلى الفروع الكريمة والغصون النضرة والأفنان العطرة .

هكذا كان ولايزال صلة الوصل بين أهله وعمومته وأبناء عمومته. يحب الجميع. ويجمع الجميع. لا يفرق بين كبيرهم أو صغيرهم ، ولا بين غنيهم أو فقيرهم .

ينصح

يعظ

يقرب

يصلح.... يفرح عندما يجد أهله ملتفين حوله، وما يعرف عن أسرته آل عواصي.... إنهم أسرة توادد ورحم وتآلف وتحابب أثناء الحركات الوطنية، بعهد الاستعمار الفرنسي على سوريا كانت له أفكار عظيمة وارشادات صائبة وتوجيهات سطرت له تاريخه المشرف كشمري عروبته واسلامه ووطنه فوق كل إعتبار .

ويعرف عنه أنه أستاذ أخلاقي ما زلنا نتمثل بأخلاقه وندخر حكمه ونصائحه ونهتدي بتوجيهاته ولهذا لقب بأكثر من لقب .

فمن الناس وهي الطبقة المثقفة لقبته بلقب (أبا العلاء المعري المعاصر).

ومنهم من لقبه (بداهية الصحراء) .

ومنهم من لقبه بلقب (طه حسين الشمري) .

وكيفما كان فإنه أحد أعاجيب الزمن، وفلته من فلتات الزمان .

الشيخ طلال بن الشيخ مثقال العاصي آل جرباء

أعجب العجب، هو عندما يقف الانسان حائراً بأمره. أما أنا عندما أجد نفسي واقفاً على مفترق طرق. فإن هذا هو حقيقة تعجبي، وما أصعب، وما أخطر ما قد ينتدب المؤلف نفسه للكتابة عن الرجال العظام والشخصيات البارزة في مجتمعاتها.

ومثل ما إعترفت ببداية هذا البحث عن تعجبي وحيرتي بالاهتداء لأي مسلك سأسلكه على مفترق طرق متشعب لمئة طريق وطريق، فأيضاً أعترف إني الآن أكتب عن أهم شيوخ شمر، وكونه شخصيته مهمة لا بد لي إلا أن أتقدم بشكري لله عز وجل إن إقتربت من الأحسن في حسن تقيمه ولو بشكل جزئي وهذا ما يجب علي. وإلا ثقتي أكبر؛ بأن منه ومن أمثاله الطيبين ألتمس العذر سلفاً عن أي تقصير والنية تبرر العمل، والآن أنقل قدمي من عقدة مفترق الطرق وأتقدم بالخطوة الأولى على درب الحقيقة التي تقول لي اكتب عن عمك الشيخ طلال.

الشيخ طلال هو بن بطل العواصي المغفور له المرحوم الشيخ مثقال العاصي الفرحان الصفوق الفارس الحميدي آل جرباء والذي يرتقي به أصله شأنه كل أهله آل محمد إلى جدهم الأعلى أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب (ض) .

من الحسن والأحسن أن يفتخر المرء بنسبه فهذا هو رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وذريتهم المعصومين يفتخر بنسبه ويقول : أنا إبن الذبيحين (إسماعيل عليه السلام وعبد الله بن عبد المطلب). ولكن أحسن الأحسن هو عندما تجتمع بالمرء صفتان :

آ ـ شرف النسب .

ب ـ طيب الأفعال .

لهذا فأنت مجرد أن تقول في جميع أوساط قبيلة شمر مجرد إسم (طلال المثقال) فإن السامع يدرك بشكل لا إرادي أنك تعني رجلاً وليس كبقية الرجال، شجاعاً لا يقل شجاعة عن أجداده علي بن أبي طالب والحسين السبط أبو الثوار سلام الله عليهما .

لا يقل شجاعة وكرماً عن جده مطلق الجرباء أخو جوزة فارس نجد. ولا يقل شجاعة وأنفة عن جده عبد الكريم الذي قهر الإمبراطورية العثمانية وقاتلها دفاعاً عن عروبة العراق وكل الوطن العربي إذ إنتهت حياته بأن إحتال عليه الأتراك العثمانيون إذ أعطوه وعد الشرف بالأمان ليجلس الى قادتهم والتفاوض لكنهم حنثوا بعهدهم وشرفهم فالقوا عليه القبض تحت ظلال رايتهم آنذاك رمز الظلم والجهل وهضم حقوق الشعوب الشريفة فأعدموه شنقاً على جسر مدينة الموصل .

نعم إن من يعرف الشيخ طلال سيعرف به أيضاً كل صفات أهله العواصي بشكل خاص شجاعة، كرم، عفاف، إباء، طلال كما يصفه الناس (لا يعط الحق لطالبه) وهاب غير هباب يضرب بيده، لا يستعمل لسانه إلا بما يدل على أصله الشريف وفعله العفيف .

ولعل في هذه السطور القادمة تجد أن النور على شيء من حياته أكثر سطعاناً وإبانة...

والده المغفور له المرحوم الشيخ مثقال العاصي عاش في هذه البقعة الصغيرة المحصورة بين حدود العراق ومسيل نهر الجراح الحد الفاصل بين قبيلتي شمر وطي فيما بعد.

كان والده الأمير الفارس الشاعر الحكيم المغفور له المرحوم عاصي الفرحان آل جرباء يسكن في دمرقبو، المسماة باللغة الكردية (جل آغا) الجوادية حالياً على ضفة نهر (الرملية) ونظراً لتقدم العاصي في السن ولأن معظم قبيلته شمر وعشيرته الخرصة بشكل خاص يسكنون العراق الغربي جنوب جبل سنجار فقد عمر مثقال غرفة طينية أسكن والده العجوز ـ العاصي ـ فيها .

أما المرحوم الشيخ مثقال أبو الشيخ طلال فقد إشتهر بأنه بطل محارب، وغازي كاسب لا يهدء ولا يعطي جنبه للأرض ففي أي لحظة تجده غازياً من جهة لأخرى أسدٌ ينتقل بأطراف الغاب أكثر الأحيان وحيداً لنفسه ليس معه أحد، وأحياناً معه فئة من الشرابيين ليس شمر ولكنهم يلتحمون مع المرحوم الشيخ مثقال بعدة روابط روحية واجتماعية حتى إنهم أصبحوا عشيرته الخاصة. ليس عنده أو حوله أو معه إلا الشرابيين. وربما بعض أصحاب المصائب من عشائر أخرى التحقوا به وانضموا إليه، فسكن على مقربة من أبيه العاصي بقريته الخاصة به (تل مشحن)، حيث يسكنها الفارس العدناني الليث الشمري الشيخ طلال الآن.

استمر الشيخ مثقال ينازع ويصارع ويدافع العشائر المحيطة به من الجهات الأربعة، وإن كان رحمه الله من شيوخ شمر الا أن لم يكن ساعة ئذٍ أي شمري حوله فاستطاع أن يبعد طيء إلى قرية العطشان غرباً وأن يقهقر الأكراد باتجاه الشمال وان يضع حدوداً نفسية لكل من تسول له نفسه مقاتلة الشيخ مثقال

من أبناء الجنوب فحرر وتملك هذه الديار، فكانت هذه الديار تعتبر دياره دافع عنها منفرداً وقاتل لأجل تحريرها منفرداً وعاش فيها ردهة غير قصيرة من الزمن منفرداً، وإذا وجد الى جانبه من أحد فان أولئك ليس شمر، وليس فيهم شمري واحد، سوى والده العاصي الذي كان يتردد عليه ليقدم له ما تتطلبه حياته المعيشية الخاصة.

عندما انتقل إلى جوار ربه الكريم رحمه الله كان أمير أمراء شمر المغفور له وادنا الكبير، المرحوم دهام الهادي منفيّاً في جزير، (كمران) بالبحر الأحمر جنوب عدن .

ارتحل فارس شمر المغفور له المرحوم مثقال العاصي لعالم الله تاركاً وراءه أربعة فتية أيتام وبعض البنات وكلهم قصر. أثبت وفاءه لهم أحد رجال أبيهم رجلٌ من الشرابيين أتباع المرحوم الشيخ مثقال هو (أبو عساف) رحمه الله.

أما أبناء المغفور له المرحوم الشيخ مثقال فهم كل من الشيوخ :

- الشيخ طلال المثقال العاصي .
- الشيخ المرحوم صالح المثقال رحمه الله .
- الشيخ كلمن المثقال أعز الله شمر بطول عمره .
- الشيخ سعود .

وعندما عاد المغفور له والدنا الكبير المرحوم دهام الهادي أمير أمارء شمر من منفاه بعام ١٩٤٢، بدأت شمر تتوافد للمنطقة بمعظم أرهاطها وأفخاذها وبطونها فراح المرحوم والدنا الكبير دهام يوزع القرى ويسمي كل قرية باسم من يملكه إياها وحسب طبقاتهم، ولعله كان يريد إرضاء الجميع ويديم فرحتهم بعودته إليهم وابقاء وحدتهم بأي شكل كان فالشيوخ أبناء العاصي، أخذ كل

واحد عدة قرى ومساحة كل قرية تعادل مساحة عدة قرى مما امتلكه الشمري العادي. ومثلهم وجهاء عشيرة الخرصة.

ولكن الشيخ طلال الفتى الناشيء الليث العادي في براثنه راح ينظر حوله بعينين حمراوين ساخطتين. ينظر بعين إلى إخوانه الأيتام الثلاثة. انهم صغار وكأنه كان يتذكر بيت العتابا الذي يقول :

بكت عيني وبكوها الرجاجيل صغار وما هم لكوات الرجاجيل

هبيل يا المالوا بالمجلس رجاجيل هذاك اللي بان حكّوا واختفيّ

فتزداد عينه احمراراً وسخطاً وينظر بعينه الأخرى وهو يتساءل، هنا أباه مثقال سكن، وعاش، ومات. هذه ديار أبوه التي حماها ببندقيته يوم لم يكن فيها شمري فهل تظل قرية تل مشحن لأبناء مثقال ؟

ومن هم الذين وزع المغفور له والدنا الكبير أمير أمراء شمر المرحوم دهام الهادي ديار مثقال عليهم، أفيهم من يعرف هذه القرى قبل التوزيع. وراح الشيخ اليافع الفتى طلال يتساءل كما يتسائل الشاعر العراقي صالح بحر العلوم في إحدى قصائده التي كان عنوانها (أين حقي) .

حمل بندقيته وذهب لابن عمه المغفور له أمير أمراء شمر والدنا الكبير المرحوم دهام الهادي فدخل مجلسه بقرية حموكر (الحرية حالياً). وبعد حوار طويل بين الاثنين في المجلس قال الشيخ طلال لابن عمه الأمير دهام.

أولاً : أنا لم آتك لتهبني من هذه التقسيمات شيئاً. بل جئت أعيد عليك العلم إن هذه ديار أبي وأنا أختزل منها ما يكفيني ويضمن مستقبل اخواني من نفس الأرض التي حررها وملكها مثقال بهذه البندقية . وقرانا نحن أبناء مثقال؛ القرية الفلانية والفلانية والفلانية وحدد حدود منطقة من جوانبها الأربع وغادر

المجلس، يصلح في تلك القرى ويزرع ويشرف على تنشأة ودلال وعز إخوانه بكل عطف وحنان فابتنى أحسن المساكن له ولاخوانه في قراهم .

وأخذ لهم أفسح وأكرم المجالس بين أبناء عمومته آل عواصي شيوخ شمر وقبيلته شمر والمجتمع وفرض شخصيته الحديدية بعظمتها وجبروتها وعزتها على كل من حوله وركب واخوانه أفخم وأحدث موديلات السيارات.

وفتح صوانيه في مضافته العامرة للجائع والضيف والزائر والجار يكسي الفقراء يعطي من مال الله لمن يستحق، أثبت فيما بعد واخوانه حبهم وولائهم واخلاصهم لابن عمهم الذي راحوا ينظرون اليه رحمه الله على انه بمنزلة أبيهم أعني به والدنا الكبير المغفور له أمير أمراء شمر المرحوم دهام الهادي عليه رحمة الله. فكانوا له الأذرعة والأجنحة، وهذه صفات الهاشمي الأصيل. والأصيل يبقى أصيلاً.

الشيخ طلال يستمد شجاعته من أهله فكلهم فرسان وأبطال ولكن به ما يضيف لشجاعة الجربان من الشجاعة ما جعله يسقي خصومه حنظلاً ويدررهم دماً، به عرق أخواله (كياخي طي) إخوان حندولة، صياديٌّ الشيوخ أو كما قيل عنهم لباسة الجوخ، ذباحة الشيوخ.

الشيخ طلال عمره المديد إنشاء الله الآن يناهز السابعة والستين سنة. له عدة أولاد أكبرهم من خسره العواصي بشكل خاص وشمر بشكل عام المرحوم (شعلان، فإلى جنة الخلد يا شعلان).

طلال رغم حدته وشجاعته به تواضع أهله آل محمد، به شهامة أهله آل جرباء، لطف، تواضع، إحترام، حنان. لكنه بالوقت نفسه ناري المزاج لا يجامل، ولا يداهن، لا ينافق ولهذا فاذا جلست أمامه وتمعنت في ملامح وجهه الكريم فلا يخيل اليك إلا انك أمام أسد من الأسود .

إذا عبس بوجهه وقطب حاجبيه، فان من هو قباله لازم يضرب بشلل دماغي. وإذا زرته وهو مرتاح فانك ستشعر بجنبه بكل أنواع الراحة والسعادة والاكرام، وتجد بأحاديثه أحاديث الرجال العظماء، وتسمع من فمه قصص الشرفاء.

يعتبر الشيخ طلال مثقال العاصي أحد أقطاب شيوخ شمر الخرصة في سورية. كنيته أمد الله بعمره (أبو شعلان) منخاة أبناء مثقال (إخوان خزنة) في حين منخاة عموم آل عواصي شيوخ شمر بسوريا هي (إخوان شاها) وهي المنخاة التي تشمل أبناء المرحوم مثقال، الشيخ طلال واخوانه، لكنهم يتشبثون بتميزهم عن بقية الأسرة المالكة (آل عواصي)، حتى بالمنخاة.

الشيخ طلال يحترم كل أبناء عمومته لكنه يرفض أن يكون مقبضاً للسيف فهو كما يعرف ذباباً للسيف منذ خلق ولليوم.

صفاته :

مديد القامة، متناسق الأعضاء، جميل المحيّا، ذو بشرة بيضاء ناصعة جداً. أهم ما يميزه سعة العينان وشدة إحمرارها، صريح الحديث، جريء على قوله الحق لا يداهن، لا يمالىء، لا يحابي.

تحدثت لك أخي القارىء بالقليل عن حياة والده المغفور له المرحوم الشيخ مثقال. ولكن بكل تأكيد فان الشيخ طلال ليس هو من الرجال الذين يعيشون بأمجاد آباءهم وأجدادهم بل هو من الرجال الذين يحيون النار كلما أرادت أن تخفت أو تنطفأ، إنه طلال، إنه أبو شعلان، إنه أخو خزنة.

يا رب أدمه لنا يا الله .

الشيخ كلمن بن الشيخ مثقال العاصي
الفرحان الصفوك الفارس الحميدي آل جرباء



رجال تحيّر الرجال . ورجال تحتار منها الرجال ...

وقد أكون صادقاً إن قلت : ما شعرت طيلة حياتي الكتابية على الأقل لحيرتي وأنا أنظر إلى هذه الصورة إنني محتار كيف أبدء وأنا أمام تاريخ الرجال العظماء والشرفاء والملوك والرؤساء متمثلين في شخصية هذا الرجل (ونعم الرجل) . أم أبدء بتاريخ من ذكرت ومن هذا الشيخ نستمد تاريخ من ذكرت من قروم الدهور وفحول الرجال وكرماء الملا.

أستأذن نفسي على الأقل فأبدء بحياته الخاصة...

هو الشيخ كلمن ويسمى الأمير كلمن ويلقب بشيخ الشباب . وأي لقب يلقب به فهو إسم على مسمى وهو صفة بحق وحقيقة . فوالده الشيخ مثقال العاصي الذي جعل الرجال تدر دماً من بين أفخاذها. وجده العاصي منطلق تاريخ المكارم الشمرية العربية. ويصعد بمعاليه من شيخ إلى أمير إلى باشا إلى جده صفوك سلطان البر .

أما تسميته بلقب أمير فهو حقه الاجتماعي والسماوي وسيما وإنه حسينيّ الأصل يصعد بشجرته الطيبة إلى جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

كلمن أمير :

وإذا إعتمدنا قول ابن الوردي حيث قال : ((لا تقل أصلي وفصلي أبداً إنما أصل الفتى ما قد حصل)) .

كوننا نؤمن بأن الشيخ كلمن هو أمير بالنسب فلننظر أحقيته بالأمارة عن طريق الحسب وهو ما عناه ابن الوردي بقوله : (ما قد حصل).

ولد الأمير كلمن بعام /١٩٣٢م/ في قريته تل مشحن مهد آل مثقال من العواصي ـ طبعاً بناحية اليعربية محافظة الحسكة ـ فنشأ وإخوانه : المرحوم صالح أكبر منه وسعود أصغر منه ـ أيتاماً لأن المغفور له والده مثقال وافته المنية وكلهم صغار . لكن قام بأودهم الأخ الكبير الشيخ طلال مثقال العاصي حفظه الله. فورث عن أبيه وإخوانه عدة قرى ذهبت بالاصلاح الزراعي.

وعندما وجد نفسه لم يبق له من أراضيه إلا أذن الجمل من جسمه كما هو بالأمثال. إعتمد على نفسه، ونفسه عزيزة منذ وعيّ على الدنيا. فعزّ عليه أن يكشف بعد عزه عوزه لمن كانوا أعزاء من عزه وعزه وعزهم من الله. فأخذ يستأجر أراضي، ويزرعها وفي أقصر مدة زمنية إستعاد أمجاده الإقتصادية وكأن لم يصادر منه شبر أرض واحد .

ظل كرمه هو كرمه. ولائمه تجدد بكل يوم وتزود بدون نقصان ، يأمه الفقراء والمساكين والشعراء، فيعودون منه ولسان حال كل واحد منهم يقول : إنهم لم يعودوا من عند شيخ بل من عند أمير وإن شئت فقل ملك .

وحقاً به سمات الملوك ... إذا ما جلست اليه وسمعت أحاديثه البدوية والتاريخية والأدب الفوار من قصائد لفحول شعراء النبط والفصحى وكل ذلك ضمن إبتسامته المحمدية وتواضعه الهاشمي وإنسانيته التي هي بلا حدود .

كلمن على الطبيعة :

طوله محبوب فهو إلى الطول أقرب من الربعة، نجدي السمار، واسع العينين، بشوش الوجه ضاحك الثغر حتى بساعات غضبه .

به عطف وحنان وبراءة قلب ووجدان حتيّ وضمير نقي ويقظ متحدث

بخبرة إجتماعية ثقافية بدوية تاريخية. يقول بعلم ويتحدث عن فهم . يتعمد قول الحق ولا يسأل عما يجبره عليه فإن كان غنماً عافه كما تعاف الأسد الجيفة وإن كان غرماً قال : أنا لها .

ورغم صغر سنه منذ يفاعته ينظر إليه على أنه خطر فتخافه الرجال، وعلى أنه رجل الحق فينظر إليه بحذر .

الشيخ كلمن رجل اجتماعي :

عندما تستهويك الرياضة الحركية رياضة المشي وتجد شباباً سائرين على الدرب وتسألهم: إلى أين تريدون ؟ فانك ستسمعهم قائلين نريد كلمن.

لأنهم يجدون شيخاً شاباً يفرح ويرحب بالشباب فيسهرون معه حيث يخاطبهم ويحدثهم بما يوافق عقولهم ومستويات أعمارهم وأهواءهم النفسية الشبيبة. بروح لا يشعروا معها إلا أنهم مع أخ لهم كواحد منهم ليس هم بحضرة شيخ أو أمير .

وإذا قصدوه الرجال الكهول. تلفيه رجلاً ونعم الرجل كما هو هيبة ووقاراً. حديثه كما يقال يعبيء الرأس فيه فوائد وعبر ومكاسب أدبية. سواءاً بدوية أم ثقافية وإذا تبودل الحديث بينه وبين كهول تجده أكبر الشياب سناً بعلمه وثقافته فإنه يستطيع أن يحدثهم بكل مستظرف وغريب مع مراعاته "الشديدة وحرصه البين للطاعنين بالسن من حيث عدم السرعة معهم بالحديث، ومن حيث إحترامهم ومن حيث تقديرهم .

الشيخ كلمن مجمع للشيوخ والأشراف :

وعندما تركز على حياته العامة وشخصيته فإنك ستجد نفسك مع شيخ شاب سايره التاريخ فوقف عنده، لينطلق منه من جديد إسماً ورسماً.

فهو الشيخ الذي تجتمع عنده شيوخ شمر وأغوات الأكراد وبكوات وكبار شخصيات المدن ولهذا فهو أمير بالحسب مثلما هو أمير بالنسب .

إذا وجد في مضافات الشيوخ الآخرين القهوة العربية وكثرة لحم الذبائح والخير العميم فان الناس تجد في مضافة كلمن زيادة على ما ذكرت ما لم يجدوه عند غيره من شيوخ (آل محمد). هو حديث التاريخ، الأدب العربي، نوافل البدو وهذا ما لم يوجد غيره، ولا حتى عند أصحاب الشهادات العليا.

إنه قادر على مناقشة ومحاورة حملة الدكتوراة، واللسانسات . وعندما تريد أن تعرف مستواه الدراسي وشهادته الأدبية فقل لي : ما هيّ شهادات إبن سينا والرازي وابن رشد وابن خلدون ؟ شهاداته علم وافر وتاريخ زاخر . إذا سأل إستفاد وإن أجاب أفاد .

الشيخ كلمن ملك الأناقة :

أبناء الشيوخ يتباهون بعزيز اللباس غالي الثمن. لكن لا يوجد في كل شيوخ سوريا وأبناءهم من يستطع أن يقول لك : بأنه يلبس أكثر أو أجمل من الشيخ كلمن. فهو أنيق بملبسه، حسنٌ في هندامه، في كل صباح يخرج للناس في ملابس جديدة غير التي كانت عليه بالأمس مادة، وطرازاً، ولوناً .

وما أكثر الصيادون من حوله، فالبدو لديهم عادة، إذا لبس إنسان شيئاً جديد وقال له أحدهم مبروك. قال له بارك الله بعمرك .

آما الشيخ كلمن فهو الرجل الذي إذا لبس جديداً وقلت له مبروك، أجابك : بارك الله بعمرك، وبارك الله لك بما باركتني عليه، فنزع ما عليه إلا مايستر عورة الرجل وقال للآخر تفضل، فيأخذها لأن الشيخ كلمن من آل بيتٍ لا يسترد عطاءهم .

وأنت شاهدت صورته في الصفحة الأُولى من بحثه وهذه صورة ثانية وهو يتجند بمسدسه.



صورة الشيخ كلمن مثقال العاصي ويبدو في هذه الصورة متجنداً مسدسه الإستندر . سلاحه سلاح الأبطال، لسانه لسان الأمير المثقف، كفه كف الأمير الأجودي، خلقه خلق العربي الشهم، نخوته نخوة الإنسان الذي لا غاية لها من وراء ما يفعله إلا مرضاة الله سبحانه وتعالى.

ولو جئته وشاهدت ما لديه من شواهد لهالك ما تشاهده من صورٍ إحتفظ بها. منها فردية مهداة له إهداء شخصي من كبار رجال الحكم بسوريا والعراق. كرؤساء الوزارات والوزراء. وكبار القادة العسكريين. ورجال الدولة وشيوخ وأمراء العشائر وقد شاهد معظم من ذكرت على موائده وولائمه سواءاً بالبادية أم بداخل كبريات العواصم والمدن ولو أن المجال يتسع لقدمت من هذه الصور المئات.

إستغنيت عنها لهندسة خاصة بهذا الكتاب، ولإكتفائي بشهادات المجتمع والتاريخ، ولأنك لو تحدثت لأي إنسان عن الشيخ كلمن لقال لك صحيح.

الشيخ كلمن إنتبه إلى ما أهمله الناس :

كل سمات وتصرفات وحركات الشيخ كلمن سامية وهي أعلى من أن تكن سمات وتصرفات شيخ أو أمير بل كلها ملكية. وعلى سبيل المثال : أتحدث لك أخي القارىء عن هذه اللمعة من حياته حفظه الله وكل حياته مكارم لامعة بحق وحقيقة .

عند أهل البادية، شمر مثل يقول : " الخيل " ظهورهن عز وبطونهن كنز . فالعربي أول ما يشب لا يفكر بالزواج، ولا يفكر أن يساعده أبوه ببناء بيت شعر له أو أن يعطيه إبلاً وغنماً. البدوي أول ما يفكر بأن يمتلك فرساً أصيلة فإذا إمتلكها يغزو عليها فيطرد العدو وتكون هي السابقة به من دون خيول من معه في الغزو فيدرك الغنيمة، وأذا إنكسرت سربته واقترب العدو منهم فإن ظهر فرسه سيكون سلامة له إذ تنفذ به ويأمن على عمره. وعندما تلد له مهرة فسوف يبيعها مستقبلاً بمبالغ طائلة فيعتز مادياً .

والبدوي عنده فرسه تعادل أعز أبناءه، ولكن عندما إستوطن البدو بالأرض

واستقروا في القرى، وراح الأخ يقاتل أخيه على شبرٍ من الأرض. وذاق البدو حلاوة الإنتاج الزراعي ووفرة المرابح، وبطلت حياة الغزو وحروب العشائر والحمد لله. وتوفرت السيارة لكل مواطن هذه الآلة التي توصلك لمسافة مئة كيلو متر بخلال ساعة واحدة من الزمن بدلاً من أن توصلك الفرس لنفس المكان بثلاثة أيام.

أهملت الخيل.... لا أحد يشتريها . والشباب أخذوا يطالبون أبائهم بإلحاقهم بالمدارس بدل شراء الخيول، وبإمتلاك طقم أقلام ثمين بدلاً من شراء الرسن والسرج للفرس. والأراضي فلحت فلم يعد من مراعي للخيل. والناس مالت لحياة التمدن والرفاهية والعمل، في الدوائر والمصانع والمشاريع فلم يعد هناك من رعاة يسرحون بالخيل. وحتى من ظل من البدو (كحرامي) لا يفكر بسرقة فرس لأنه لايستطيع أن يقتنيها ويعرف أن لا أحد يشتريها منه .

حتى أصبحت الفرس الأصيل التي كان أقل أثمانها عشرة ليرات ذهبية وخمسين ناقة وبندقية وكذا شاة من الغنم، لم يعد يوجد من يشتريها اليوم ولو بعلبة سجائر .

انتبه الشيخ الشاب كلمن لهذه الناحية ولمصير هذا الحيوان الكريم الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم. فيما يخص الخيل : (الخير معقود بنواصيهن إلى يوم القيامة).

راح الشيخ كلمن يكثر من شراء الخيل ويرفع من أسعارهن تكريماً لهن (انظر الصفحة التالية وانظره واقفاً مع أحد أصحابه وهو على اليسار وسط الخيل وفرسانها) وكان بإمكانه في ذلك الوقت أي بداية الستينات أن يشتري الفرس بأبخس الأثمان لكنه لم يفعل بل رفع من أسعارهن، وأخذ يزرع حقول الشعير لتأمينه بتبنه كطعام لهن وراح يوظف السياس والخيالة فيدفع لهم رواتب

وكساء. وأكثر من هذا وذاك فقد سبق آل سعود ملوك السعودية وأمراء الخليج العربي بأن وضع (جائزة سنوية) مقدارها خمسين ألف ليرة سورية، فيقيم معرضاً سنوياً للسباق أخذ يشترك به مئات الخيالة والفرسان على خيولهم للسباق. وكل خيال يأمل أن فرسه تكسب الجائزة الخمسين ألف ليرة سورية.

وهكذا راح الناس يشترون الخيل ويعتنون بها من جديد فكان الشيخ النابه والسابق لهذه المكرمة وهذا ما يدل على عبقريته المشهود له فيها.



هكذا نجح وألح الشيخ كلمن بإعادة تربية وتكريم الخيول العربية الأصيلة وهذا مشهد لأحد معارضه للسباق السنوية ويبدو واقفاً على يسار أحد أصدقاءه بين صفي الفرسان.

مواقف الشيخ كلمن لقبيلته ولأصدقاءه :

أعماله الزراعية سائرةعلى خير ما يرام حتى اليوم والحمد لله ولكن لم يكن هو مالك لما يأتيه من واردات وأرباح بل هو ليس بأكثر من شريك بماله شريك لكل شمري وصديق وصاحب.

إذا جاءه الشمري حقق مبتغاه فأعطاه وكساه وسيره مسرور الخاطر. وكثير من أصحابه أبناء المدن يزورونه فيكرمهم ويعطي بعضهم حاجاتهم من المال كهبة والبعض يقرضهم فمن ردّ له ومنهم من لا يرد ولا هو يطالب.

الشيخ كلمن عرف عنه حبه للعلماء والأدباء وأرباب الغنى والمواهب لديه مكتبة زاخرة بأنفس الكتب وأقدمها وهي متنوعة بشتى العلوم والمواضيع.

له تدريبات على السلاح فهو هداف ورامي من الطراز الأول. به تواضع للناس، وحباً للخير، ومحبة واحترام لأقاربه بشكل خاص وللعامة وبه عطف واحسان.

يعتز بعائلته آل جرباء. مضرب المثل بين القبائل والحمائل الأصائل. يعتز بعروبته وبدولته سوريا. ويقول : كونه رجلٌ هاشمي النسب فلابد وأن يحب العرب سيما وإن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : (حب العرب من الإيمان) ولهذا يحب سوريا لأنها رمز العروبة ولأنها مسقط رأسه . وإذا سألته عن المغفور له والده المرحوم الشيخ مثقال العاصي لقال لك : إن والده هو الذي حرر هذه الأرض. ويعني بها ما بين اليعربية شرقاً وحدود طيء غرباً. إذ لم يكن من شمر أحدٌ فيها سوى جده العاصي رحمه الله ويسكن في غرفة صغيرة من طين يعتبرها البدو قصراً لأنهم لا يعرفوا إلا بيت الشعر .

ووالده الشيخ مثقال رحمه الله. كان محارباً وثائراً إستطاع أن يجلي عنها

الكردي والسرياني والتركي . وعندما خيم على سوريا الإستعمار الفرنسي البغيض تابع والده مثقال التحرير فاشتبك مع الجنرال روغان بمعركة حامية وغير متكافئة فأذله وألجأه للهروب، لكن الشيخ مثقال رحمه الله ظل يلاحقه والرصاص يبن الطرفين كالسحاب المنهمر. وظل مستمراً بمطاردته ومحاربته إلى أن أوصله الطريق المسدود إلى قرية العطشان أول حدود قبيلة طيء وأحلافهم من أكراد الشتيتيه. فقال لمن معه توقفوا عنه لأن الذين أمامه هم الذين سيقتلونه وفعلاً قتلته طيء والأكراد وتلك كانت نصيحة العاصي لولده مثقال رحمهما الله. إذ قال العاصي لولده مثقال طارده ، أتعبه ولا تقتله بأرضنا فإنه سيقتل على أيادي طيء . وفعلاً قتلته طيء والأكراد.

الآن يسكن في قريته الخاصة (الصفاة) وله من الأخوة إثنان هما :

- الشيخ طلال مثقال العاصي آل جرباء هو الأخ الأكبر وهو من شيوخ شمر أصحاب الحل والعقد .

- والأخ الأصغر هو الشيخ سعود مثقال العاصي .

للشيخ كلمن عدة أولاد أهمهم مثقال، وهايس.

بهذا أختتم بحث شيخ مهما كتبت عنه لم أفِ حقه من وصف أو حياة تاريخية. ولكن كما قلت لظروف هندسة الكتاب وضيق الظروف تشرفت بنشر هذا البحث وعرض هذه الصور عن حياة شيخ إذا قلت لأي واحد (كلمن) قال لك: ألف نعم وليس هو بحاجة لمن سيعرفه تعرفه كل الدنيا.

يكنى بأبي فيصل، ولشدة ولعه بالمطالعة فقد إرتحل من بيته القديم وسط قريته الصفاة التي إتسعت بعشرات البيوت وإبتنى له شبه مستوطنة بنفس حدود قريته إلى الجنوب منها على بعد ثلاثة كيلو مترات طلباً للهدوء والسكينة مع

أسرته ليتسنى له مطالعة مئات الكتب القيمة في مكتبته. ومع هذا فزواره كثر وأصدقاءه أكثر ومضافته الجديدة عامرة بالأهل والمحبين .



الشيخ كلمن مثقال العاصي يبدو في هذه الصورة وهو الثالث من اليسار لليمين وتبدو بيده سيجارة . كما يبدو معه بالصورة بعض كبار المسئولين في محافظة الحسكة.



الشيخ كلمن مثقال العاصي الثالث من اليسار لليمين يبدو مصافحاً
لرئيس الوزراء السوري الدكتور عبد الرؤوف الكسم.

المغفور له المرحوم

الشيخ نصار الفهد آل جرباء

هو : المغفور له المرحوم الشيخ نصار بن برجس بن كردي بن سميط بن فهد بن سلطان بن (مطلق) [1] بن الحميدي.

يلتحم هذا النسب بأبناء عمومتهم العواصي في جدهم الحميدي بن الجعيري بن مجرن.

عندما قضى جدهم مطلق بقيت زعامة شمر محصورة في هذا البيت إلى أن استطاع المفسدون الذين من عاداتهم أن يندحسوا بين الجلد والعظم أن يقيموا فتنة قامت في بيت آل جرباء آلت إثر ذلك زعامة شمر إلى فارس أخو مطلق وما زالت هذه الرئاسة في عقب فارس حتى اليوم.

أما الصفات التي لم يتعرى منها آل فهد ولم ينافسهم أحد من عموم آل محمد الذين منهم آل جرباء فهما صفتان :

١ـ الشجاعة

٢ـ والكرم.... وكما يقال: الكرم يغطي كل عيب.

زعامة شمر بالجزيرة السورية لآل عاصي. وكون الفهد ليس بآل عاصي. فانهم أقل شيوخ شمر مساحة في ملكية الأرض الزراعية.

---

(١) مطلق : هو أول من اشتهر بلقب آل جرباء ويكنى بأخي جوزا ولقب آل جرباء أبزر من اشتهر به من أسرة (آل محمد) هم آل فهد وحقاً ورثوا هذا اللقب نسباً وحسباً وقولاً على فعل.

ليس لأن آل فهد قلة إذا ما قورنوا بعدد أفراد أبناء عمومتهم شيوخ شمر. فتلك مكرمة إلهّيه شرفهم بها الله دون سواهم إذ يقول الشاعر :

تعيرنا أن قليلٌ عديدنا   فقلت لها إن الكرام قليلُ

ولكن كان توزيع الأراضي أنذاك قسمة ضيزى مما يذكرني بقول من قال :

ويوم الدوح دوح غدير خم   أبان له الخلافة لو أطيعا

ولكن الرجال تقاسموها   ولم أر حقاً كمثلها قد أضيعا

والواقع الذي يعرفه كل شمري أن من هو من هذه العائلة (لا يضيع له حق) ولكن عندما كان المغفور له والدنا الكبير المرحوم دهام الهادي أمير أمراء شمر رحمه الله هو المسؤول عن توزيع الأملاك على قبيلة شمر .

كان رحمه الله يتحاشى كل نقد أو مثلبة أو ما يسبب الغضب والإنشقاق سواءاً بين أبناء عمومته أو أبناء قبيلته.

فآل فهد هم أخوال إخواني أبناء والدنا الكبير المغفور له المرحوم دهام نصار وأخيه طاحوس ـ رحمهما الله ـ هم الأخوال اللزم لكل من الشيوخ حمود، حميدي، أحمد، أبناء المغفور له والدنا الكبير المرحوم دهام الهادي أمير أمراء شمر رحمه الله. وعز عليه أن يؤخذ عليه من أسرته أي مأخذ أو ينتقد من قبل أي شمري بأي إنتقاد . فمنح للشيخ نصار قرية واحدة وقرية ثانية لأخيه المرحوم الشيخ طاحوس. وهما أصغر قرى شيوخ شمر مساحة وكل ذلك كي لا يقال إن دهام أبرّ أصهاره دون غيرهم .

ولهذا رضيّ آل فهد بما قسم الله عز وجل مقدرين شعور وموقف بل وحراجة موقف المغفور له والدنا الكبير المرحوم دهام الهادي أمير أمراء شمر .

أما إذا حدثت المخاطر ، وجد الجد، وتهدد بناء المجد، فلا يستنجد بأحد قبل آل فهد. آل فهد هم مقدمة المتقحمين المخاطر، وهم من ينحصر بهم شرف ورودهم حياض المنايا التي ما تلبث أن تكون سلسبيلاً لهم ومهلاً في صدور أعدائهم. أي واحد منهم يقاتل ألف رجل ولا يسأل عن عدد من أمامه وهذا مايذكرني بقول عمرو بن الغوث بن طيء :

أمن القضية أن إذا إستغنيتم	وأمنتم فأنا البعيد الأجنب
وإذا الشدائد بالشدائد مرة	أشجتكم فأنا الحبيب الأقرب
الكم معاً طيب البلاد ورعيها	ولي الثماد ورعيهن المجدب
وإذا تكون كريهة أدعي لها	وإذا يحاس الحوس يدعى جندب
هذا لعمركم الصغار بعينه	لا أم لي إن كان ذاك ولا أب

المغفور له المرحوم الشيخ نصار آل فهد كان يشتهر بذكاءٍ مفرط ونظرة متفحصة للحياة، يستبق الأمور قبل وقوعها. يعز الجار ويكرم الضيف، مرجعاً للتراث والتاريخ القبلي ـ به دين ظاهر وتقىً شديد .

أولاده :

- المغفور له الشيخ عطا الله النصار عليه ألف رحمة ورحمة.
- الشيخ أحمد .
- الشيخ محسن .

وأما أخيه طاحوس رحمه الله فهو قمة بالشجاعة . وكانت شخصيته تذكرنا بأبطال أمراء وملوك العرب الأقدميين. لا أحد يستطيع أن يمر بحميّ قريته

إلا إذا كان زائراً لمجلسه. وأما كرمه فإن معلقة الذبح والنحر لا تفتأ الذبائح معلقة بها تنزل للقدر وأخرى تسحب للأعلى للسلخ. كان يبني بقريته بيت شعر فشمر وغير شمر تشهد بكرمه، ثم قهوته التي لا يجاريه بجودة صناعتها غيره وما تبرح دلال القهوة على الموقد ليلاً نهاراً وله ولداً واحداً هو (نصار)

ومن أقرباء المغفور له المرحوم الشيخ نصار :

حماد السطام رحمه الله : ولحماد ولدين هما : علي ، محمد.

ثم المرحوم مشعل الفهد : وله ولدان : المرحوم شبيب، وزيد

المرحوم شبيب : وله من الأولاد : سعد، عطا الله، لورنس، نايف.

وقد تفوتني بعض الأسماء لأن أبناء مشعل بالعراق.

أما أولاد المغفور له المرحوم عطا الله النصار : خالد، ناصر، أبو علي طالب.

لقد نبع المغفور له الشيخ عطا الله كما تنبع الوردة في الصحراء. كسب محبة أبناء قبيلة شمر وخاصة أبناء عمومته أبناء العواصي. كما كسب معارفاً وأصدقاءاً في الدولة على أعلى وأرفع المستويات حتى أصبح من أبرز شيوخ شمر الذين التفوا حوله المحبين والأتباع والعبيد . فسلح رجاله ، وراح يطعم، ويعزم، ويكرم، ويكسي، عطاءه جزل ووفير فيده لا تعرف العطية الزهيدة، نخوته ومروئته إرتجاليتان بدون تأني أو تفكير.

إذا جاءه ولي سجين عمل على إطلاق سراحه ، وإذا جاءه ولي مريض وقف إلى جنبه حتى يعالج ويشفى، وكان يخصص أعطيات، وشرهات، واعانات لعوائل مستورة أو محتاجة.

كان جميل المحيّا رحمه الله. هادىء الطبع. دائم الابتسامة. مقدام على كل مكرمة أو مخوفة.

على الرغم من صغر سنه أو شبوبيته استطاع أن يجعل من تربة قريته الصغيرة نبعاً ثراً بالخير والعطاء في الإنتاج الزراعي فكانت مواسمه الزراعية أوفر وأغزر انتاج في المنطقة حيث طورها إلى زراعات فنية متطورة. أضف إلى إنه زاول عدة أنشطة تجارية وفق في معظمها.

قضى عليه رحمة الله وهو في ريعان الشباب.

وأما أخيه الشيخ أحمد النصار حفظه الله فهو الأبي الذي لم يطأطىء الهام لغير ربه عز وجل. إنه سيف لا ثلم فيه، نابي الذباب، حاد الشفار، جوهري المعدن، ومجمل القول: فآل فهد كلهم ليوث والليث من صفاته لا يأكل إلا من ذبح كفه ولكن أيضاً عليهم يصدق قول الشاعر:

إذا قتلنا فلا يبكي لنا أحد   قالت قريش ألا تلك المقادير
نعطى السوية في طعن له نفذٌ   ولا سوية إذا تعطى الدنانير

وما أصدق ما ينطبق على خوالي آل فهد ما قاله أحد الشعراء كقوله:

ما المسلمون أمة لمحمد   المسلمون أمة لعتيق
جائتهم الزهراء تطلب حقها   فتفرقوا كل لطريق
وتجمعوا لقتال آل محمد   لما دعتهم إبنة الصديق

الشيخ / الحاج

شبل محمد النصار الكعيط



يبلغ من العمر ما يقارب الخامسة والسبعين عاماً أمد الله بعمره وهو شيخ الطوطم الأكبر والأعظم والأهم من عشيرة الخرصة الشمرية.

يقال لطوطمه (آل بريك) ولحمته الخاصة من طوطم آل بريك يقال لهم الحصنة.

له عدة أولاد أهمهم حسين وفارع وكلاهما آباء ولد. الشيخ الحاج شبل الكعيط. يتمتع بمنصب عام رئاسته لكل عشيرة الخرصة وجهاءاً وأفراداً بعد آل جرباء أمراء قبيلة شمر يعتبر بمثابة رئيس مجلس الكونجرس الشمري.

أي له من السلطة القبلية والنفوذ العشائري ما يستطيع به أن يجمع وجهاء العشيرة ويقرر تنصيب الأمير أو إستبداله.

لكن شمر أصحاب رأي وأدب وأخلاق ونخوة ومروءة لا يوجد بهم من يتمرد على أهله أمراء شمر آل جرباء المعروفين (بآل محمد) ومطلقاً مهما حدث.

بيت آل كعيط يعرف بأنه بيت حظ وبخت فدوماً يمنحهم الله حب العشيرة وإدامة النعمة والنصر على العدو كثر أم قل.ومن عادات شمر المتوارثة

إذا حدث حرب بين عشيرة الخرصة وأي قبيلة غير شمرية فإن أفراد شمر يعمدون تنصيب بيت الكعيط بواجهة ميدان القتال يسمونه "بيت حرب". إذ أن لهم إعتقاد راسخ بأن هذا البيت لا يبلغه العدو ولا ينال حبلاً من أطنابه وأن مقاتليه منصورون لا محالة.

الشيخ الحاج شبل الكعيط له نفس سجايا أهله الكعطة لا يسرفون.

لا يبطرون بالنعمة.

لا يسبقهم ولا يعلو عليهم آحد من بني جلدتهم بالنسبة لقيامهم بالواجبات .

الكعطي لا يكذب ، لا يخون ، لا يغدر ، جاره معزز ضيفه مكرم دخيله آمن وسالم. قاصدهم لا يخيب. حظهم محصن يقولون الحق ولو على أنفسهم قليلوا الكلام . بهم ذكاء مفرط وفراسة بدوية وتشبث بعادات وتقاليد العرب العرباء .

ولن أكن مبالغاً إن قلت كل تلك الصفات هي صفات الشيخ الحاج شبل محمد نصار الكعيط. وهو من أبطال شمر وفرسانها الشيخ الحاج شبل محمد نصار الكعيط مجمع للعشيرة وخيمة يفيء بظله على كل من حوله.

والده المرحوم محمد نصار الكعيط رحمه الله عاش زهاء مئة عام إرتحم بأواخر الستينات من هذا القرن خاض معارك عديدة فوق رمال نجد عندما كانت الحروب سمة البدوي الشجاع النجيب.

الآن يقوم بمهامه ولده الشيخ (فازع) الشهير بأبي فيصل والشجرة الطيبة لايمكن إلا أن تثمر ثمراً جيداً.

المغفور له المرحوم

حاجم الحصيني الغشم (أبو محمد)

رحمـه اللـه وعطـر ثـراه



عاش ما يقارب من السبعين عاماً وتوفي بقريته أم العظام ناحية اليعربية محافظة الحسكة مع إنه ولد في البادية.

كان رئيس فخذ آل غشم من الخرصة. وكان يتمتع رحمه الله بكل صفات البدوي الشجاع العفيف الشريف .

ويعرف عن أبو محمد بأنه رجل المواقف والأزمات رحمه الله. ويعرف أيضاً بأنه من أبرز وأهم أبطال شمر وفرسانها المعدودين فارس لا يشق له غبار.

عرفته قبيلته شمر قاطبة سواءاً عشيرة الخرصة أو غيرها بأنه السند السنيد لشمر عندما شمر تبحث عن معين أو سند أو ملاذ عليه رحمة الله.

له من الأبناء:محمد شيخ عشيرة الغشم حالياً.

الحاج علي الحاجم - فواز الحاجم - ثامر الحاجم المرحوم حاجم

كان لسان شمر الناطق في حلبات المطالبات العشائرية فهو واحد من ثلاثة يمثلون عشيرة الخرصة بالحديث وإرساء الحقوق،والثلاثة هم :

١ - المغفور له المرحوم منيس متيوت السعدي كبير قضاة قبيلة شمر.

٢ - حاجم حصيني غشم شيخ فخذ الغشم من الخرصة.

٣ - علي الجناع رحمه الله (أبو الشرابي) أخو علية من فرسان عشيرة العليان ودهات شمر.

إنما المرحوم حاجم الغشم أبو محمد (أخو عفته) إستطاع بشجاعته وصدقه أن يبرز بين زعماء شمر ويرجع له بالأمور ويشار له بالبنان.

وكان رحمه الله من أثرياء أبناء ووجهاء قبيلة شمر .

عاش عزيزاً أو رحل كريماً نعته شمر التي ما تزال تذكر مواقفه الخالدة والتي لا تنسى فرحمة الله عليه.



الشيخ
محمد حاجم الغشم

رئيس فخذ الغشم من الخرصة

ولد عام ١٩٤١م بقريته أم العظام ناحية اليعربية يكنى بأكبر أبنائه الكرام (لورنس) .

متعلم يمتاز بعقل راجح وضمير ناجح وأدب إسلامي وأخلاق عربية . به شجاعة والده المرحوم حاجم محبوب من قبل أبناء قبيلة شمر أفراداً وأمراءاً.

مفرط في الذكاء مشهور له بالدهاء يزن الأمور قبل حدوثها ويضع كل نصاب في منصبه .

به حياء وأدب وتواضع محب لقبيلته صفوح سموح يجمع بين أداب التراث والروح العصرية والأفكار التقدمية .

تعرض لبعض هبات الرياح التي أفسدت عند حذاء قدميه وبقيّ طوراً شامخاً وفناراً لامعاً وسيفاً باتراً ومنارة علم وخلق وأدب وبأس شديد .

آل عبد العزيز

" آل ياور "

شيوخ مشايخ شمر بالعراق

المغفور لـه

الشيخ أحمد عجيل الياور

هو : الشيخ أحمد بن الشيخ عجيل بن عبد العزيز الفرحان باشا بن صفوك (سلطان البر) بن فارس بن الحميدي. رحمهم الله جميعاً وارتضاهم مع الصالحين.



شيخ مشايخ شمر بالعراق المغفور له المرحوم أحمد عجيل الياور



المغفور له حضرة صاحب الجلالة المرحوم الملك فيصل الثاني بن غازي بن فيصل الأول ملك المملكة العراقية سابقاً. وإلى جانبه شيخ مشايخ شمر المغفور له المرحوم الشيخ أحمد عجيل الياور رحمهما الله .

موقف تاريخي من المواقف الملكية يقف بها المغفور له شيخ مشايخ شمر بالعراق الشيخ أحمد رحمه الله في (ظلال التاج) يقف إلى جانب سيدنا ومولانا المغفور له المرحوم جلالة الملك فيصل الثاني بن الملك غازي بن فيصل الأول بن الحسين بن علي عليهم جميعهم رحمته تعالى.

وعندما أنشر هذه الصورة فهذا ليتأكد القراء من صدق كلامي عندما قلت إن المغفور له المرحوم الشيخ أحمد عجيل الياور كان يعتبر أحد أعضاء الأسرة المالكة في العراق وهذا ليس بمستعظم فكلاهما هاشميين ومن أحفاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه وعلى أبناءه الطيبين الطاهرين أشرف السلام.

ولد المغفور له المرحوم الشيخ أحمد العجيل في مقر مشيخة شمر العراقية التي هي عاصمة شمر بالعراق قرية (المومي) .

كان يكنى بـ (أبي طلال) . وافته المنية في وطنه العراق في نفس مدينة بغداد إثر مرضٍ ألم به رحمه الله عولج منه في أرقى مشافي بون ولندن وأميركا. وكان عمره عندما انتقل إلى رحمته تعالى لم يتعدى عقده السادس من العمر.

كان رحمه الله شيخ شمر العراقية وقد ورث هذا المنصب عن المغفور له المرحوم الشيخ صفوق العجيل (آخاه) . والمرحوم الشيخ صفوق ورث مشيخة شمر عن أبيه المرحوم الشيخ عجيل العبد العزيز .

من أوصافه رحمه الله إنه كان طويل القامة، رشيق الجسم وضاح الوجه صبوح المحيّا، غاية في الجمال أشبه ما يكون بهيئة والده المرحوم شيخ عجيل. هادىء الحديث، سليم المنطق، متأنق في ملابسه وهندامه.

كان مستواه أرفع من مستوى شيخ عشيرة، حيث إنه اعتبر أحد أعضاء الأسرة المالكة في بغداد معظم جلساته وسهراته كانت مع صاحب الجلالة

المغفور له الملك فيصل الثاني بن غازي ملك العراق، ومع خاله المغفور له سمو ولي العهد الوصي الأمير عبد الإله بن علي رحمه الله .

وأما في خارج العراق فجلساءه وأصحابه هم كبار الكونتات المراكيز والنبلاء واللوردات، في كل من بون، باريس، لندن، نيويورك، واشنطن.

عندما إرتحم توالت البرقيات على ذويه من كل أولئك الأصدقاء الأجانب، ناهيك عن عموم وزراء وسياسين وقادة عسكرين وأمراء قبائل وشيوخ عشائر وتجار ورجال صحافة وفكر ومهن في عموم العراق الجميع عزوا أهله برقياً بل ومعظمهم حضر وشارك بالعزاء.

كان محبوباً عند قومه شمر وكان ممن يعتز بقومه شمر وحاول أن يخدم عشيرته بكل ما يستطيع، علماً إنه قدم لشمر الشيء الكثير الكثير ولكن للأسف (عمر الأكرمين قصير). لم تمهله الأيام السوداء ليتسنى له أن يحقق معظم أحلامه لخدمة شمر.

وأبرز صفاته كان عربياً وطنياً غيوراً يعتبر العراق رغم سعة مساحته قطعة من كبده، فما إستبدل فيه أي وطن في الوجود، علماً إن له في كل عاصمة أوربية منزلاً. أجمل ما كان يسره ويسعده هو أن يجلس مع عشيرته شمر في عاصمتهم (المومي) أو في بيته بحيِّ المنصور في بغداد، أو أن يتمشىّ مع محبينه على ضفاف نهر دجلة الحبيب أو أن ينصب خيامه (الصياوين) في الجزيرة برية سنجار. فقد كان مولعاً بالصيد، صيد الظباء والحباريل وأهم ما صاده في حياته المكارم والشمائل العفيفة الخالدة.

توفرت له مزايا لم تتوفر لأيّ من شيوخ العراق فعلى سبيل المثال :

أن كان له مكتباً وسكرتارية معتمدة حكومياً كأحد دوائر الدولة . يرجع

بأموره للبلاط الملكي مباشرة، أما ما يكتب به لمتصرف مدينة الموصل أو كبار المسؤولين العراقيين يعتبر أمره من الأوامر العليا وما على المسؤول إلا أن يوقعه كمأمور وبدون أدنى نقاش .

شارك في ثورة المغفور له المرحوم الشهيد العقيد عبد الوهاب الشواف بعام ١٩٦٠م. ضد حاكم العراق أنذاك عبد الكريم قاسم. واضطر للجوء إلى الإقليم الشمالي (سوريا) بعهد قيام الجمهورية العربية المتحدة .

كان رجاله الخاصين مسلحين بأسلحة خاصة به رحمه الله أي إنها صنعت لصالحه في مصانع ألمانيا مسدسات - تومیكانات - بنادق - رشاشات. وكل قطعة تحمل عبارة (صنعت خصيصاً لرجال الشيخ أحمد عجيل شيخ شمر) .

عندما توفى رحمه الله ترك مصلحة زراعية تعتبر الأكبر والأفخم في كل العراق. وترك شركات وأسهم في شركات أوربية وممتلكات ضمن مدن الموصل، والشرقاط، وبغداد .

دفن إلى جوار والده في مسجد عجيل بحي الدواسة في مدينة الموصل. رحم الله أحمد الشيخ الذي كان إذا جلس زين مجلس الشرفاء . وإذا تكلم أونس وأفاد بحديثه . وإذا فعل أعز وأغنى قومه. وإذا سافر إستوحش أصحابه وأحبابه . وإن عاد إعتبر بدراً أطل فأشرق على شمر بالنور والبهاء .

وعندما مات الشيخ أحمد، فقد كانت موتته فاجعة عظيمة مثلما كان عظيماً في حياته. فأحمد رحمه الله كان شيخاً شهماً ودبلوماسياً من الطراز الأول . وهكذا مات رحمه الله جسداً لا فكراً، لأن العظماء هو وأمثاله يموتون أجساداً، أما أفكارهم ومبادئهم تبقى حيّة وتنفع قبائلهم ومجتمعاتهم بالحياة الخالدة للأبد .



من اليمين إلى اليسار :

١ - الرجل الثاني : المغفور له المرحوم الشيخ ميزر مدلول العاصي ركن شمر وفارسها رحمه الله.

٢ - الثالث : الشيخ أحمد النامس (شيخ دين) رحمه الله وغفر له

٣ - الرابع : في الوسط هو الشيخ أحمد عجيل الياور شيخ مشايخ شمر بالعراق رحمه الله

٥ - الخامس : أمير أمراء شمر المغفور له والدنا الكبير المرحوم دهام الهادي عليه رحمة الله .

فوق صورة المرحوم الشيخ أحمد العجيل يبدو شاب على عينيه نظارة ، وفوق هذا الشخص الشيخ حمود دهام الهادي وبإزاءه شيخ شمر العراقية حالياً الشيخ محسن عجيل الياور على صدره جناد محزم الفشك ويبدو مبتسماً.



يبدو في الوسط جزار الشعب العربي العراقي عبد الكريم قاسم وعلى يمينه شيخ مشايخ عشيرة شمر العراقية المغفور له المرحوم الشيخ أحمد عجيل الياور ثم الشيخ مشعان الفيصل الفرحان. وعلى يساره شيخ عشيرة عشائر زوبع الشمرية الشيخ خميس بن ضاري بن آل محمود فشيخ عشيرتي الصايح والأسلم بالعراق الشيخ حواس بن جنعان الصديد.

أخذت هذه الصورة بمبنى وزارة الدفاع العراقية بعام /١٩٥٩/ م. ومناسبتها أنه عندما نجحت ثورة ١٤/ تموز/١٩٥٨ حاول عبد الكريم قاسم لا أكرم الله مثواه أن يستطلع أراء زعماء العراق ومنهم شيوخ شمر وعلى رأسهم شيخ مشايخ شمر المغفور له أحمد عجيل الياور بموقفهم ومدى تأيدهم للثورة شارحاً لهم بعض أهداف الثورة وخططها في المستقبل.

فصارحة المغفور له شيخ مشايخ شمر العراقية الشيخ أحمد عجيل الياور بأنهم ضدها وشرح له الأسباب المقنعة وغادر الإجتماع دون أن يكترث وظل مجابهاً لعبد الكريم قاسم إلى أن إشترك بعشائره مع الشهيد العقيد عبد الوهاب الشواف بثورته ضد الطاغية عبد الكريم قاسم بثورة الموصل عام /١٩٦١م/ .



طاغية العراق الذي باء بعار الدرب وذنوب الدنيا وعقاب الآخرة عبد الكريم قاسم بزيه العسكري على يمينه شيخ مشايخ شمر بالعراق الشيخ أحمد عجيل الياور ثم المغفور له الشيخ نوري الفيصل الفرحان الجرباء إستشهد بثورة الشواف وهو خامس شيخ من آل جرباء يستشهد على تراب العراق دفاعاً عن عروبة العراق وتراب بنيه، صفوق، عبد الكريم، نايف ، النوري أحد شيوخ شمر فالشيخ مشعان الفيصل وعلى يسار عبد الكريم قاسم شيخ عشائر زوبع الشمرية الشيخ خميس بن ضاري آل محمود، فشيخ الصايح والأسلم الشمريتين حواس بن جنعان الصديد .

نفس الصورة السابقة وكان الإجتماع لنفس الأسباب التي شرحناها في الصفحة السابقة .

(أخذت هذه الصور وسابقتها من أرشيف الشيخ كلمن مثقال العاصي)

المغفور لـه المرحوم

الشيخ مشعل عجيل الياور



هو الشيخ مشعل عجيل بن عبد العزيز الفرحان الصفوك الفارس الحميدي رحمه الله برحمته .

يكنى بأبي ثائر كان شيخاً صارماً حاد المزاج إنتصاراً للحق والعدل والأدب، شديد الغضب على من يسيء الأدب، مكرماً ومقرباً ومحباً للشرفاء. به عطف وحب لأخوانه وبني عمومته مثلما به حب واخلاص وتضحية لكل شمري.

أحبته شمر، وعندما ناداه إلّه الرحمة حزنت لموته كل شمر بكل ديارها . ولد في عاصمة شمر العراقية (المومي) وانتقل إلى جوار ربه وهو في ريعان الشباب بالسبعينات. دفن إلى جوار أبيه الشيخ عجيل في مسجد عجيل بالدواسة في الموصل رحم الله الشيخ مشعل الذي مازال تبكيه كل عين شمرية. فإلى جنة الخلد يا أبا ثائر.

الشيخ محسن العجيل الياور

شيخ مشايخ شمر العراقية حالياً



" الذئب الأحمر "

شيخ شمر بالعراق حالياً الشيخ محسن عجيل (الياور) بن عبد العزيز بن فرحان بن صفوك بن فارس بن الحميدي.

بدون هذه التنسيبات يعرف العرب كل العرب من هو صاحب هذه الصورة البدر لا يخفي على أحد ولا أحد يجهل ما القمر.

فإذا قلت الذيب الأحمر علم كل عربي من عنيت حقاً إنك عنيت شيخ شمر العراقية الشيخ محسن.

ووالده وإخوانه رحمهم الله يقال لهم الياور ولقب الياور هو إسم تركي فقد كان الشيخ حميدي الفرحان عم المرحوم عجيل نال وسام البشاوية وتزعم شمر. فكان مسئول أعماله وحامل أسراره وأهم معتمديه وأقرب مقربيه إبن أخيه الشيخ عجيل العبد العزيز فقالت العرب : واقصد شمر تحديداً عجيل ياور لعمه الشيخ حميدي فذهبت عليه التسمية "ياور" فعرف واشتهر وأولاده بلقب الياور . يقال عجيل الياور وأولاده : صفوك الياور، أحمد الياور، مشعل الياور، محمد الياور، رحمهم الله . ومحسن الياور، وحميدي الياور حفظهما الله.

والآن ماذا أقول عن شيخ انحنى له كل شجعان البدو والبادية إعترافاً بشجاعته الفائقة فلقبوه (بالذئب الأحمر)

هو : الشيخ محسن عجيل العبد العزيز الفرحان الصفوك الفارس الحميدي آل جرباء .

ولد في قرية (المومي) لواء الموصل بالعراق . عمره الآن يناهز الخامسة والستين عاماً جعله الله من طويلي الأعمار. لأن قبيلته شمر في كل تواجدها بالعراق بسوريا بالخليج بمهدها حائل ونجد بحاجة اليه.

يكنى بعدة أسماء وألقاب منها :

أبو حواس

وأبو لورنس

وقد إشتهر عالمياً بلقب (الذئب الأحمر)

وهذا اللقب ثبت عليه وكما يقال - قول على فعل - فأثناء ثورة الثائر الوطني العربي العراقي الشهيد محمد عبد الوهاب الشواف في مدينة الموصل تلك الثورة التي كان من أبرز مكوناتها هم أبناء عشيرة شمر وبقيادة شيوخها وعلى رأسهم المغفور له المرحوم الشيخ أحمد العجيل أما الجناح العسكري الشمري فكان بقيادة شيخ شمر العراقية الحالي محسن العجيل. مما جعل شمر أن تلقبه بهذا اللقب الذي تثبت عليه حتى إذا قال واحدٌ لآخر أنت الذيب الأحمر، أجابوه الناس بغضب وزجر تخسأ الذيب الأحمر هو أبو حواس، أخو مها الذيب الأحمر محسن العجيل وليس غير محسن العجيل.

من حيث الصفات فإن له نفس أوصاف المغفور لهم إخوانه صفوك وأحمد ومشعل ومحمد رحمهم الله وحميدي حفظه الله مع فارق بسيط إن الشيخ محسن أسمر اللون في حين إن المرحوم الشيخ أحمد كان شديد بياض الوجه. وفي صوته رقه وبكلامه هدوء.

أما الشيخ محسن في صوته بأية حال حرارة، حرارة مرعبة صوته تخفق له قلوب الرجال. كلماته تجعل سامعها يعبر عن رده عليها بالإنحناء والموافقة حتى وإن كانت عباراته بمعنى السلام أو إستفساره عن صحة محدثه.

كان ومازال أمل وذخر عموم أقاربه (آل محمد) بما فيهم آل جرباء الذين

هم آل محمد أصلاً ، بل هو أمل وذخر عموم قبيلته شمر في المشارق والمغارب. يشتهر بشجاعة منقطعة النظير ، وبحزم وعزم فإذا قرر أمراً لا يتراجع عنه ولا يستثنيه.

ومن ذا الذي يستطيع أن يعترض أمره ؟ حتى الآن ما علمت شمر أن واحداً قد حاول ذلك.

ولكن رغم شدته وصرامته. فإن به إنسانية فائقة كشجاعته. محباً للمزاح لأن به رقة ولطافة وبه كرم وسخاء. يتمتع بذكاء موهوب ثاقب.

بعيد النظر عالم بشئون العشائر والقبائل وكيفية تصريف أمورها وحلها. له إهتمامات ملموسة بقبيلته شمر، بشكل عام لا يفرق بين شمري وآخر.

خير ما كلل به شخصيته المرموقة كشيخ يستحق ثناء المجتمع وشكر التاريخ هو أنه عندما إحتل العراق في ١٩٩٠/٨/٢ الكويت. راحت الحكومة العراقية تحاول اقناعه بشتى الوسائل أن يوعز لأبناء شمر أن تنضم للهجوم العسكري وينتقل أبناء شمر للسكن والاستيطان في دولة الكويت.

رفض أشد الرفض وأعلن صراحة وعلى مسامع حكومة العراق أن أي شمري يشارك بالهجوم على الشعب العربي الكويتي فهو ليس بشمري ومنبوذ من كل قبيلة شمر.

كما إنه أفصح عن قراره ذاك بصراحة قائلاً ! إن السلاح العربي الشمري لن توجهه يد شمرية لأي عربي كان في الوجود. وإن الكويت ليست إسرائيل فالشعب الكويتي به إخوان وأبناء عمومة وأهل لنا. وبالتالي مجتمع عربي مسلم بدوي ولا نجد أي مسوغ يحلل لنا غزوه .

فضعفت علاقته بالحكومة العراقية القائمة حالياً من بعد ما كان يعتبر أبرز شيوخ قبائل العراق قاطبة لدى القصر الجمهوري في بغداد .

لكنه (ظل الذيب الأحمر) بحق وحقيقة ورغم الحصار الذي جرى عليه، فقد إستطاع النفاذ من وطنه وحفظاً لتاريخ أسرته وعشيرته توجه إلى بريطانيا العظمى حيث إختار لنفسه منفىً مختاراً هو مدينة (لندن) التي مازال يعيش بها منذ عام (١٩٩٠) ولليوم .

وفي لندن حاول الكثير من رجال المعارضة العراقيون أن يضموه لأحد تكتلاتهم بأي شكل من الأشكال فلم يفلحوا لأنه رفض واعتذر عن ذلك .

فتحية شمرٍ وتحية التاريخ، وتحية الأدب والأدباء

بل تحية أنور لك أيها الذيب الأحمر يا رمز شمر وفخرها وأنتم أهلاً لهذه التحايا يا رمز عجيل أخو جوزة .

آل فيصل من آل جرباء
آل محمد
شيوخ شمر بالعراق



من اليسار : الشيخ فرحان فيصل الفرحان الصفوك الفارس الحميدي آل جرباء.
الدكتور الشيخ خوام بن الشيخ فنر الفيصل الفرحان الصفوك الفارس الحميدي الجرباء.

أعرض الصورة كذكرى للتذكار ومعلوماتي عن أهلي شيوخ شمر بالعراق قليلة ولسوء حظي. ولكن الأيام السعيدة جمعتني بأخي الشيخ خوام فنر فيصل الفرحان الصفوك الفارس الحميدي مرتين مرة بعام/١٩٧٦/ عندما شرفنا بعاصمة شمر تلو علو بسوريا بمناسبة تعزيته لنا بالمغفور له والدنا الكبير أمير أمراء شمر المرحوم دهام الهادي رحمه الله. ومرة في نفس العام بمنزله العامر في مدينة عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية.

فوجدت إنه مقرباً لإبن عمه حضرة صاحب الجلالة سيدنا ومولانا جلالة الملك الحسين بن طلال أدامه الله وأبقاه. ووجدت أن به عز لشمر بالأردن مثلما كان به عز لشمر بالعراق وهو في العراق بلده وبلد أهله الذي غادروه .



الشيخ أحمد الصفوك الفيصل الفرحان الصفوك الفارس الحميدي وهو على اليسار يبدو وبيده مسبحة وبجانبه إبن عمه الشيخ طلال بن فنر الفيصل الذي ينتهي لنفس تسلسل النسب.

صفوك الفيصل رحمه الله والد أحمد هو أول من تلقب بحمر عين من كل أبناء عمومته آل جرباء شيوخ شمر. وهذا هو الشيخ أحمد ولده فهو أحمر العينين. شجاعة شدة بأس سرعة إقدام. أما الكرم والنخوة فيكفي إنه محمدي جرباوي ويكفي أن من صفاتهم (غليطهم بالطيب يكصر اليادون) وإن كانت هذه صفات الشيخ أحمد الصفوك فإن الشيخ طلال بن المغفور له الشيخ فنر الفيصل رحمه الله لم يكن أقل شأناً من إبن عمه إنهما كحدي السيف أي من حدي السيف به عز وبقاء مثلما به موت أحمر وفناء .

إنهم / الجربان ـ الجربان ـ الجربان / فخر العرب وعز شمر إحفظهما يا الله.

(الصورة أخذت من أرشيف الشيخ كلمن مثقال العاصي)

عشيرة عبدة

عبدة : عشيرة شمّرية، قحطانية. ويُذْكر أنّ عبدة تصعد إلى قحطان عن طريق قبيلة طيء، ومن كتاب عشائر الشام لأحمد وصفي زكريا / ص - ٦٢٣/ نستمد هذا البحث.

عبدة : عشيرة شمرية، قحطانية الأصل نخوتها (سناعيس) وهيّ التي كانت سائدة في نجد قبل مئتي سنة، ويكفي أن يُذكر أنّ (آل علي، وآل رشيد) حكام نجد السابقين) كانوا منها ولا زال لها هناك منازلُ، وأفلاكُ مهمة، ولكن أبرز من يمثلها اليوم شيخان بالغرب وبالشرق، أما في الغرب فهو الشيخ ممدوح بن نواف بن شريم من فخذ اليحيا، وهو ابن خال سموّ ولي عهد المملكة العربية السعودية وقائد الحرس الملكي الوطني سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ممدوح بن المرحوم نواف بن شريم ويسكن في ممدوح في مدينة رفحة السعودية وفي الشرق في دولة قطر بالدوحة الشيخ (خميس بن أحمد العبيدلي) أمير العبادلة من عبدة في عموم أقطار الخليج العربي وشواطىء فارسوأقدم من ممدوح وخميس . أمراء عبدة آل رشيد، وابن عجل وأمثالهما.

لقد نزح قسم كبير من عشيرة عبدة من نجد إلى الجزيرة، ومن الأهواز وشطآن فارس إلى أقطار الخليج العربي. فكان نزوح عشيرة عبدة للجزيرة من مقرها مدينة حائل في جبل شمر وهذا بعد أن إنتهى عهد آل رشيد حكام حائل.

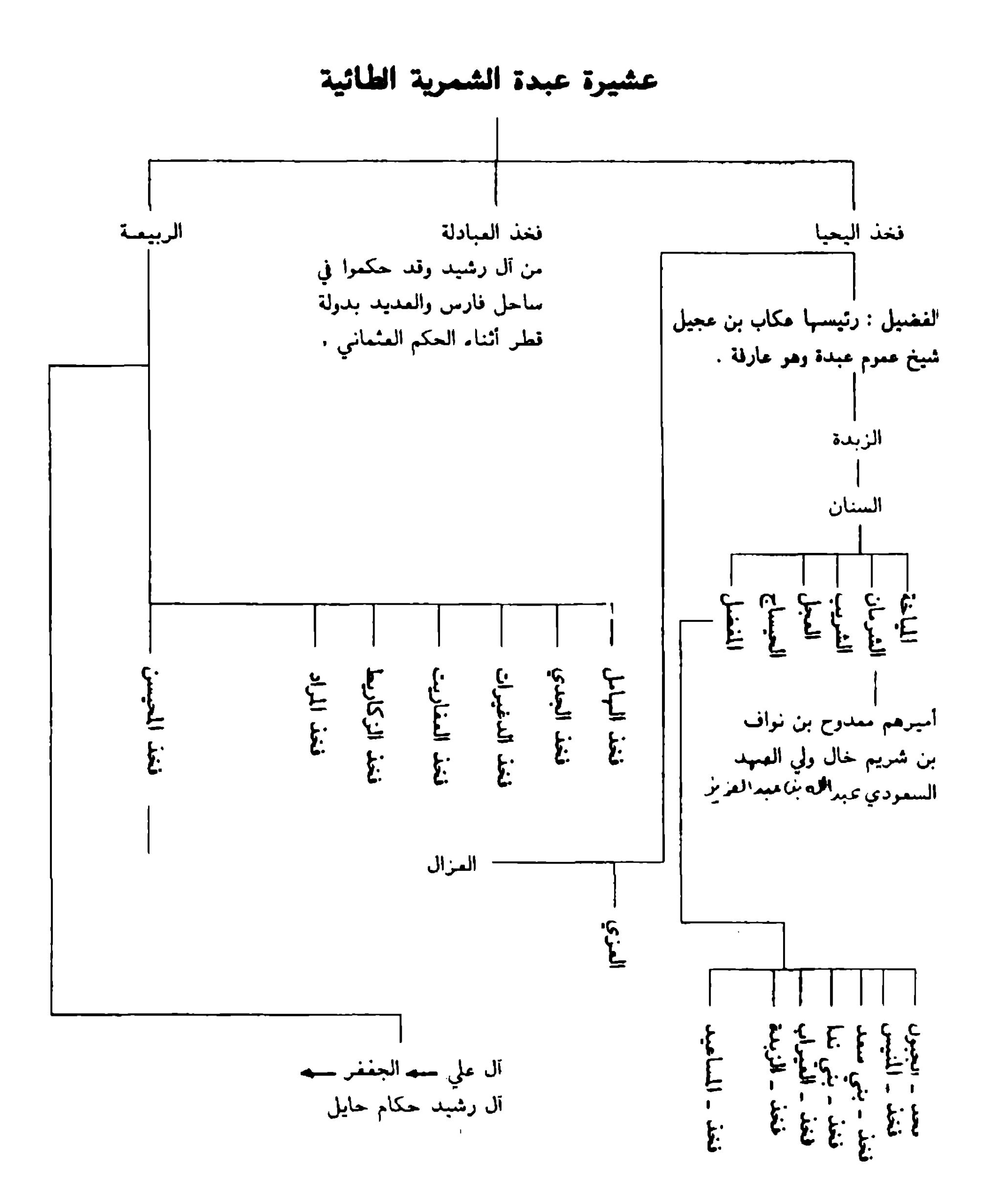
عبدة تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ـ اليحيا : أميرهم ممدوح بن نواف بن شريم . ومن اليحيا فخذ الفضيل وأميرهم عكاب بن عجل وهو أمير عموم عبدة كما أنّه عارفة .

٢ـ العبادلة : أميرهم خميس بن أحمد العبيدلي

٣ـ الربيعة .

عشيرة عبدة


عشيرة عبدة الشمرية الطائية
فخذ اليحيا
فخذ العبادلة
الربيعة
من آل رشيد وقد حكموا في
ساحل فارس والعديد بدولة
قطر أثناء الحكم العثماني .
الفضيل : رئيسها هكاب بن عجيل
شيخ عموم عبدة وهو عارفة .
الزبدة
السنان
أميرهم ممدوح بن نواف
بن شريم خال ولي العهد
السعودي عبد الله بن عبد العزيز
العزال
آل علي ← الجعفر ←
آل رشيد حكام حايل

شيوخ عبدة :

١ - إبن رشيد من الرشيد من آل علي

٢ - عكاب بن عجل

٣ - مسلط ثم نواف وحالياً ممدوح بن شريم

٤ - خميس أحمد العبيدلي من آل رشيد من آل علي فخذ اليحيا من عبدة.

٥ - جزاع بن عنيزان من الجدي .

ويفيد عمر رضا كحالة صاحب كتاب معجم قبائل العرب المجلد الثاني صفحة (٧٣٦) مايلي : [عبدة : من أشهر قبائل شمر، وأكبرها ذكراً، واتصالاً بالقرابة مع عشائر العراق الكثيرة، يقيم قسيمٌ منها في نجد وآخر في العراق، وقد نزح قسم كبير منها إلى الجزيرة إحدى محافظات الجمهورية العربية السورية، بعد إحتلال حائل من قبل السلطات السعودية، ويقدر عدد بيوت هذه العشيرة بحدود (٣٠٠٠) بيت، وتملك آبار /لينه/ وزرود، والخضرا، والثعلبية، والأخضر، وتمتد منازلها من أجا إلى ما وراء الثعلبية ومن أفخاذها : اليحيا، الربيعة، الدغيرات، الجدي، المفضل، الفضيل. العبادلة، والنسبة لهؤلاء (عبيدلي) وهذه عشيرة عبدية كبيرة ، شاركت منذ الفتح الاسلامي بفتح القادسية، واستوطن أكثر أفرادها في ساحل فارس (الأحواز)، لكنهم حافظوا على عروبتهم وأصالتهم إلى ما يقرب من ثلاثمائة سنة من بعد الفتوحات الإسلامية، ثم عادوا لديار آبائهم وأجدادهم وأشهر مواطنهم العديد في دولة قطر وقد اعتمدتهم الحكومة العثمانية حكاماً لمنطقة العديد، مثلما كانوا حكاماً لأكبر رقعة ولأكثر القبائل العربية في ساحل فارس.

وهذه الأسرة الحاكمة هي أسرة الشيخ خميس آحمد العبيدلي الموجود حالياً في الدوحة دولة قطر، وسيأتي بحثٌ خاصٌ مفصل في الصفحات القادمة من هذا الكتاب بفصل (أمراء شمر) .

وبما أن هذا البحث أَخصُ به (عبدة) كعشيرة شمرية قحطانية فقد ذكرهم النسّابة حمد الجاسر في كتابه معجم القبائل السعودية/ الجزء الأول/ (ص٥٠٣)

عبدة من شمر، ومن أفخاذها :

١ـ اليحيا

٢ـ الربيعة

٣ـ آل جدي

٤ـ الدغيرات

٥ـ آل مفضل

٦ـ آل فضيل

من بلادهم بمنطقة حايل : الجثمانية، مطربة الجبرين، بقعاء، الخويدر، النيصية. وهذه الثلاث الأخيرات سكانها آل جعفر .

* وعدّ المستشرق "موزل" بكتابه شمال نجد: خضراء، لينة، زرود، الشعبية، الأجفر. وأن بلاد عبدة تمتد من أجا إلى ما وراء لينة.

الحديث عن عشيرة عبدة الضيغمية الشمرية القحطانية يطول ومهما أطلنا به يظل أطول، وما كتبناه وما سنكتبه يظل أقل من أن نفي هذه لعشيرة حقها، وإن كانت كل عشائر قبيلة شمر هيّ اكفاءٌ لدراسة تاريخها والإعتزاز به غير أننا نقول أيضاً : إنّ عشيرة عبدة قد تحدث عنها " أبو عبد الرحمن بن عقيل

الظاهري" في كتابه (آل جرباء في التاريخ والأدب) نقلاً عن إبن قدامة ما نصه: [أن زعماءهم آل ضيغم من جنب من مذحج، وقد دخلوا في عبدة - أي زعماء شمر -]

وآل ضيغم إلى آخر القرن السابع الهجري لا يزالون في الجنوب في بلاد مذحج . ويظهر - إستئناساً بالأسماء - أن آل علي وآل رشيد من ذريّة شهوان بن منصور بن ضيغم بن منيف بن جابر بن عليّ. الذي ذكره ابن رسول في كتابه "طرفة الأصحاب" . ولعل بين جدهم الأدنى عرار بن شهوان وشهوان بن منصور جدّاً اسمه فارس كما سيأتي بيانه وإنما نسبتهم إلى فارس بن طعان لأن آل خليل هم أبناء خليل بن جاسر بن علي بن عطية من آل جعفر. وقد ذكر الشرنيس أنّ آل فارس وآل خليل بطن واحد، وابن فارس محمد كان حيّاً من عام ١١٠٩هـ - الحديث لا يزال لابي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري من كتابه آل جرباء /ص ٣٥/ - ثم ذكر أن آل صادق من ذريّة عبد الله بن محمد بن علي من آل فارس، فإذا كان آل صادق أبناء عم آل علي، وكانوا من آل فارس بن طعان فآل عليّ من ذرية فارس.

ولكنهم من آل جعفر، وقد ذكر ابن بسام أنّ آل جعفر من الضياغم. ولهذا كلّه رجحت أن لآل رشيد جداً اسمه فارس ابن طعان إما من أحفاد عرار بن شهوان، واما بين عرار بن شهوان، وشهوان بن منصور بن ضيغم.وعلى أي حال، فإقحام فارس بن طعان في نسب آل رشيد إستنتاجاً يظل مجرد احتمال.

وفي نص ابن رسول أن لمنيف بن ضيغم بن منيف بن جابر ولداً اسمه راشد، وله حفيد اسمه عُمير بن أحمد بن راشد.

وفي الكتاب المجهول المؤلف الذي نقل عنه الشيخ حمد الجاسر أخبار الخيل الدهم الشهوانيات في مخطوطته عن الخيل أن شهواناً أبا عرار أخو راشد عم

عمير. فيحتمل أن يكون عرارُ حفيد لمنيف بن ضيغم. ويحتمل أن يكون من ذريّة شهوان بن منصور بن ضيغم. وعلى أي حال، فتوارث اسم شهوان وعمير وراشد يؤكد أن عمار بن شهوان وعمير بن راشد من أحفاد منيف بن ضيغم، وضيغم هذا هو: ضيغم ابن معاوية بن الحارث بن منبه بن يزيد بن حرب بن علة ابن جلد بن مذحج أخو طيء.

وكان معاوية بن الحارث من جنب، والملك في بيت جنب، وهو الذي استجار به مهلهل أخو كليب، وتزوج ابنة مهلهل واسمها عبيدة- وإليها تنسب قبائل جنب، فولدت له أبا القبيلة ضيغماً.

ومن بني ضيغم عبدة هؤلاء وكانت لهم الرئاسة على قبائل شمر من طيء بن علي. وكانت رئاسة جبل طيء قديماً لجديلة وهي بطنٌ من طيء ثم صارت في بني نبهان، ثم صارت للجربان، ثم صارت في آل جعفر من عبدة) .

وهكذا استقلت عبدة بزعامتها حتى توسعت وتوزعت بين عدة أسر عريقة معاصرة مثل آل رشيد حكام حائل، آل عجل، آل شريم، آل عبيدلي، ابن سوقي، ابن جبرين، ابن أبي الميخ ... الخ.

وفي ختام بحث عبدة أتقدم للقراء الكرام بتقيمين لأبرز زعيمين من شيوخ هذه العشيرة.

الأول : ممدوح بن نواف بن شريم

الثاني : خميس بن أحمد العبيدلي

الأمير ممدوح بن نواف آل شريم



من فخذ السنان، من الزبدة، من الفضيل، من اليحيا، من عبدة، من شمر القحطانية.

كانت منازلهم في نجد، وبعد سقوط مدينة حايل وانهيار حكم آل رشيد، نزحوا إلى العراق مع عدة عشائر شمريّة . ثم عادوا في منتصف القرن العشرين إلى نجد ديار آبائهم وأجدادهم ولكن تحت راية المغفور له جلالة الملك عبد العزيز بن سعود، وقد انطفأت ثورة الحروب القبلية العشائرية، ونجحت ثورة الإصلاح الديني محمد بن عبد الوهاب المولود بعام /١١١٥/هـ، وانبثقت دعوته من الدرعية جنوب العارض (الرياض) حالياً/١١٥٨/ هـ، عندما رحل من العينية إلى مدينة الدرعية وتوفي بعام / ١٢٠٦/هـ، في الدرعية مركز دعوته. ثم انفجار الثورة الثانية بعام /١٩٣٦م/، وهي ثورة النعم، والخير (البترول) فتوحد الشعب السعودي كشعب عربي يتسابق أبناؤه إلى بيوت الله المساجد لعبادة الله بدل الحروب وإلى إقامة المؤسسات والشركات والأنظمة الإقتصادية والكسب الحلال بدل غنائم الحروب والإقتتال وممن أفاء الله عليهما بهاتين النعمتين عشيرة عبدة الشمرية سواءً منها من ظل في السعودية ولم يهاجر أو من عاد من عبدة لنجد بقيادة الأمير نواف بن مسلط بن شريم.

أصهر المغفور له جلالة الملك عبد العزيز بن سعود لآل شريم، فتزوج (فهيدة) شقيقة نواف بن مسلط بن شريم، فأنجبت له سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود والذي هو ولي العهد السعودي ورئيس الحرس الوطني.

توفي الأمير نواف بن شريم، فشغل منصبه ابنه المكرم الأمير ممدوح بن نواف بن شريم الذي يسكن بهجرة آل شريم من أعمال مدينة (رفحا) السعودية في الحدود الشمالية من المملكة العربية السعودية.

لقد عمر المرحوم نواف بن شريم لأكثر من ثمانين سنة، ولكن الأمير ممدوح

هو الذي قام بشأن عشيرته الخاصة اليحيا بل وعموم عشيرة عبدة خاصة كما أنه من أهم وأبرز وأنشط أمراء شمر الذين عرف عنهم خدمة المصلحة الشمرية.

لقد استفادت عائلة آل شريم بمصاهرتها لجلالة الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله، وأهم هذه الفوائد أنّ كل شمري اعتبر نفسه خالاً لصاحب السمو ولي العهد السعودي الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود.

إذ أن الله سبحانه جعل من هذا الأمير الشهم ابن إبنة آل شريم شخصية نافعة، ومعينة ومكرمة لكل شمري أكان شمرياً شيخاً، أم شمريّاً عادياً وبالتالي شخصية فخر يعتز بسموه كل شمري وأهم من هذا أنّ شخصية سمّو ولي العهد السعودي الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود أصبح حلقة ذهبية ربطت أمراء شمر بالأسرة المالكة السعودية وربطت شمر بعنزة قبيلة آل سعود فجمعتهم ووحدتهم بعد الفرقة والعداء العشائري القبلي.

لقد عرفت الأمير ممدوح بن شريم من خلال زياراتي له في هجرته [1] عندما أتوجه من أبي ظبي بسيارتي إلى مدينة عمان بغية زيارة أخي أمير أمراء شمر حمود دهام الهادي .

كنت أسافر بشكل ترانزيت. يُمْنَع على مسافر الترانزيت بسيارته أن يبقى على الطريق الدولي ضمن حدود المملكة الشمالية أكثر من أربع وعشرين ساعة من الزمن. كما يُمْنع على مسافر الترانزيت الخروج عن الطريق، ولو لعشرة أمتار من ذات اليمين أو الشمال. لكني كرجل مؤلف وأنتمي لعشيرة شمر حسباً وليس نسباً. لقد كنت أنزو عن الطريق مغامراً، فأزور هجر، وأمراء شمر بدافع الشوق لما كنت أسمع عنهم وعن مواقفهم النبيلة التي يستقبلون ويكرمون بها

(١) الهجرة : هي القرية . فالقرية بلغة الشعب السعودي تسمى هجرة . وفي لغة [illegible] المصري تدعى عزبة .

كل شمري قادم إليهم من شمّر سوريا أو شمّر العراق وعلى رأس كل أمراء شمر في المملكة العربية السعودية، الأمير ممدوح بن شريم أعزه الله.

ترددت على زيارته ثلاث سنوات ما بين عام ١٩٨٨ و ١٩٩١م. فوجدته أميراً ونعم الأمير.

نعم : ليس أنا وحدي من أقولها. لقد قالها ويقول كل شمري سواءً وصل إلى الأمير ممدوح بن نواف بن شريم، أم مجرد يعرفه سماعاً وليس عياناً.

إن المرء قد يجد تعالي وغطرسة في نفسية عسكري شمري برتبة عريف، لماذا؟ لأنه عسكري في الحرس الوطني الخاضع لقيادة سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز أدام الله ظله. لكن الأمير ممدوح بن نواف بن شريم الذي هو ابن خال سموه ومن أخلص رجال سموه بشكل خاص بل ورجال المملكة العربية السعودية كما أنه أمير إحدى مناطق الحدود الشمالية السعودية . ناهيك إنه يمثل خلقاً كثيراً من عشيرة عبدة الشمرية القحطانية رغم كل تلك الصفات، فقد وجدته كما كنت أسمع عنه وأكثر بأنه يمتاز ويتصف بأخلاق رفيعة، وروح متواضعة، وعاطفة، ونخوة، وشهامة شمرية منقطعة النظير.

مضافته مُشْرَعَةُ الأبواب لأي ضيف أعان المئات من أبناء شمر على حيازتهم للتابعية السعودية، وتوظيف الكثير منهم في الجيش السعودي والوظائف العديدة. ومن ميزاته التي جعلته فخراً لكل شمري: أنَّهُ مشارك لكل من يأتيه بماله سواءً أكان شمرياً أو غير شمري عطيته عجلة، جزلة، ومستورة، ونخوته برأس أنفه وأشهر ما يشتهر به صدقه، ورجاحة عقله، وبعد نظره في الحياة.

كنت عندما أزوره لا يعدو قراري أن أقيم برحابه لأكثر من ساعة لمجرد

السلام عليه وليس لغير السلام. لكنه كان يقسم عليّ إلا أن أقيم في رحابه المدة التي أرغبها ومن ثم يزودني بكتاب منه لعموم السلطات السعودية التي تزيدني تكريماً وإحتراماً وتسهيلاً لسيري كلما أبرزت الكتاب لهم.

ومما عرفته عنه وشاهدته بأم عيني أنّ عشائر كثيرة عبرت من العراق ونزلت بدياره هاربة من الحرب الإيرانية العراقية. فكان يذبح عشرات الذبائح من كعدان الإبل، وكباش الضأن لتكريم كل فريق ينزل برفحا ثم يوزع على بيوتهم أكياس السكر والشاي والقهوة والتمر والأرز والقهوة، وبعد كل هذا يُنزل رؤساءهم بصحبته إلى البلاط الملكي ولا يخرج إلا وقد عين لهم برنامج غذاء تمويني مع الكسوة ورواتب مالية شهرية، بموجب مرسوم ملكي.

في عام /١٩٧٦/ أصدرنا كتاباً عنوانه (حياة المغفور له دهام الهادي ـ أمير أمراء شمر) الكتاب خاص بحياته وسيرته عليه رحمة الله، وسلامه. وكنا قد ملحناه بأسماء بعض شهام قبيلة شمر من شيوخ وغيرهم، ثم أصدرنا بعده ثلاثة كتب أخرى (عذراء شمر، قومي شمر، حياة البطل الشمري غريب الشلاجي).

نعم كنت أسمع عن ممدوح بن نواف بن شريم، وكنت أعتزُّ بما أسمع عنه من أخبار نافلة، وأفعالٍ جليلة ولكن لم تكن أذني إلا كأذن أي سامع لمديح أي متحدث. وبعد أن قابلت هذا الأمير علمت أنّ مُدّاحه يجيدون حفظ الوفاء والجميل له ولكل طيب لكنهم لا يجيدون من المدح كما يستاهله الأمير ممدوح.

أنا هنا لا أمدح الأمير ممدوح، وكيف أمدح من مدحه الله على لسان خلقه؟ ولكني أمتدحه لوجه التاريخ الذي ستستقبل صفحاته إسمه وأفعاله بكل خير، وشرف، وإعتزاز وإنما أقول للتاريخ الحاضر ولتاريخ المستقبل وأجياله إنّني ندمت على عدم تشريف كتبي الأربعة السابقة باسم الأمير ممدوح.

غير أني وبعد كتابتي لهذا الكتاب أقول للتاريخ وأجياله : إني وجدته أميراً مخلصاً لأسرته، لشمريته، لقبيلته ولوطنه العربي الكبير . ولهذا أختم هذا البحث عنه بقولي :

إنه الشمري الشريف

إنه العبدي الغيور الشّهم

إنه ملفى الضيف والخوي والجار

إنه من يفك الأسير، ويحمي الدخيل، ويقضي حاجة المعسر وأمل الطالب، فرحة المضيوم.

إنه العبدي الضيغمي ... الأمير ممدوح بن الأمير نواف بن شريم.

عشيرة سنجارة

عشيرة سنجارة : هي من ابرز عشائر شمر، واهمها مكانة . يتصف أبناؤها بالشجاعة، والوفاء، والكرم، ومن أهم بسماتها أنها ظلتْ محافظة على لهجتها، وعاداتها وتقاليدها التي خرجت بها من نجد للجزيرتين الفراتيتن بسوريا والعراق وإلى هذا اليوم.

يقول أحمد وصفي زكريا في كتابه (عشائر الشام) :

[عشيرة شمرية كبيرة، طائية الأصل، ومن فريق الحريث [1] من طي خاصة وهذا على الرغم من فقدان الصلة بين العشائر الشمرية الطائية، وبين عشيرة طي المعروفة في زماننا. إلا قليلاً من المصاهرة التي لم تحل دون هذا البعاد العريق، في قدمه. وعشيرة سنجارة هي قريبة عشيرة زوبع في العراق حتى أن نخوتها العامة (زوبع) .

سنجارة تعود بأصلها لزوبع، ونخوة سنجارة الخاصة (جدعة) ومصداق هذا البيت الشعر لغريب الشلاجي من قصيدة طويلة أرسل بها لأمير أمراء شمر المغفور له المرحوم دهام الهادي:

إذخر أهل الجدعا لكظات الأضراس   اليوم يدور به المجفى عن

ويعني بأهل الجدعا قومه سنجارة ـ واسم سنجارة [2] جاء فيما زعموه جدهم الأعلى. ورئيسهم بعد آل (محمد أي آل جربا) هو (الأحدب

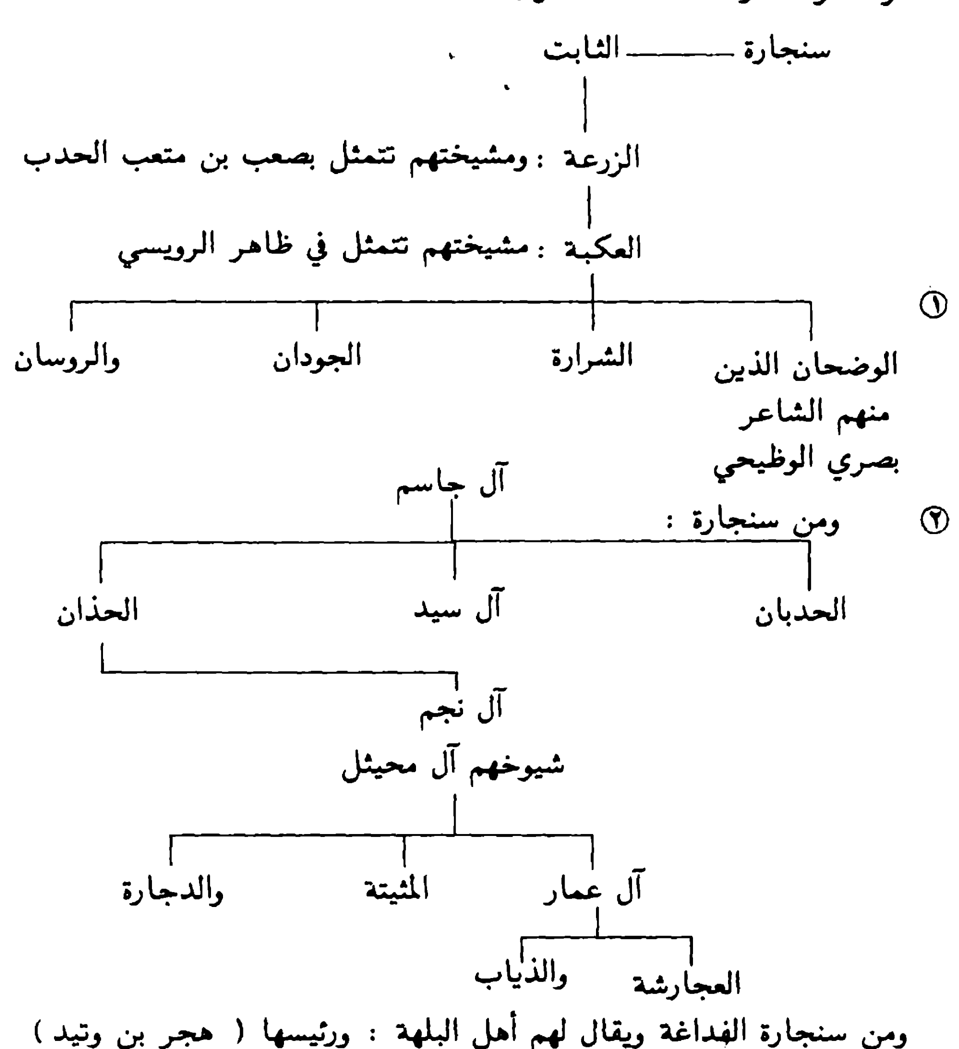
---

(١) لا يوجد بكتب الأنساب اسم حديث إلا إسمين في خط قبيلة طيء فالأول ينتمي والثاني هو حريث بن مرة أخو طيء ومرة وطيء ابنا أدد ومع هذا فسنجارة هو من محمد بن الحارث الذي يلتحم بطيء واسم سنجارة اسم المبالغة كعنترة ولم يكن اسماً كما زعم وصفي زكريا بأنها ربتهم ويقال لهم عيال ظلمة وظلمة أمهم استعرت جحراً قرب حائل تأكل المارة .

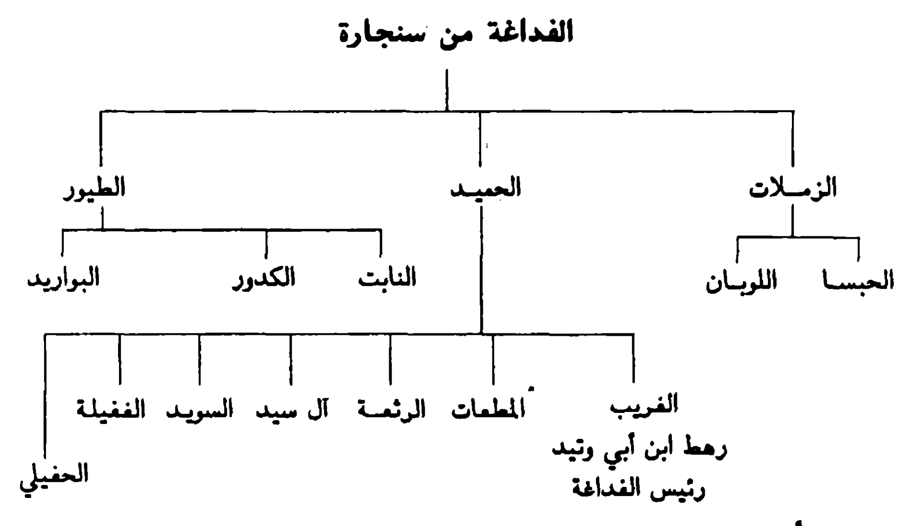
(٢) سنجارة : اسم مبالغة وتفضيل سنجار سنجارة، كبير كبارة، عنتر عنترة ويقال أبناء ظلمه هي أم سنجارة هرمت فاستعرت أي أصبحت كالحيوان وقد وقفت على المغارة التي سكنتها حائل من جهة الغرب يقال إنها كانت تأكل المارة من الناس فسميوا عيال ظلمة .

باللهجة العامية الحدب، وأبرز الحدبان زعماء سنجارة هو المرحوم (دريعي) وهم من أعظم عشائر شمر، بعضهم في نجد، وبعضهم في سوريا والعراق.

وهم في سوريا يعودون لمشيخة آل عمشة من الجربان أمراء شمر سنجارة، تنقسم لفرقتين في الجزيرة والثالثة والرابعة في نجد أما من في جزيرتي سوريا والعراق هما / الثابت والفداغة / . وتوجد فرقة ثالثة بالجزيرة تتأرجح بين الخرصة وسنجارة. أما الثابت بطونها :



ومن سنجارة الفداغة ويقال لهم أهل البلهة : ورئيسها (هجر بن وتيد)

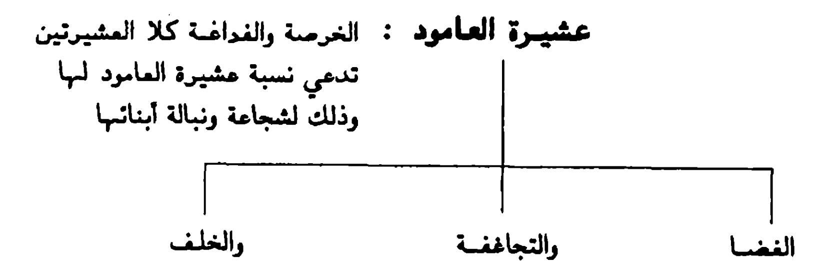


ومن أبرز شيوخ الفداغة :

أ ـ محمد بن أبي وتيد، وهجر بن أبي وتيد

ب ـ خليف وسليمان العبهول من فخذ الكدور

ج ـ عيادة القرطة وجيه قومه من الفداغة



من أشهر شيوخ العامود: هو الشيخ حسن العامود، وهو عارفة مشهور ولكن من المع شيوخ العامود آل هذيل ومنهم الفارس الشمري فايز بن هذيل.

فمن مياه سنجارة قرب مدينة حائل شعب توارن وفيه قبر حاتم الطائي (جنوب أجا من جبل شمر) وفي منطقة الحدود الشمالية: الهبكة، الهبيكة، الرقعا، الروض، ولوقة.



المغفور له الشيخ مشل باشا الفارس

يبدو في هذه الصورة على اليسار بينما يبدو بجانبه أخاه المرحوم مسلط الفارس

المغفور له المرحوم

الشيخ مشل باشا فارس الجرباء

هو الشيخ مشل باشا بن فارس بن صفوك بن فارس بن الحميدي الجرباء، رحمهم الله جميعاً برحمته التي وسعت كل شيء .

حقاً إنني أحتار من أين أتناول تقييم الشيخ المغفور له الشيخ المرحوم مشل باشا فارس الجرباء. وبمثل هذا العظيم تحتار آلاف الأقلام، وحملتها عندما أريد أن أقييم شخصيته، أحتاج لمساعدة أكثر من زميل من زملائي الكتاب وعندما يتناول كل كاتب جانباً من سيرته. قد نكون أوفينا بشيء من القصد والغاية.

ولهذا لا أخال إخواني القراء إلا أن يكونوا أول من ألتمسهم العذر إن وجدوني قد قصّرت بالإلمام بحياة أمير كان مدرسة للأمراء وبدوياً إعتزت به البادية، وبدوها حيّاً وبكاه البدو، وناحته البادية راحلاً. وليس بكثير إنه الشيخ مشل باشا الفارس الجرباء رحمه الله.

وجلّ ما أريد أن أسجله للتاريخ، والأجيال حول هذه الشخصية التاريخية، أقول، وأعترف مسبقاً بأني سأظلّ ومقصراً بحقه رحمه الله تعالى، ألا أنني أقول: إنه ولد في البادية في بيت الشعر بيت الشرف والعزّ . نعم إنه بسط يديه على ديرة واسعة له منها عدة قرى. ألا أن شمر بشكل عام بقيت حتى عام ١٩٥٠ م مستمسكة ببيت الشعر ومع هذا فقد اتخذ لنفسه مقراً شبه دائم هو تل هذلول ـ محافظة الحسكة ـ وتل هذلول ظلّ وما زال هو عاصمة عشيرته

(شمر الزور) أو سنجارة . مثلما اتخذ ابن عمه أمير أمراء شمر المغفور له والدنا الكبير المرحوم دهام الهادي رحمه الله عاصمة للحمته الخاصة عشيرة الخرصة (تل علو) مقرّاً دائماً ومثلما اتخذ ابن عمهما المغفور له المرحوم الأمير عجيل العبد العزيز الفرحان مقراً دائماً له ولمن معه من شمر قرية (المومي) لواء الموصل بالعراق.

الأمير مشل الفارس عليه رحمة الله ظلّ مستمسكاً بيداوته بكل قوة، رغم إدراكه أنّ من يريد أن يمتلك الأرض ما عليه إلا أن يبني بناءً ثابتاً (دار) سواء كانت من طين، أو من حجر، أو بيتون.

ولكنه عاش، ومات رحمه الله وهو مؤمن أنّ العزّ في بيت الشعر، وأنّ الكرامة في بيت الشعر وأن عليه أن يكون آخر شمري من أتباعه يفكر ببناء الدار وهجر بيت الشّعر.

المغفور له الشيخ، مشل الفارس تأمّر في قسم من شمر القحطانية (سنجارة). وسكن قرب مدينة الحسكة فما الذي أبعده عن أبناء عمومته العواصي، والدرة الذين سكنوا على رقعة واحدة من الأرض في سوريا والعراق عشائر أمير أمراء شمّر المغفور له المرحوم والدنا الكبير دهام الهادي رحمه الله على آخر حدود سوريا من الشرق وناحيتهم (اليعربية)، وعشيرة المغفور له المرحوم الأمير عجيل العبد العزيز إمتدادٌ لهم في آخر الحدود العراقية الغربية ناحية (ربيعة) في لواء الموصل . كما أنّ شمر الزور تفصلهم عن أقاربهم بالنسبة للشرق قبيلة طيء.

السبب هو أن هذا الانعزال كان منذ عهد المغفور له والده الأمير الشهم فارس بن صفوك رحمه الله.

فعندما، شنق الأتراك الأمير العربي الشمري عبد الكريم بن صفوك رحمه الله، تلقّى أمير شمر أخوه فرحان بن صفوك وسام الباشوية، وفرحان هو الذي مكث في استنبول مدة ثماني سنوات كرهينة ساء الأمير فارس والد مشل قبول أخيه فرحان ذاك الوسام من قتلةِ أخيه عبد الكريم واستكانته لفلاحة وزراعة الشرقاط، فانعزل عن أخيه فرحان مغاضباً، وسكن شاطىء نهر الخابور وراء تل الفدغمي وبسط يديه على ديرة، واسعة امتدت الى شمال مدينة الحسكة وتأمّر على شمر سنجارة التي رأت فيه الوفاء، والاحترام، كما تحلى هو رحمه الله بحسن الإمارة، والعز، والمجد، وهكذا استقر الأمير فارس بن صفوك بعشيرته سنجارة في شاطىء الخابور إلى أن ترك إمارة شمر سنجارة لولده الأمير مشل الفارس رحمه الله.

عندما دخل الاستعمار الفرنسي سوريا عام /١٩٢٠م/ وأخذ يبذر بذور فساده بالفرقة، والتمزق على مبدأ فرق تسد قسم القبائل ومن جملة هذه القبائل قبيلة شمر فسمي من في الخابور شمر الزور أي شمر التابعون لإدارة مدينة دير الزور، واختصاراً سموهم شمر الزور، وهناك شمر الخرصة.

لكن الأصالة العربية ظلت تفوح من شمر قبيلة واحدة موحدة أكبر من أن يفلح المستعمر والدخيل بتقسيمها وتمزيقها. كما أنّ هذه العائلة آل جرباء ظلوا أسرة واحدة، بخلاف أي أسرة بدوية من قوانينها أن الحفيد الذي يعدوا الظهر الخامس يخرج عن نطاق أسرته التي هي الظهر الخامس باعتبار أن العصا في اليد تمسكها أصابع اليد الخمسة فاذا فتحت تسقط العصا.

إلا عائلة آل جرباء فلا ظهرٌ يحدها، ولا قريب يتخلى عن قريبه ولو بين القريبين عشرون ظهراً. عائلة متماسكة كالبنيان المرصوص، وهي المحور الذي تدور حوله قبيلة شمر بكل الاتجاهات إذ لا توجد قبيلة محكومة لأسرة واحدة

إلا هذه القبيلة ـ شمر ـ التي تدين بالولاء لهذه الأسرة ـ آل جرباء ـ منذ مئات السنين.

ولما لمست الدولة التركية قوة شكيمته، وجانبه المرهوب وخطورة عدم إرضاء عشيرته شمر، سارعت ومنحته لقب باشا فكان (مشل باشا الجرباء) ولكنه أُعْتُبِرَ هذا اللقب مغنماً وحقّاً مكتسباً ولو من عدو آبائه وأجداده وقوميته، وليس هذا بكثير أو جديدٍ عليه فالباشوية ورثها عن جده فرحان باشا وأكبر من لقب الباشوية كان جدُّه صفوك بن فارس بن الحميدي الذي لُقّب باسم (سلطان البر) وهو لقبٌ لم يحزه قبله من وضع العقال على رأسه، وعاش تحت بيت الشعر.

تقبل هذا اللقب (باشا) على مبدأ خذ، وطالب . فقد كان مشل باشا رحمه الله أحد دهاة العرب.

فكان رده على المستعمر التركي أنه الأمير الهاشمي العربي الذي يعجز العدو عن إخراجه عن قومه وقوميته فقد احتفظ بلقب باشا باعتراف شعبه السوري، بل وباعتراف، ودعم قومه شمر سواء أبقت الدولة التركية له هذا اللقب، ووسامه، أو حاولوا أن يسحبوه، لقد أصبح لقبه كباشا ممنوحاً من قومه رغم أنف الأتراك الذين أيقنوا أنّ الحرّ أقوى من أن تصطاده شراكهم.

وأنّ اللّيث أقوى من أن تقيده قيودهم فشنوا عليه الحرب بلواءٍ مسلح من قوات الجيش التركي.

كان آنذاك نازلاً بعربه على مرمى مدافعهم، وأطوابهم. كان نازلاً (بتل فارسوك) جنوب شرق مدينة القامشلي بخمسة وثلاثين كيلو متراً وتصدّى لهم بروح العربي الذي يفتدي تراب وطنه بالولد، والمال، والروح.

ثبت ضدهم، وعلى الرغم من أنّ المعركة لم تكن متكافئة لعدة أسباب :

- أنّ الجيش التركي كان عسكراً مدرباً مسلحاً بأسلحة حديثه وجيشاً كثيراً ومدرباً على وسائل القتال، وهجومه كان مفاجئاً.

- مشل باشا لم يكن حوله من عشيرته المتباعدة المنازل سوى عربه الخواص به، وكانوا قلةً، وأسلحتهم النارية قليلة، والأقل منها ذخيرتها

وهكذا استطاع المستعمر التركي المتقنع بقناع الإسلام زيفاً وكذباً أن يهيل على بيت المغفور له المرحوم الأمير مشل باشا عدة قذائف بواسطة أطوابهم فأحرقوا بيته واستشهد داخل البيت بطلٌ دافع عنه وهو أحد العبيد الأبطال وهو (طلب السالم).

وعندما دخل المستعمر الفرنسي سوريا، كان مشل باشا الفارس أميراً بحقٍّ، وحقيقة. بل كان داهية الصحراء فعلاً. فقد راح يتصدّى لقتالهم كأحسن ما يتصدى الوطني الغيور، ويجلس لمفاوضتهم ليفهمهم حقيقة أطماعهم وعدم شرعية وجودهم على أرض وطنه من فمين : من فم البندقية الثورية التحررية من جهة ، ومن فم العاقل الداهية الذي أثبت للمستعمر أن في العرب بل في البادية رجالاً يحسنون إستعمال العقل كسلاح فتاك عن طريق الحوار .

حاول الفرنسيون قتل الشيخ مشل باشا، فعجزوا لأنهم أدركوا أن كلّ شمري في عشيرته هو مشل باشا وأن يقتلوا العشيرة كلها فهذا ما لم يحلموا باستطاعته أبداً، فانتخب بالتزكية نائباً عن شمر الزور بعام /١٩٢٨ م/ ودخل البرلمان السوري.

له مواقف رجولية وبطولية خالدة، منها أنه كان يتشح بمسدسه دائماً، وعندما حاول أن يدخل البرلمان السوري لأول مرة ومسدسه على جنبه، أبلغه

رجال أمن البرلمان أنه ملزمٌ بدخول البرلمان بدون مسدس فرفض وعبثاً حاولوا، هم وضباطهم، وإداريوا البرلمان ولكن هيهات لمثل ذلك البطل أن ينصاع لأوامر مستعمرين دخلاء يريدون إخضاعه على أرض وطنه مما إضطرّ وزارة الداخلية أنذاك أن تصدر قراراً عن رئاسة مجلس الوزراء بالسماح لمشل باشا الجرباء بحضوره جلسات البرلمان كنائب، ومسدسه على جنبه دائماً.

ولم تدم الحالة المضطربة بينه وبين الفرنسيين، كان الشيخ مشل باشا رحمه الله أكثر من واعٍ، ونوعية كان يدرك أن الأفاعي لا تمنح الناس شهداً، أو أنّ المستعمرين ملّة واحدة فاضطر للرحيل إلى العراق.

لكن المغفور له المرحوم الأمير عجيل العبد العزيز اقترح عليه بل وأقنعه بالعودة إلى دياره بسوريا، فعاد واتخذ لنفسه موقع (تل هذلول) مقرّاً لشمر الزور (سنجارة) ونال شرف نضاله، وكفاحه بأنه عاش حتى كان هو من أوائل من احتفل بعيد الجلاء السوري في ١٧/ نيسان/ ١٩٤٦/ جلاء المستعمر الفرنسي عن سوريا الحبيبة.

توفي رحمه الله بعام /١٩٤٨ م/ مخلفاً من الأنجال كل من الشيوخ التالية أسماؤهم : تركي ، نايف ، النوري ، عبد العزيز ، سعد ، محمد .

لا أقول إن شمر خسرت بموته عليه رحمة الله أميراً جمع في شخصيته سمات أهله الذين سبقوه بالامارة والباشوية ومكارم البدو، وشهامة العرب. بل جُلّ ما أختتم به هذا البحث أقول رحمه الله (ومن خلف ما مات).

المغفور له المرحوم

الأمير ميزر عبد المحسن عبد الكريم

آل جرباء

أمير شمر الزور (سنجارة)



الأمير ميزر عبد المحسن عبد الكريم آل جرباء عليه رحمة الله وغفرانه، وهو أمير عشيرة سنجارة الشمرية في سورية فقط، وهي المسماة بـ (شمر الزور). إذ كانت تابعة بشؤونها الحكومية لمحافظة دير الزور، وهذه بعض التقسيمات الاستعمارية التي أوجدها المستعمر الفرنسي أثناء احتلاله لسوريا.

ولد رحمه الله بعام /١٩٠٥/، وناداه الرفيق الأعلى الحيُّ الذي يميت، ولا يموت سبحانه، وتعالى بعام ١٩٧٧م.

اشتهر بجمال وعظمة الكثير من أعماله، وأفعاله رحمه الله. ولكنه كان حديث الناس بجمال وجهه، وكان مضرب المثل بجماله، ويمكن للقارىء الكريم أن يتمعن في الصورة السابقة، ويدرك ذاك الجمال.

أمّا من ينظر لعينيه ـ رحمه الله ـ سيدرك نظرات الذكاء، والدهاء بعينيه، والعزم بذراعيه، والحزم في إرادته، وقراراته.

وليست هي هذه كل صفاته، أو أوصافه رحمه الله. فقد عرف عن المغفور له المرحوم الأمير ميزر عبد المحسن آل جرباء أن له من الصفات العالية بالكرم، بالشجاعة، بالنخوة، مثل ما لسائر أبناء عمومته (العمشات، أو الجزعة، أو الدرة) وهؤلاء أبناء عمومته وذرية فرحان باشا. كلهم أسدٌ وأشبال أبناء عرين واحد، يخطىء من يفضل منهم واحداً على الآخر إلا من أكرم بمواقف مفاجئة، وطارئة، فوفق بالنجاح بها، فخلدت بفعله وسجلت باسمه. وأشهر من أكرمه الله بالنجاح بالمواقف المشرفة الطارئة من سائر ذريّة فرحان باشا هو / المغفور له المرحوم أمير أمراء شمر، والدنا الكبير دهام الهادي / .

أما صاحب التقييم المغفور له المرحوم الأمير ميزر عبد المحسن فقد اشتهر بالدبلوماسية الهادئة . كانت ضرباته بعقله لا تقل عن ضرباته بيده ، كان محطّ

اعجاب كبار الساسة والدبلوماسيين السوريين بعقله، وحكمته، وقراراته ، كان شمرياً ساطعاً بنعرته ونخوته كما كان عربياً لامعاً بوطنيته وحبه لبلده سورية.

كان نائباً لعشيرة شمر الزور منذ العهد الفرنسي، وحتى نهاية عهد شكري بيك القوتلي رحمه الله بعام /١٩٥٨م/ موعد قيام الوحدة بين سوريا، ومصر، ما عدا دورة واحدة أصبح النائب فيها هو ابن عمه المغفور له الأمير المرحوم حميد عبد الكريم نائباً عن شمر الزور إذ أنه أصبح بتلك الدورة بعهد الوحدة أخوه عجيل عبد الكريم آل جرباء نائباً عن عشيرة شمر الزور لكن بعد زوال الوحدة، وعودة سوريا لاستقلالها عاد نائباً عن عشيرته في المجلس السوري وكانت آخر دورة نيابية يمثل فيها عشيرته إلى أن ارتضاه الله عز وجل لجواره الكريم.

خلف من الأبناء كلاً من: (عنتر، فواز، عبد العزيز، محمد، خليل، عبد المحسن، عبد الرحمن، النوري).

من أبرز صفاته رحمه الله :

كان رحمه الله، دائم الابتسامة، محباً للنكتة، متعشقاً لأخبار البادية، وسير البدو، ومآثرهم، ووقائعهم، وعاداتهم وتقاليدهم، وهو البدوي الذي عنه وعن أهله تؤخذ كرائم العادات، والتقاليد، حافظاً لأشعار البادية، عميق الإدراك، محلّل فكريّ من الطراز الأول، لكنّه كان مشهوراً أيضاً بسرعة الرد الحاذق اللاذع، والاجابة الفورية الصريحة غير هيّاب، ولا عيّاب.

وأشهر ما اشتهر به عليه ـ رحمة الله ـ وهو ما كان يُحسدُ عليه أنه كان محباً للسلم، والجمعة وإدامة القرابة، وتثبيت الإخاء. فكلما يسمع أن خلافاً حدث بين طرفين من أبناء عمه سواءاً العواصي ـ الجزعات ـ بسوريا، أو شيوخ

العراق ـ الفيصل ـ الياور أو الفيصل أو الشلال ويقال لهؤلاء (الدرة). أسرع، وأصلح بين الطرفين، وجمعهما كأخوين كتفاً إلى كتف دافناً نوايا، ومخططات المفسدين، والمفتنين تحت قدميه.

امتلك منزلاً في أبي رمانة بدمشق وابتنى (فيلا) في مدينة (قرنايل) بلبنان.

عاش المغفور له، المرحوم الأمير، ميزر عبد المحسن العبد الكريم الجرباء أميراً عزيزاً، ومات أميراً عزيزاً فإلى جنة الخلد يا شهم الأمراء .

الشيخ حميد العبد الكريم الجرباء
رحمه الله



هو: حميد بن عبد الكريم، من أبرز شيوخ شمر الزور بمحافظة الجزيرة (الحسكة) بسوريا، ومن أحب أبناء عمه شيوخ شمر بالنسبة للمجتمع الشمري بل وسائر مجتمعات قبائل وعشائر سوريا والعراق، قريته (نورك) بمحافظة الحسكة . إنتقل إلى رحمته تعالى بتاريخ /١٩٨٥ م/ .

دخل مجلس الشعب أثناء قيام وحدة سوريا مع مصر الجمهورية العربية المتحدة، وكذلك نائباً في البرلمان السوري بعهد الانفصال.

كان أيضاً ينجح بالتزكية نظراً لمحبة الناس له شمر التي يمثلها (شمر الزور) شمر عامة، سكان الجزيرة بكل مدنها، الحسكة، القامشلي، رأس العين، الدرباسية ، ... الخ.

به هدوءٍ ملحوظ وفيه بأس شديد، بعيد النظر، مدرك لواجبات الدنيا ومجريات الحياة، محباً لأهله وأقاربه يتودد لأبناء عمومته، وكان الذراع الأيمن لإبن عمه المغفور له المرحوم الشيخ ميزر عبد المحسن نائب شمر الزور الأول.

عرف عنه الكرم والحلم، وحب الوطن، وكان مواطناً صالحاً يعين السلطة الحاكمة على تطبيق وتنفيذ القوانين المحلية. خدم عشيرته شمر الزور وخدم كذلك قبيلته شمر بشكل عام.

مضافة منزله بمدينة الحسكة مفتحة الأبواب تهلي وترحب بالضيوف والزوار بليلٍ وبنهار.

إمتلك عدة قرى ولكنه احتفظ بما أقره له قانون الاصلاح الزراعي ولا غير. به أنفة وترفع إنه مثال الشيخ الشريف العفيف الذي يعرف نفسه ـ رحمه الله ـ ممن ينحدر؟ ولمن ينتمى؟ ويعرف نفسه من هو؟ لقد كان الشيخ حميد عبد الكريم أبو فواز . و (بفواز كان يكنىّ) رحمهما الله.

خلف رحمه الله من الأبناء كل من الشيوخ التالية أسمائهم :

ـ المغفور له فواز رحمه الله: فقد شبّ شبةً ملفتة للأنظار شجاعة، وكرم، إحترام للناس، صدق، عندما إرتضاه الله لجواره الكريم حزن عليه كل من يعرفه لقد خسر آل عبد الكريم خاصة وآل جرباء عامة علماً من أعلامها.

- لورنس : ويتمتع بذاكرة شعرية قوية ترغم الآذان لسماع واحترام أدبه النبطي المؤثر .

- محمد .

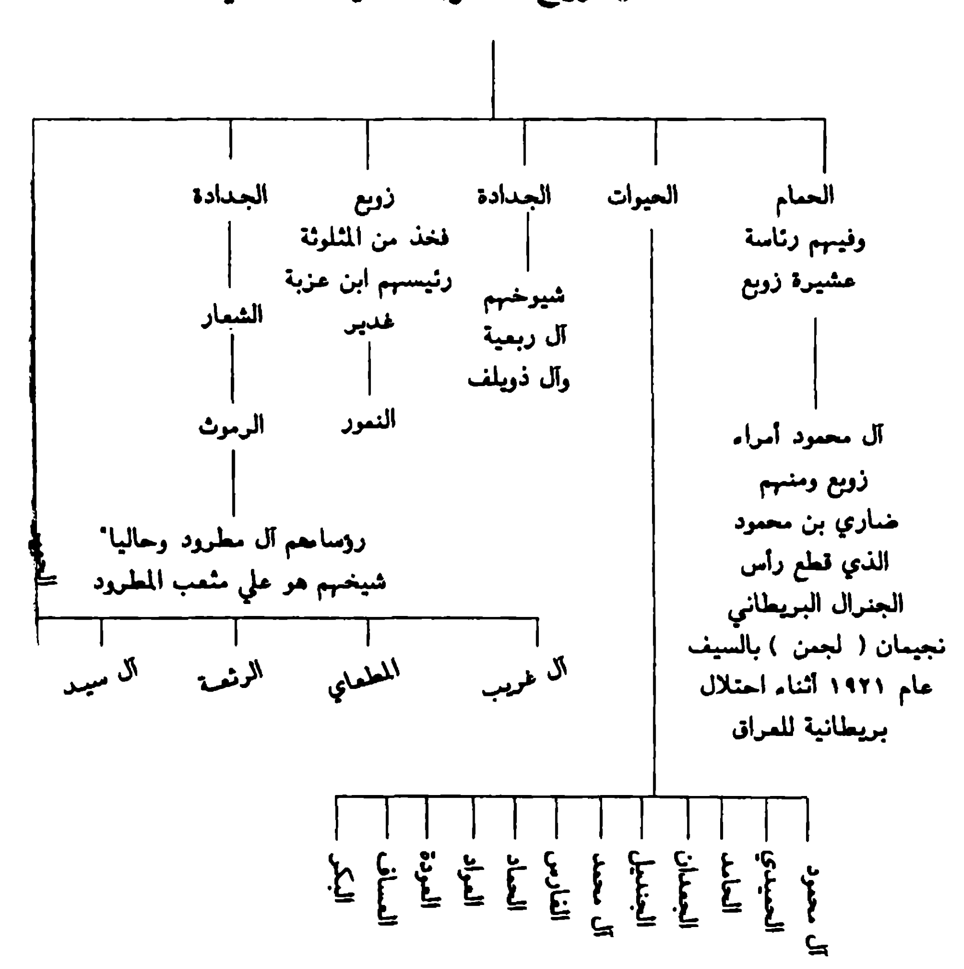
- عبد الكريم .

- صلاح .

رحل الشيخ حميد ورحلت معه الفضائل والجمائل وقد كان أهلاً لها رحمه الله وأطال أعمار عقباه.

عشيرة زوبع الشمرية
الطائية القحطانية

عشيرة زوبع الشمرية الطائية القحطانية



عشيرة زوبع أرومة أبوية إليها تنتمي كل عشائر شمر الطائية القحطانية واسمها منخاة لكل قبائل الطائية القحطانية.

مساكنها في سوريا قرب مدينة اليعربية بالحدود الشرقية السورية، وقسمهم الآخر يقابلهم بالسكن في قرية تل سمير بلواء الموصل بالعراق.

أما بيت الرئاسة والأمارة فانهم يسكنون عاصمة زوبع (أبو غريب) غرب بغداد بعشرين كيلو متراً طريق بغداد الفلوجة.

القسم الذي يسكن سوريا هم (المثلوثة) وهم أربعة أقسام : (الجدادة ـ الربعية ـ الرموث ـ ورابعهم فخذ الحمير) . ولهذه العشيرة أهم مزايا العروبة من قحطانها وعدنانها :

- شجاعة
- كرم
- حَمِيّة
- نخوة
- محافظة على الأعراض، والقيم، والشيم العربية (الزوبعية)

وفيهم ما يصدق قول المتنبي :

وشباناً يرون الحرب مجداً وشيباً بالحروب مجربينا

من أبرز شجعانها حواس بن فيحان أبو حبيس. والمرحوم : عايد بن سويحل الزوبعي، الملقب بأبي الشايب .

- عشيرة زوبع لها مواقف قومية وطنية أثبتت أصالتها وعروبتها مثل تصديها للمستعمر الإنكليزي بالعراق بثورة العشرين .

- مواقف زوبع بثورة عبد الوهاب الشواف التحررية ضد حكم طاغية العراق عبد الكريم قاسم عام /١٩٦١م/ .

- مواقف زوبع بمعركة الخنيسي التي جرت بين شمر وعشيرة البومتيوت ومن تعاطف معها.

- مواقف زوبع وخاصة المثلوثة من زوبع بمعركة السجلة التي حدثت بين شمر وطيء بعام /١٩٤٩م/ على الرغم من قحطانيتها زوبع بكل أفخاذها وفروعها التي أهمها المثلوثة تمثل الشجاعة العربية الأصيلة والكرم القحطاني الطائي الحاتمي.

أبناء عشيرة زوبع بهم أنفة وسرعة غضب وشهامة وانتصاراً لمن التجأ لهم. جارهم عزيز ، وعدوهم مكاد .

وبالتالي فالمثلوثة زوبع وزوبع شمر بكل ما للشمري من صفات حميدة ومكارم عربية خالدة.

عشيرة الأسلم

عشيرة الأسلم

الأسلم : ومشيختهم محصورة في بيت آل حسان

النبيجان : وشيخهم ذياب بن حسان

ولكن شيخ الصايح والأسلم هو الصدايد .

- المسعود في السدة الهندية قضاء كربلاء الطاهرة بالعراق
  وهم شيعة شيخهم عبد المنعم الفواز وعبد الواحد السمرمد
- الوهب (شيخهم ، محمد بن ضاري بن طوالة) والوهب قرب مدينة حلب ، شيخهم عواد بن عمالة .
- الجحيش ، وهم غير الجحيش الزبيديين شيخهم (خلف بن دليان)
- البعير (شيخهم حواس بن سراي)
- اللهيب أصلهم جبور وهم ملحقون بالأسلم
- الخدلة
- الجباريت
- الهدر
- اللحالحة

عشيرة الأسلم : عشيرة شمرية، طائية، قحطانية الأصل والنسب، يذكر أحمد وصفي زكريا في كتابه (عشائر الشام) ص/٦٢٤/ أنّ الجدين الطائيين بهيج وسنبس ينتميان إليها وهذا غير صحيح، فأسلم هو بن أحمس بن الغوث الذي ينتهي إلى أنمار بن آراش بن عمرو بن الغوث بن نبت وهو جد مرجع، ومبدأ ومن شاء فليرجع إلى كتاب سبائك الذهب في معرفة أنساب العرب للسويدي البغدادي ففيه الخبر اليقين. وفيمايلي أهم تقسيمات عشيرة الأسلم وعن أحمد وصفي زكريا ننقل ما قد نجده صحيحاً بعد بذل جهودنا يالتحقيق والتدقيق نقلاً عن كتاب أحمد وصفي زكريا (عشائر الشام) ص/٦٢٤/ والأسلم يعودون لأربعة فنايد :

١) ـ المعاقيد ٢) ـ النفقا ٣) ـ المناصير ٤) ـ آل شلهوب

ومن قبيلة أسلم الشمرية القحطانية : عشيرة المناصير :

١ـ البومنذر : ومن هؤلاء (آل مانع) أميرهم مبارك بن كران. ومن شيوخهم محمد بن حوفان .

٢ـ الحويسات .

٣ـ المراشيد : ينقسمون إلى :

١ـ آل حمد

٢ـ آل مرشود

٣ـ آل أصلي.

٤ـ الحديلات.

٥ـ القصيلات.

٦- المطاوعة.

٧- الشعابنة.

٨- المداهمة.

٩- الكعابرة.

١٠- آل سيف.

١١- المعاوسة.

١٢- الحمادة.

١٣- الواحيت.

١٤- آل علي بن صالح.

١٥- آل عبيد.

١٦- الحرامشة.

١٧- الربابعة.

١٨- المصانعة.

١٩- الحواليل.

٢٠- النوافع.

٢١- البورحمة.

٢٢- آل تعيب (منهم ناصر بن سعيد، وغدير بن سعيد شيوخ البورحمة والشيخ الأكبر سعيد بن مبارك) .

٢٣- آل وبران .

٢٤- آل سالمين (من شيوخ المناصير وهم عبيد بن راشد، وابناء محمد مبارك، شيبان، سيف).

٢٥- آل عضيد .

٢٦- آل عفيصان : (٢٥ - ٢٦) تابعين للسالمين .

٢٧- آل بلخيل : ومشيخة عموم آل بلخيل محصورة في آل سهيل الشيخ الرئيسي هو حمد بن سهيل والشيخ اللواء حمد « قلعة للشجاعة، بحر للجود، أفق للإيمان، منبع للصدق والتواضع والحلم والنخوة والمروءة، وأقسم بالله إن هذه هي صفاته المعروف بها» وأخيه عويضة حمد يحمل رتبة لواء وهو كبير المرافقين العسكريين لرئيس دولة الامارات العربية المتحدة سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حفظه الله كما أن الشيخ حمد هو خال الشيخ جوعان بن زايد بن سلطان آل نهيان الشيخ حمد بن سهيل رجلٍ تعجز معظم الرجال أن تفعل ما فعله من طيب. ومنهم :

١) آل عفيصان

٢) آل حواش

٣) القطاري

٤) القديمات

٥) آل جابر

٦) الشلا

٧) آل مرخان

٨) المسافرة أو الكلائمة

٩) آل مسبت

١٠) آل جروان

١١) آل هزيم.

٢٨- ال عصيان .

٢٩- الدلاوية.

٣٠- الشحيمات.

٣١- آل تريس .

٣٢- آل طريف.

٣٣- الطوارف.

٣٤- العواصي.

٣٥- المداعية.

٣٦- المخازمة.

٣٧- الشتاونة.

٣٨- الرجالات: ومنهم آل عمهج.

٣٩- العتيبات.

٤٠- القضاضمة.

٤١- آل الحمندي.

٤٢- المداعرة.

٤٣- آل بلصيد.

٤٤- آل عقيدة.

٤٥- آل الصميم.

٤٦- آل غنيمة.

٤٧- آل مطر بن راية.

٤٨- آل بلشعر : ويرأسونهم آل زيتون وسعيد بن هاشل رحمه الله وحالياً أخوه محمد بن هاشل أبو عيسى .

٤٩ـ آل غوينم الزهري : ويلحق بهم : ـ آل جربو ـ آل زيتون ـ آل نشيوه آل ونيس ـ آل علي ـ آل سالمين بن ذباحة ـ آل جافور ـ آل نهيل .

٥٠ـ تويبت ويلحق بهم : ـ آل حية ـ الحتارشة ـ آل المر ـ المثانة ـ آل الزحاف (الزحاحفة) ـ آل طويلب ـ آل مطر ـ آل الشعفوري .

٥١ـ آل شعفوري يلحق بهم : ـ آل رشيد ـ آل حليمان ـ آل عذبة ـ آل مبارك ـ المساندة .

٥٢ـ الشدود، النسبة اليهم (شدي) ويلحق بهم كل من: ـ آل سيف العبد ـ آل حسين ـ آل بلشاعر ـ آل مرزوك (الشدود) ـ آل القطيري . ويرأس جميع الشدود خميس الشدي .

٥٣ـ آل مفلح (المفالحة) : ويلحق بهم كل من : ـ آل الأعرج ـ الجميدات ـ آل صياح ومن منازلهم : الظفرة، والسنجة، وشمال المجن وآبار العقل وكلها بأطراف قطر، ففي دولة الامارات يسكن الشيوخ آل سويد وفي غياثي يسكن المانع (الكران)، ويتواجدون في ليوا (مزيرعة) وفي أبي ظبي ومدن بني ياس، والخزنة، ومدينة العين. وفي المملكة العربية السعودية ودولة قطر يتواجدون في منابع مياههم، مثل: السلع حدود دولة الامارات غرباً من حدود دولة قطر شرقاً. بعجاء، المنبعج، عقلة النخلة، بكلري، بيوض، بوهارون، راية، مشاش، جابر، رغوان، حليوين، بو محارة، مقيطع، عقلة معطش، عقلة الرمث، عقلة سوداء نثيل، عقلة حايز، عقلة المناصير، عقلة فرهود (أم قرن)، الخفوس، مشاش المطوع، عقلة زويد، عقلة عامرة، عقلة شقراء، عقلة زرقاء الأزيرق، عقلة المرخية، وكل ما تقدم في حدود قطر.

للعلم والتنبيه أن بحث عشيرة المناصير السابق منقول كاملاً من معجم قبائل شبه الجزيرة العربية للشيخ حمد الجاسر والمناصير هم من الأسلم من شمر ومن بلادهم داخل المملكة العربية السعودية بمنطقة حائل في جبل شمر كل من : ركّ، سبيعة، والسليل. ينتمون للغرير من الأسلم من شمر القحطانية ومنهم :

- الحمران .
- العياف .
- الزوابعة .

وأما مناصير قطر : فشيخهم سيف بن حمدان بن معسف المنصوري.

وللإنصاف أذكر وبعد أن خبرت. أن الشيخ سيف بن حمدان وولداه المكرمان حمدان ومبارك خميس هما من خيار جماعتهم. ولطيب أفعالهم اعتبروا هم شيوخ عشيرة المناصير بقطر .

ولقد رويت لي القصة التالية عن الشيخ سيف : نشأ يتيماً معسراً لكنه كريم نفس وكف. كان يعيل أماً له عجوز ولا يملك سوى ثلاثة مواعز. جاءه ضيف فذبح له واحدة. وجاءه ضيف فذبح الثانية وجاءه ضيف فذبح الثالثة وجلس لا يملك إلا رحمة الله. لكن الله موجود لأهل الجور ولغيرهم. التحق بشركة إستخراج البترول القطرية فأصبح له راتب واستمر يجاهد في سبيل لقمة أبناءه إلى أن تمكن من شراء سيارة بيك آب يعمل عليها "يكد عليها كما يقال" . وفي ذات يوم يفرغ حملاً لأحد التجار ويذهب إلى شجرة غافٍ بالصحراء

ليستقيل بظلها عصراً. وعندما إستفاق وجد أن صاحب الحمل قد أُسقطت من جيبه محفظة تحتوي على آلاف الريلات القطرية. كانت أجرة نقل الحمل أنذاك خمسة عشر ريالاً.

وكان الشيخ سيف بن مبارك بأشد الحاجه للريال الواحد، لكن أبت عليه إسلاميته ونخوته وشهامته أن يدنس شرفه بها وإن كانت الريالات بالآلاف فعاد للتاجر بهن، لقد وجد التاجر بحزن وعزاء وبكاء. وما أن بشر التاجر بما فقد حتى هبَّ التاجر يقبل رأسه ويديه. وحمل منهن مبلغاً مرقوماً وقدمه للشيخ سيف بن مبارك كجائزة ومكافئة.

غير إن الشيخ سيف أجابه قائلاً. لا، تسلم، إما ناموس أو فلوس لو كنت أفكر بالفلوس لما جئتك بها ....

عشيرة الصايح
ومشيختها بيت الصديد

عشيرة الصايح وتقسم إلى قسمين :

١ ـ الصبحي : شيخهم حواس الصديد وأصلاً هو من شجرة الجرباء ولكنهم إفترقوا من نجد منذ أزمان بعيدة وإكتفوا بلقبهم الذي إشتهروا به الصيدات جمع صديد، نتيجة حروب دامت حتى عام ١٩٦٥ م. ومع هذا فالشيخ حواس الصديد مشهور بمواقفه المشرفة العشائرية والوطنية والعربية .

٢ ـ التومان : أصغر عشائر الصايح الشمرية الطائية القحطانية، وربما هي أشد عشائر شمر مراساً، وضراوة، ونخوة شمرية. التومان بهم شراسة وسرعة إقدام أسلحتهم دامية، ومكارمهم مشهورة، وخالدة. شيخهم المرحوم مشل التمياط أبو زكام. وأبرز زعمائهم حالياً فهد أحمد التمياط ويحمل لقب أمير، يكنى بأبي بندر مناضل شمّري بأنفه فوح حميه، وصوانيه تفيض جوداً ، وكرماً، سريع الغضب، سريع الصفح والعطف، به عزة نفس،وطموح قحطاني. عاصمة التومان بنجد هجرة "طلعة التمياط".

ولكن النسابة حمد الجاسر صاحب معجم قبائل الجزيرة العربية يضم (التومان) لقبيلة سنجارة ويذكر أفخادهم في الصفحة /٣١٢/ كمايلي :

١ ـ النمصان .

٢ ـ البوسعد .

٣ ـ الشيحة .

٤ـ الثنيان .

٥ ـ الرخيص .

٦ ـ النبهان .

٧ ـ السلمان .

٨ ـ العفاريت .

٩ ـ الضو .

١٠ ـ الخمسان .

١١ ـ اللواحق .

١٢ ـ آل سهيل .

١٣ ـ الذرفان .

وعلى أساس التقسيم السابق نقول: إنّ عشيرة الصايح هي أصلاً من الأسلم، لأنّنا لم نجد في كتب الأنساب (صائحاً) كجد، بل إنّ الجدّ الذي إقتفينا خطه هو (أسلم بن أحمس بن الغوث ومنه الصايح، ولم يكن هناك من عشيرة اسمها الصائح) .

لقد جاءتهم هذه التسمية منذ أن انقسمت عائلة الجرباء في نجد على نفسها، وخرج منها واحدٌ يطالب بالإمارة ، فتبعه قوم من عشيرة الأسلم، وتصايح الفريقان، فسميٌ فريق من انشقّ باسم (الصايح)، وذاك المنشق هو الصديد، والذي اكتفى بتسمية عائلته باسم الصديد.

والبدو يجمعون هذا الاسم باسم (الصيدات) كما نُلفت النظر إلى أنّ بعض الصايح لا يقرون أن ابن حسّان حالياً هو شيخ عموم الأسلم بالعراق، بل شيخ عموم الأسلم هو بن طوالة، وشيخ الأسلم والصايح هو الشيخ حوّاس الصديد .

وذلك أن الأسلم فيهم رجلٌ يقالَ له (ابن نقار) صفته (عارفة) أي قاضٍ تآمر على بيت الحكم حكم آل طوالة فشن عليهم حرباً انتصر فيها فأباد آل

طواله إلا رجلين عجوزين ، أحدهما ضرير وله إبنة عازبة والعجوز الآخر استطاع الفرار بطفلين يتيمين هما البقية الباقية من عموم آل طوالةن هرب بهما العجوز والتجأ بهما إلى ابن عريعر أمير بني خالد في أمارته (الإحساء) هجر سابقاً. فأجارهم أما العجوز الذي بقيّ مع ابنته، فقد وقع تحت سلطة المتمرد بن نقار الذي أبقىّ عليه حياته بإذلال ومنها ألا يشب [1] النار في بيته ليلاً كإهانة.

ألا أنّ إبنة هذا العجوز الذي هو تحت سلطة بن نقار كانت إبنته تلك (شوافة) [2] ودام حكم ابن نقارأما الأسلمي الأعمى الضرير، توقع بحدسه البدوي أنّ اليتيمين قد إستويا واشتد عودهما ـ فقال لإبنته في لحظة من لحظات الفجر الصافية الهادئة قومي وانظري نحو الشرق. فنظرت وقالت أرى (زيلة)[3] وطلب منها نفس الطلب بالصباح الثاني، فقالت : نفس الزيّلة ولكنها إقتربت وبدت اشد وضوحاً. وفي اليوم الثالث قالت : أنا خوا بشعب كذا، وهو قريب من عرب بن نكَار .

وفي أول فجر اليوم الرابع تسلّل الفتيان اليتيمان إلى العرب التي إستفاقت هلعة، مرعوبة لتجد أنّ رأس إبن نقار معلقاً برأس رمح أحد الفتيين بساحة العرب .

انضمت جميع الأسلم لإبني طوالة أصحاب الحق الشرعي، واستمر هجوم الفتيين مع الأسلم على عموم آل نكَار، فأناموهم أرضاً النومة التي لم ينهض منها إلا واحد من آل نكَار كان مسافراً لغير ديرة، وبعد إستتباب الأمر لآل طوالة قبلوا قدومه للعشيرة وأبقوه على العرف فقط أي عارفة ـ قاضي ـ ووجوده بين الأسلم وجوداً مجرداً ليس له أيّ شأن إلا كواحد من الأسلم لا أكثر.

---

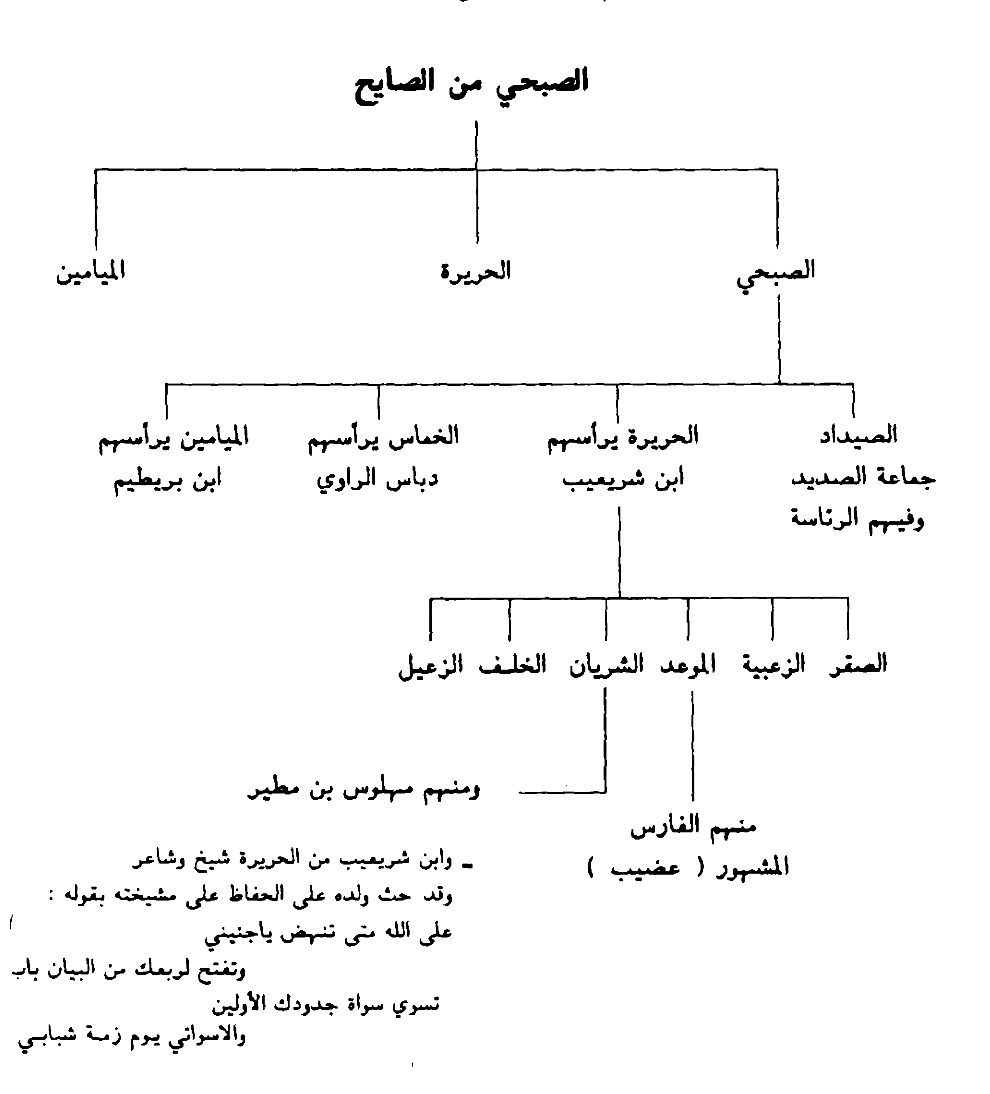
(١) يشب : يوقد النار .

(٢) الشوافة : شديدة الإبصار والرؤية، قوية النظر ترى الازوال من مسافات بعيدة مثل زرقاء اليمامة.

(٣) زيلة : باللهجة البدوية جمع أزوال، وأزوال لغوياً هي جمع زوال .

تقسيمات الصايح

تنقسم عشيرة الصالح إلى الفروع التالية :

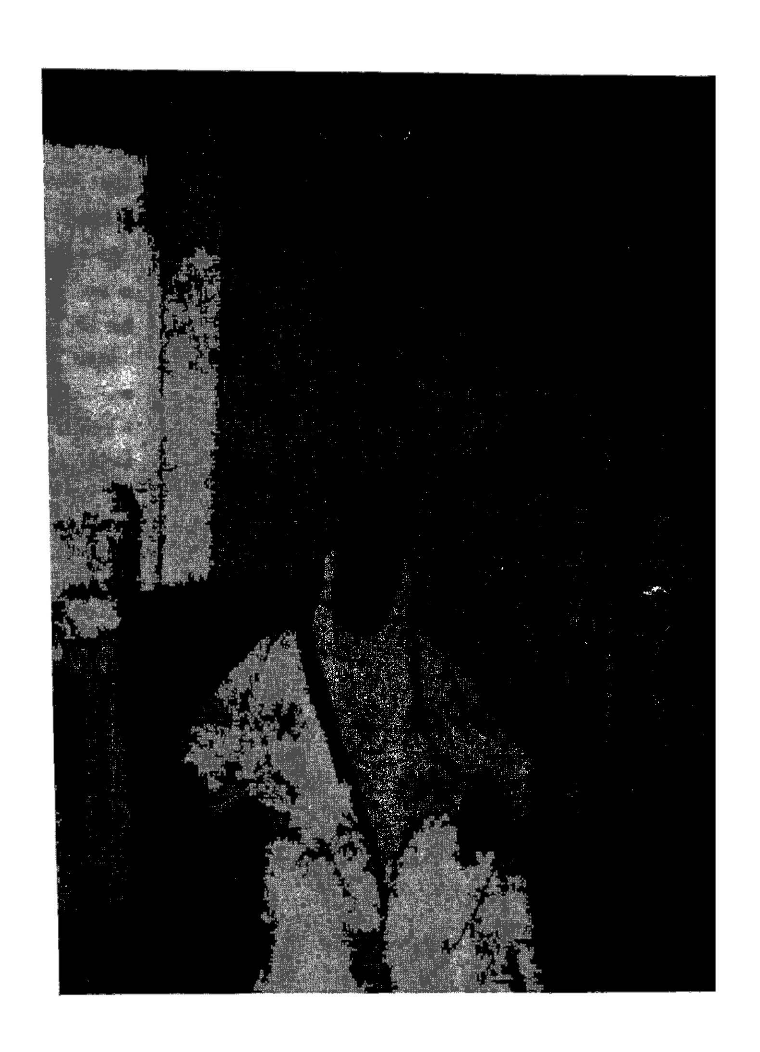


ـ وابن شريعيب من الحريرة شيخ وشاعر وقد حث ولده على الحفاظ على مشيخته بقوله :

على الله متى تنهض ياجنيني
وتفتح لربعك من البيان باب
تسوي سواة جدودك الأولين
والاسراني يوم زمة شبابي

الشيخ حواس بن جنعان الصديد

شيخ عشيرة الصايح



ولد الشيخ حواس في الحويجة / محافظة سامراء / . عمره الآن يناهز الثمانين عاماً، اشتهر بشجاعة الصدر، وشجاعة العقل. يكنى بأبي خميس، وهو من فخذ الصبحي . عاش ، ولا زال يمثل الصايح والأسلم .

نعم شيخ الأسلم هو ابن طوالة ولكن ابن طوالة بعد أن تعرضت عائلتهم لشبه انقراض ، عادت، ، وثبتت للوجود إثر تحالفٍ حدث بين ابن طوالة في عهد ما من عهود آل سعود حكام المملكة العربية السعودية، وأحد الأمراء السعوديين .

والتحالف جرى بينهما بموجب عهدٍ أن في حال حدوث أي اعتداء على آل سعود فإنّ ابن طوالة وجماعته وعشيرته الأسلم يقفون إلى جانب الأمير السعوديّ بكل إخلاص، ووفاءٍ وحماس . وإذا حدث أي هجوم على ابن طوالة فإن الأمير السعوديّ مُلْزَمٌ بمقتضى العهد الذي بينه، وبين ابن طوالة أَنْ يهبّ ويقف إلى جانب ابن طوالة، وعشيرته الأسلم . فجأة حدث هجوم عشيرة من عشائر نجد على الأسلم، وقتلوا كثيراً من زعماء (آل طوالة) . فنفذ شيخ الأسلم الشايب بظهر ذلولهِ وتوجّهَ نحو حليفه األأمير السعودي، وعندما أقبل وإذ يجد أهلَهُ يستعدوا لنقل نعشه لمثواه الأخير، فأدار عنق ذلوله ليعود من حيث أتىٍّ.

لاحظ الناس على الرغم من انشغالهم بميتهم أنَّ الرجل المجهولَ أوشك أن يصلهم لكنه عاد، فلحقوا به ليسألوه عن سبب إقدامه، وإحجامه.

فأجاب أنّ له أمانةً عند ميّتهم ولمّا وجدَهُ ميتاً اعتبر العهد في حلّ.

فقال أولادهُ : مستحيل إن ما بينك، وبين أبينا. يعتبر قائماً ونحن نرِث العهد معك بدلاً من أبينا . فهبّوا لنجدته، ولحقّت بهم جموع غفيرة من عشائر شتى وهجمت على العشيرة التي اعتدث على الأسلم ، وشيخها ابن طوالة،

وقتلوا معظم رجالِ تلك العشيرة، وشيوخها ، وثبت ابن طوالة شيخاً لعشيرة الأسلم . ولما استقرّ الملك لآل سعود، ، احتفظوا بعشيرة الأسلم من شمّر، وشيخها ابن طوالة حتى اليوم.

لكن الشيخ حواس حافظ على تراث عائلته (الصيدات) كشيوخ، واثبت بفعله قوة شخصيته كشيخ أنشأ ، وحمى نفسه، وبرز بين شيوخ عشائر شمّر وعشائر العراق بأنه شيخ بفعله دون أن يصطنعه أحد، أو يحميه أحد. ولم يكن الشيخُ حواس مجرد شيخ عشيرة يسمع لخلافات أبناء عشيرته وحسب. بل أصبح شيخ الصايح، والأسلم وأكثر من هذا فقد أصبح شيخاً عربياً دولياً دخلت علاقاته بحكومة بغداد ، ودمشق ، والرياض، ودول الخليج العربي.

إنه رجل يتمتع بذكاء غير عادي. إنه يعرف كيف يتعايش مع الزمن ويعرف كيف يقتنص الظروف، والمناسبات.

كان العهد الملكي بعهد نوري السعيد حصراً ضده فلجأ للجمهورية العربية السورية. وفي عهد عبد الكريم قاسم كان الشيخ حواس أول من ثارت بندقيته بوجوه الشيوعيين، وخاصة أثناء ثورة عبد الوهاب الشواف وفي عهد الرئيس الراحل عبد السلام عارف رحمه الله ، وأخيه الرئيس العراقي الأسبق عبد الرحمن عارف حفظه الله وأمد بعمره كان يقود قوة حربية وطنية عراقية دفاعية ضد الانفصالين والمتمردين الأكراد في شمال العراق وكانت قواته تسمىّ (فرسان الوليد). وهي القوة التي دخل بها باسم قبيلة شمر عالم التاريخ، والوطنية. على الرغم من أن بقية شيوخ شمّر يرفضون مهاجمة الأكراد بعشائرهم لأن هناك أحلاف عشائرية قديمة بين شمر، والأكراد .

دعم الحكومة العراقية بعدة مواقف منها أنَّهُ عمل على تقريب وجهات النظر بين الحكومة السعودية، والحكومة العراقية وبين العراق، ودول البترول

الخليجي ، ونجح في كسب بعض القروض العالية الأرقام، القليلة الفوائد، الطويلة الأجل لصالح العراق. ومع هذا فقد تعرّض لأكثر من مرة بأن نسيت الحكومات العراقية له تلك الجهود، والتضحيات، وتلك المواقف الوطنية.

ليس هذا هو مجال حديثنا ضمن تقييم الشيخ حواس الصديد بل أقول : إنّه إتسع برقعة أملاك الصايح من الحويجة لواء سامرّاء لأراضي جنوب جبل سنجار بالجزيرة (لواء الموصل) فمال عليه بعض عشيرة الأسلم، والفداغة، والثابت من سنجاره. تاريخه حافل بمواقفه الشهمة، مواقف الرجال الصناديد وهو شيخ بدوي، متشبث ببداوته إلى أقصى الحدود.

شمري الدم، والروح يلزم نفسه بأي موقف قد يجد الشمري متورطاً فيه دون أَنْ يميّز بين صايحيٌ أو اسلمّي ، وعبديٌ أو خريصيّ . إنّهٔ يخدم، ويحمي ويعزّ كل شمريّ حتى ولو كان من أولئك الذين حملوا البنادق، وتوجهوا نحوه لبغية قتله، وإزالة مجده من الوجود ولكن (ما رميت إذ رميت ولكن الله رمى).

نسب آل محمد المعروفين بآل جرباء

بيت الرئاسة العليا لقبيلة شمر

أصدق وأصح تسلسل نسبي لعائلة آل جرباء الذين هم (آل محمد) المنسوبين لجدهم الأعلى أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام هو ما جاء في كتاب الأنساب المسمى بـ (الدرر السنية في الأنساب الحسنية والحسينية)، وهو الكتاب الذي لم يشر فيه مؤلفه الحاج الشريف أحمد بن محمد صالح البرادعي الحسني. الى مكان وتاريخ طبع الكتاب، والذي ذكر بالصفحة (٢٨) و (٢٩) منه فيما يتعلق بنسب آل جرباء ما نصه حرفيا : ((أبناء حسن بن عجلان بن رمينه بن محمد أبانمي الأكبر)) .

١ـ فارس بن

٢ـ حميدي بن

٣ـ دهام بن

٤ـ الهادي بن

٥ـ العاصي بن

٦ـ فرحان بن

٧ـ صفوك بن

٨ـ فارس بن

٩ـ الحميدي بن

١٠- مكرن بن

١١- قرينيس بن

١٢- جعيري بن

١٣- مانع بن

١٤- مشعل بن

١٥- سيح بن

١٦- سيف بن

١٧- سالم بن

١٨- بركات بن

١٩- محمد بن

٢٠- بركات الثاني بن

٢١- الحسين بن

٢٢- عجلان بن

٢٣- رميثه بن

٢٤- محمد أبو نمي الأول بن

٢٥- الحسين بن

٢٦- علي بن

٢٧- قادة بن

٢٨- ادريس بن

٢٩- مطاعن بن

٣٠- عبد الكريم بن

٣١- عيسى بن

٣٢- الحسين بن

٣٣- سليمان بن

٣٤- علي بن

٣٥- عبد الله بن

٣٦- محمد الثائر بن

٣٧- موسى الجون بن

٣٩- عبد الله بن

٤٠- الحسن بن

٤١- الحسن السبط (ع) بن

٤٢- أمير المؤمنين (علي بن ابي طالب) عليه وعلى ذريته الطاهرة السلام.

وتحت العنوان الأنف الذكر : [ابناء حسن بن عجلان رميثه بن محمد أبا نمي الأكبر] قال البرادعي الحسني بنفس الصفحة (٢٩) : [بركات ، القاسم، ابراهيم، علي، ومن ذرية الثلاثة ما عدا بركات ذوي حسن الذين يسكنون بالشواق من وديان مكة المكرمة من جهة اليمن. ثم الشريف بركات بن حسن أعقب الشريف محمد ثم محمد أعقب أحمد جازان،وحميضة، هزاع، بركات الثاني. ومن ذرية محمد بن بركات آل محمد وعدادهم في شمر ويعرفون بآل جرباء.]

وبناءً على هذا النسب الموثق وهو الصادر عن عالم جليل ومؤرخ نزيه مشهود له بقوة الغوص في سبيل اكتشاف الحقيقة وصدق الرواية والضمير المسلم الذي لايجاري ولايماري فاننا وعلى الرغم من ايماننا الراسخ الذي يرفض

النقاش والتساؤل بأي شكل من الأشكال ان عائلة آل جرباء تنحدر من صلب جدها الأكبر أمير المؤمنين الامام (علي بن ابي طالب) عليه السلام .فقد جئنا بهذا الكتاب الذي بين يدينا ((الدررالسنية للأنساب الحسنية والحسينية)) .

أما تنسيب ابن الأثير بكتابه (الكامل في التاريخ) ، المجلد الثاني، الصفحة (٢٠٥) : إذ عزاهم للعباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ليس صحيح. بل أوردناه ليزداد القارىء يقينا بعظمة هذه العائلة التي ما فتأت أن ظلت فخر أحاديث التاريخ منذ عهد جدها علي بن ابي طالب عليه السلام ولليوم .

وشهادة للتاريخ فنحن لم نرد نسب آل الجرباء للتباهي وان كان من حق الجرباوي أن يتباهى بنسب يرفعه الى خير وأكرم وأعظم ما خلق الله على الارض وتحت السماء ـ أعني جدهم رسول الله محمد بن عبد الله عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين أشرف الصلاة وأفضل السلام ـ سيما وان جدهم أمير المؤمنين الامام (علي بن أبي طالب) عليه السلام هو القائل : (الناس في الانساب أكفاء الاب أدم والام حواء) .

ولكن باستثناء شرف النسب فللجرباوي أسمى الشرف حيث انه متمسك بمكارم الاخلاق : صدق، كرم، عزة نفس، شجاعة، ايمان بالله ورسوله (ص) محتفظة على الجار، اكرام للضيف، اغاثة الملهوف، اجارة المستجيد، حماية الدخيل، تربية وكفالة اليتيم، الرأفة بالفقير والمحروم، ايمانها العارم، المحافظة على العرض. حب الوطن والوفاء لأرضه وشعبه ...

فمن كانت هذه صفاته فهو هاشمي ومن هو هاشمي فهذه صفاته والفخر لآل الجرباء لأن بهم شرف النسب الهاشمي وشرف الحسب الذي تلك مميزاته الا ما عصم ربي.

آَل عواد في حلب وأقربائهم في السخنة وتل أبيض

عندما أسجل في كتاب قبيلة شمر وأمراءها الأنساب والأحساب ومسيرتهم من نجد للعراق وبلاد الشام وقد اختصرت التراجم في هذا الكتاب فقط على أمراء عشائر قبيلة شمر مع أن رجال شمر كلهم يمثلون الشرف، الشجاعة، الحمية، النخوة، الكرم وكافة العادات والتقاليد والمثل العربية الأصيلة السامية التي خرجوا بها من مهد العرب الأول اليمن الى جبلهم جبل شمر أبو حائل بنجد الى يومنا هذا حيث استوطن العديد من عشائرهم بلاد الرافدين في العراق والجزيرة السورية من بلاد الشام دون أن تغيرهم القرون والدهور.

والآن أشرِّف هذا الكتاب ببحث آل عواد الكرام وهم سكان مدينة الرجال الأبطال حلب بنو حمدان.

فعندما أكتب عن الحاج حسين بن الحاج علي العواد فإني أكتب عن عموم آل عواد فخر قبيلتهم شمر.



الحاج حسين هو بن الحاج علي العواد يسكن في أشهر أحياء مدينة حلب (العزيزية) ولن أكن مبالغاً إن قلت إن العزيزية تعرف بعمارة بيت الحاج حسين العواد مثلما تعرف حلب ببني حمدان. شمري مشهور ومعروف (علم في رأسه نار) فإن دخلت حي العزيزية من أي جهة وسألت عن منزل الحاج حسين العواد أي مخلوق فإنه يجيبك على الفور بقوله (وصلت) فيأخذك إليه.

لماذا تعرف الناس بيوت آل عواد بحلب؟

لشجاعتهم وحسب. فالشجاعة الشمرية مخلاة لهم بدون أدنى شك وبشهادة وقائع خالدة حدثت فدخلوا بها صفحات شجعان التاريخ وليس من آدابي وأخلاقي كمؤلف وطبقاً لتعليمات وزارة الاعلام وكادري الذي أنتمي إليه (اتحاد الكتاب العرب) يحضر علينا ذكر كل مامن شأنه إثارة الحزازات والحساسيات سواءاً كانت عائلية أو عشائرية أو اجتماعية وحلب عامة وقبيلتهم شمر وسائر القبائل حول حلب وداخلها ليس فيها من ينكر على آل عواد شجاعتهم فهم (حديدة صلبة حارة وملتهبة) على الحق كرماء حلماء شرفاء مع ولكل من آمن بالله وخشاه واتسم بالعقل فتبناه وماذكرته سوى مدخل لترجمة الحاج حسين العواد الذي هو كبير آل عواد فتشرفت ببحثه في هذا الكتاب على الرغم من أنه ليس (بأمير) ولكن فعله وشدة بأسه وغيرته وحميته الشمريتين رفعه كل هذا فوق مستوى الأمراء وبشهادة أبناء عمومته من أمراء شمر وأبناء عشائرها.

وسيقرأ قارئي الكريم حقيقة هذه الصفاة عنه وموقفاً شجاعاً من مواقف أخيه الحاج خالد علي العواد الذي يشهد له بالشجاعة وأسجله لله وللتاريخ لأنني شاهدت ذلك الموقف بعيني.

الحاج حسين بن الحاج علي العواد:

شمري، حلبي أباً عن جد أي منذ عهد جده المرحوم (عواد) ولد الحاج حسين في أشهر أحياء حلب (حي النيرب) بعام ١٩٢٤م.

موطن آل عواد هي بليدة (السخنة) في بادية الشام جاء جدهم الأول مع عشيرته (المرازيج) من شمر الخرصة من نجد غزاة على قبيلة (الرولة) منذ مايقرب من مئة وخمسين سنة تقريباً.

وما الحرب سوى مكارم وجرائم، وكر وفر، وقتل ومقتول، وأسر وطعن. فكان أحد المطاعين من المرازيج الغزاة جد آل عواد الذي سقط أمام ربعه كسيراً وماينال الطعن إلا الشجاع ومايقع أمام ربعه إلا الذي يقيم من جسده جسراً ليعبروه قومه بإتجاه الطرف المقابل.

يرى كسر ساقه الذي عالجه طيلة عدة أشهر في مدينة السخنة حيث ذكر للمرازيج أن بمدينة السخنة طبيب شعبي مجبر فنقلوه إليه لتجبير ساقه.

أثناء معالجته استهوته إحدى حسناوات مدينة السخنة وهي إبنة أحد بيوت السخنة الرفيعة فتزوجها وأقام ساكناً في السخنة وأعتبر من كرام أهلها ففتح مضافة تجمع الشمل والربع ويشرب قهوتها أبناء السخنة والزوار والضيوف.

فشق المرزوكي طريقه وأثبت الشمري نفسه أنه (حربة لاتخبئ بعدل زار حفيده أي حفيد الغازي الذي كسر أمير أمراء شمر المغفور له المرحو العاصي بن فرحان باشا في الجزيرة قرب جبل سنجار.

سأله المرحوم العاصي ممن أنت؟ قال: إنه شمري.

ثم سأله من أي شمر؟ قال: إنه من المرازيج.

سأله العاصي: أين تسكن؟ قال: مدينة السخنة.

قال العاصي صدقت حياك الله أنت المرزوكي الشمري لكن أخبرني هل أنت شجرة أم ثمرة؟

العاصي رحمه الله كان بليغاً وشاعراً ثرياً بمفردات لغته العربية وأمثالها. أراد بكلمة شجرة هل هو المرزوقي الذي كسر وسكن السخنة فأنشأ العائلة الشمرية؟ وأراد (بالثمرة) هل هو من ثمر تلك الشجرة ابن أو حفيد. فقال المرزوكي بأنه ثمرة.

مدينة السخنة مدينة حضر مختصة بالتعامل مع أهل البادية وسط صحراء غير زراعية يشتهر أهلها بالتجارة فنشأت أسرة آل عواد أسرة تجارية بسطت شهرتها على تجار السخنة ودير الزور وغدت ركبان البدو تلهج بذكرهم وكرمهم وشجاعتهم في كل أواسط قبائل شمر وعنزة والعفادلة والحديدين ببادية الشام ونجد كما دوى إسمهم التجاري بحلب والرقة وحمص وحماه وحتى دمشق وبعد أن أنعم الله عز وجل عليهم وتضخمت ثروتهم انتقلوا الى حي النيرب بمدينة حلب وقد كان أشهر أحياءها. بل ومازال حي الرجال ومعقل الأبطال الذين منهم رجال آل عواد الشمامرة. فأصبح آل عواد من سادة هذا الحي.

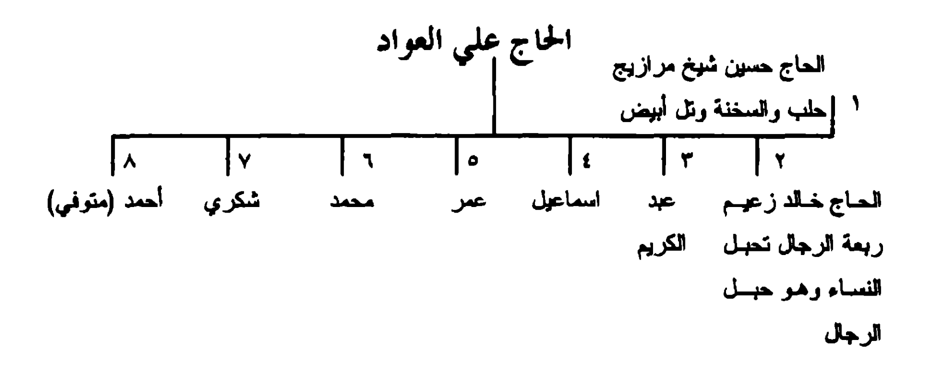
وسبب إنتقالهم لإتساع أعمالهم التجارية وإيغالهم في السوق التجاري مع طبقة كبار التجار، وإزدادت أنشطتهم فعملوا في الزراعة. بعدة أرياف من حلب والرقة.

أشهر أقلامهم التجارية فيما بعد إستيراد وبيع الحبوب الزراعية فلهم كان مشهور بساحة الملح جنوب قلعة حلب.

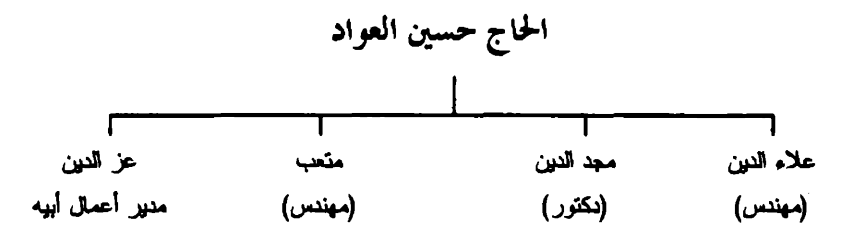
هذا هو نسب آل عواد وانتماءهم لقبيلتهم شمر.

أما الحاج حسين فقد سكن بحي العزيزية بحلب بعمارة من أفخم عمارات مدينة حلب. بعام ١٩٦٤م نجح نائباً عن مدينة حلب ودخل أول مجلس نواب بعد إنفصال سوريا عن مصر.

له عدة إخوان هم أبناء الحاج علي العواد.



أبناء الحاج حسين العواد



أقارب آل عواد:

يوجد لهم أقارب في تل أبيض هم بيت كرين.

وفي السخنة بيت مطلك.

تواصل آل عواد بأبناء عمومتهم من قبيلة شمر:

منذ عهد أمير أمراء قبيلة شمر العاصي بن فرحان وآل عواد على صلة بأبناء عمومتهم شمر وخاصة الخرصة. وشيوخها حتى يومنا هذا.

لم تنقطع الزيارات بالأفراح والتعازي بين الطرفين وبكل مناسبة.

آل عواد في حلب ركن شمري منيع لقبيلتهم. فهم الجبل الذي يأوي إليه الشمري المريض، والشمري للذي له طلبة أو قضية في دوائر أو عشائر حلب.

معظم مزارعين شمر يشحنون أرزاقهم من حنطة وشعير وقطن لخان آل عواد بحلب وآل عواد يغطون كل الحاجات المالية لمعظم هؤلاء الملاك والمزارعين طيلة أشهر السنة الزراعية حتى يجنوا مواسمهم بالصيف فيشحنوها الى خان آل عواد فيبيعون مايصلهم ويدفعوا لعملائهم من أبناء قبيلتهم شمر مايفيض بعد حسم الحساب. ومن تردى موسمه فإنهم يؤجلونه الى موسم وموسمين وربما يتنازلون عن كامل الدين لبعض المدينين.

بيوت آل عواد تعج بالمضافات التي يجتمع بها شيوخ وأبناء عشائر وقبائل مدينة حلب بالإضافة لرجال أشراف الأسر الحضرية الحلبية دلال قهوتهم فائحة بالبن والهيل ليلاً ونهاراً، صوانيهم رياض نعم وخير للمسافرين والضيوف والفقراء والمساكين.

جارهم معزوز ومرهوب دخيلهم آمن وسالم زائرهم رابح وغانم

شرفهم خيمة بيضاء صاعدة الأعمدة متينة الحبال فوق مدينة حلب وأريافها.

موقف رجولي من مواقف آل عواد:

بعام ١٩٥٥ كان والدي رحمه الله يعامل شحين بحلب يشحن باسمه غلة الموسم.

ذاك الشحين رجل ثري ومشهور وهو من كبار تجار مدينة حلب وله سلطة ونفوذ شعبياً وحكومياً.

ومن عادة الشحينة بحلب أن لكل واحد رجال من عدة شباب يدللون بالبضاعة وهم مدافعون عن الشحين عند ساعات الخطر أقول (رجال) إن لم أقل عصابة من الرجال.

وعصابة ذلك التاجر الشحين مشهورون بحلب بعجرفتهم وعشقهم للشر.

هذه الحادثة أذكرها للضمير والتاريخ.

ولن ينس المعروف إلا من كان أبوه غير معروف.

في عام ١٩٥٥م شحنت لهذا الشحين كمية مئتين كيس حنطة، وبعد اسبوع نزلت الى دمشق لأنني بذلك الزمن كنت أسكن بدمشق وقد احتجت لدراهم فكان ظني أن التاجر الشحين قد باع رزقي وسأستلم قيمة محصولي منه بمجرد وصولي اليه في مدينته حلب. وجدت أنه لم يبع رزقي. وطلبت منه أن يقبضني مبلغ على الحساب ريثما يبيع لي رزقي، فرفض. سألته أن يعطيني بضاعتي لأبيعها بواسطة غيره أو بواسطتي مباشرة، فرفض بكل الحالات.

أسمع أن لي أقارب بحلب هم آل عواد فذهبت اليهم أسأل عن الحاج خالد العواد، الذي أجلسني بجانبه في سيارته الشفروليه وعاد بي لمكتب التاجر.

وجدنا التاجر، فسأله: هل لهذا الشاب عندكم رزقاً؟

قال: نعم

- لماذا لم تبعه وتمشي أمره؟

قال الشحين: إن السوق بارد.

- بماذا لاتُسحِبَهُ على الحساب؟ قال: لاأدفع.

- لماذا لاتعطيه رزقه؟ فسكت لايحرو جواباً

- إعطـه حنطته الآن بدون أدنـى كـلام، ثم سأله: كم دفعت أجـرة نقـل بالقطار؟ فقال: أجرة نقل القطار كذا، أجرة الحمولة كذا أجرة أرضية الخان كـذا. فجمعها وقال الشحين: المبلغ كذا فدفعها لـه الحاج خالد العواد ونقل محصولـي ودفع أجرته وباع لي رزقي ودفع لي دراهمي بعد أن سامحني بما دفعه للشحين الأول كما سامحني بأجرة النقل الثانية ودون أن يأخذ مني أي عمولة.

فحاولت المغادرة الى دمشق فلم يسمح لي. بل أخذني لبيته وغداني فسلمت عليه وودعته.

الحاج خالد لم ينتظر مني أن أشكره أو أن أذكر لـه هذا الموقف الـذي أخبرت به المغفور له المرحـوم أمير أمراء شمر والدنا الكبير دهام الهادي حينما وصلت دمشق. فكان جوابه رحمه الله: أقاربك ومافعلوه ليس بكثير عليهم، ولكن كيفما كان يشكرون هلشمامرة.

هذا موقف من مواقف أقاربنا شمر حلب (آل عواد الكرام) ينساني اللـه إن نسيت هذا الموقف.

ولن أكون مبالغاً، إن قلت إن آل عواد بحلب بالنسبة لقبيلتهم شمر منصرٌ ومعصرٌ ورواق وذرى وشرف وكرامة، ورحم اللـه عمارة اليمني حيث قال يوصف أهل الشجاعة والاحترام

وخير خيلك إن غامرت في شرف	عزم يفرق بين الساق والقدم
لايدرك المجد إلا كل مقتحم	في موج ملتطم أو فوج مضطرم
ورب أمرٍ يهاب الناس غايته	والأمر أهون فيه من يدٍ لغم
تنمى قوى الشر بالتدريج إن رزقت	لطفاً ويقوى شرار النار بالصدم

كلمة أخيرة

هذا كتاب لا أزعم أنَّهُ التاريخ العام التام لقبيلة تَحدَّثَ التاريخ عن أمجادها على أنها من أمم ما قبل التاريخ حتى ولا أدّعي بأني ـ قادر على أن أفوق الكثير ممن حاولوا ذلك قبلي، وفشلوا.

وأنا هنا لا أقول : إني أتشفّع لإبعاد نفسي عن اللوم أني إقتفيت أثَر من أعذرهم الزمن. لا. لا أقول هذا. بل أقول قول الحكيم الفرنسي: [لا تقل لا أستطيع ، بل قل سأحاول].

وعلى هذا الأساس فإنَّ جُلَّ محاولتي هو أنْ ابعث للأجيال سِيَر من عاصرتهم، أو سمعت بلُمَع من تواريخ حياتهم العظيمة، أقصد شيوخ، وأمراء قبيلة شمّر، وأخصّ بالذكر منهم أعمامي آل عواصي، بل وعلى وجه الخصوص حياة المغفور له أمير أمراء شمر والدنا الكبير المرحوم دهام الهادي رحمه الله.

ومن يكتب عنه عليه رحمة الله، وغفرانه لا شك أنّه يحتاج لمدة زمنية من البحث والاستقصاء والدراسات الميدانية والتاريخية الدقيقة، والمركزة والموثقة أكثر مما يحتاجه لدراسة تاريخ شمّر الذي هو أصلاً ما قبل التاريخ بكثير. فمن أين سأبدأ يا تُرى.

شيءٌ واحد يُعينني على تحقيق حلمي الذي هو أمنيتي الدائمة "أن أظلّ

أكتب عن حياة والدنا الكبير دهام الهادي أمير أمراء شمر ما دمت على قيد الحياة". حتى وإن لم أفِ بالغرض كله

هذا على الرغم من أنّ في صدري سهام ونبال. على الرغم مما لمسته من حسد أقرب الناس. لأنه لا يريد أن يكون لي ما أكسب به خبزاً بسعادة وبشرف. وموضوع الحسد يستقر في قلوب أهله قبل أنْ يتسرّب لقلوب الآخرين وخاصة منهم الكتاب.

وعوداً على ما أسلفت من قول. إن كان المعترض يؤمن بأني أتذكر أهلي بدافع الود والوفاء. فليؤمن بأن من واجبي أن أكتب.

وإلا فأنا كاتب، ومؤلف وبمقتضى قوانين الحرية التي ولدت وولد معها الإنسان أبيح لنفسي أن يعمل قلمي، ولو تحت ظلال شبرٍ من سماء الحرية التي هي أساس الوجود.

الكاتب يكتب بمقتضى اثنين :

إما بمقتضى قناعاته الوجدانية ، وإمّا بمقتضى الحقائق، والوقائع التاريخية، وبالتالي لا لأحد من حق لايّ إعتراض أو إنتقاد لأن الكاتب في هذه الحالة يستمد مادة (مؤلّفة)، من مصادرَ ، ومراجعَ أدبية، وتاريخية وهن بالتالي المراجع لكل من له إعتراض، أو انتقاد.

نحن في عصر الثقافة. والذي من أبرز سماته إنشغال أصحاب الفكر الوجداني بنبش كل تراث قيم ومفيد. وأنا عندما أبذل جهودي بالبحث الجاد، والدقيق عن حياة المرحوم فلان ومكارمه، وصورته . كما أني أطبع الكتاب بدمي، وبلقمة أطفالي دون أن أعتب على من هم أولى مني بهذا الشأن وأقدر مني ماديّاً، والزم مني مسئولية. ليس إلاّ لإرضاء نفسي بالواجب.

لالوم لي على أحد ما دام من عليه تقع مسئولية العون في نبش تراث القبيلة، وأشرافها يتجاهل بل ويعد بأن يمنعني ككاتب ومؤلف أن يعترض مسار قلمي سيما وإنه مثقف ومدركَ ويختلف كل الإختلاف عن الذين يتوهمون أنهم يفهمون وليس فيهم واحدٌ يتقن قراءة الفاتحة. وأخص بالذكر أيضاً "أصحاب النغد البناي" بلهجتهم أي "النقد البناء".ممن إشتهروا بأنهم أصحاب الغمزة وهم حثالة المجتمع.

أما السؤال الذي يطرح نفسه ... هل أنت أيها المثقف ضدٌ حرية الفكر؟ هل أنت ضدّ حرية التاريخ ؟ هل أنت ضد من يؤمن بان جهة واحدة مسئولة عن إصدار إنتاج المؤلفين (وزارة الإعلام) وحدها صاحبة الحق في ذلك . أفأنت أحد مسؤوليها؟ حتى وإن كنت أنَسَيْتَ أن العدل والحق راسخ بين المؤلف وبين الجهات المختصة.

طبعاً دوافعي لتأليف هذا الكتاب وغيره كثيرة. ومن أهمّها أني أرغب أن أُقنع الذين لا يبصرون وتكره عيونهم أن ترى النور عيونُ الآخرين.

إنّ الإنسان منذ فجر التاريخ وهو يناضل من أجل حرياته : الحرية الشخصية، الحرية الفكرية، الحرية الإجتماعية، وغيرهن من أنواع الحريات. ومن أجل تحقيق هذه الحريات كم من ممالك أُزيلت، وكم من عروشٍ انحطت ، وكم من أرواحِ زهقت، ودماءٍ سالت أما أن نعيش عصراً نجد فيه من يدعي العلم والثقافة يحاول أن يقف حجر عثرة ضد أي يدٍ تعتز بأنها تريد أن تضيف لَبِنَةً في صرح المكتبة العربية، لَبِنَةَ نظيفة وشريفة ليس من سماتها أي صبغة سياسية ، أو اي تدخل أو إساءة للأديان ، أو أية إساءة للأخلاق الإجتماعية العامة .

ومع كل هذا ليت من يسيء مسامعه صرير الأقلام العاملة أن يبدي أي سبب، أو نقد يبرر له التهديد، والوعيد؟ الحسرة كل الحسرة هو أنّ من يجب

أن يُشجع بكتابته التي تثني وتكرم وتمدح، قريب لا أملك من القول ما أقوله له إلا أنّه ابن من يعتز به معارفه حياً، وميتاً لهذا لا ردّ لي عليه بأكثر مما قاله الأمير الشاعر أحمد الصديري رحمه الله حيث قال :

الياخاب ظنك بالصديج الموالي ... ما عاد لك مشاريه على باجي الناس

حملي ثجيل وشلت حملي لحالي ... واصبر على جور الليالي والأتعاس

ويعل كصر ما يجي منه ظلالٍ ... ينهار من عالي مبانيه للساس

لا صار ما هو مدهل للرجال ... وملجا لمنهو يشكي الظيم والباس

تجعل مقره دارس العهد بالي ... صحصاح دو دارس ما به أو ناس

للتاريخ ، للأجيال : أقرّ وأعترف إن لآل عاصي أفضال ، وأفضال على أسرتي وأستطع أعدد منها الكثير، ولكن ما لوالدنا الكبير أمير أمراء شمر المغفور له دهام الهادي وثلاثة أعمامٍ لي من سائر أعمامي آل عواصي هم المغفور لهم عمي ميزر مدلول العواصي، وعمي باشا متعب العواصي، وعمي علي مدلول العواصي. لهم عليّ وأبويّ وأخواني، وأخوتي من الفضائل ما أعجز عن وصفها أو حصرها أو عدها.

والدنا الكبير وأعمامي علي وميزر والباشا، وكل من ذكرتهم من أهلي الآن هم في عالم الخلود وإن شاء الله إنهم في عالم الجنة .

فهل يجمل بمن مثلي أن أنساهم؟ لن أنساهم مادمت على قيد الحياة. لن تقف دمعتي، ولن تطفو حسرتي، ولن تهدأ لوعتي ما دمت أسمع إسم (دهام). أظل أبكيه كل ما رأيت وجها صبوحاً وأين وجوه الآخرين من وجهه رحمه الله. أظل أبكيه كلما رأيت أميراً طويل الباع مديد القامة، ولكن أين الرجال من والدنا الكبير المغفور له المرحوم دهام الهادي أمير أمراء شمر عليه ألف رحمة من الله.

ومن هنا أُقسم لو لم أملك أقلاماً لأسطر ذكره رحمه الله بأناملي ولو لم أملك مداداً لأسطر ذكر أهلي بدمي ولو لم أملك قرطاساً لأفعل ما فعله مجنون ليلى، الذي كان يكتب على الرمل لكتبتُ مآثر أهلي على سفوح التلال والجبال وأشجار السنديان، وهاهي ذكراهم تنبض التلال والجبال وأشجار السنديان، وها هي ذكراهم تنبض في أجمل وأكرم من التلال، والجبال ، وشجر السنديان.

إن ذكراهم في قلبي ، في روحي، في نفسي. ولله درُّ الشاعر العربي الذي قال في معرض عتابه لأحد أقاربه :

"كلانا غنيٌّ عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشدُّ تغانيا"

وبالتالي وختاماً لهذه المقدمة فأنا لا أعتز بكتاباتي وحسب. بل أعتزّ بأن يعلم القارىء إني أفي وأحتفظ بالود والجميل في عهد أصبح فيه كل فرد يزعم بنفسه أنَّهُ خير الناس، ورغم إعتزازي بنفسي فأنا أقول: إن من ذكرتهم من أهلي آل عواصي ما ذكرتهم لأكافأ أو أُكَرَّم مادياً من أبنائهم. أو أحفادهم. وأنا الذي ليس بحاجة لغير ربي الله عز وجل ولكن أتذكر قول جدي الفيلسوف الصوفي منتجب الدين العاني الذي قال : [أهوى الوداد وأهوى من يدوم على حفظ الوداد وأشنى كل خوان] .

المؤلف

الحاج / أنور عبد الحميد العسكر السباهي العاني

الخاتمة

الحمد لله الذي هدى وأبان. أحمده وأشكره بالسر والإعلان. و أصلي وأسلم على من أُنزل عليه القرآن الذي هو هدى للناس ورحمة وغفران (محمد رسول الواحد الرحمن) وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وبعد :

هذا كتاب تحدثت به عن قبيلة كريمة من أشهر قبائل العرب كما أني أعتبر ما جاء فيه من ترجمات عن مشايخها ما هو إلا قطرة من بحر. ومع هذا فأنا لا أدعي أني أوفيت التاريخ أو كفيت بالتراجم...

أكيد، لا . ولكن جلَّ جهدي هو جهد المقل. دفعني وفائي وجذبني نداء التاريخ وأنا واحد ممن يتوهمون أن التاريخ قد شرفهم بجزءٍ من مسؤوليته الدهرية. وحملهم أقل الأثقال وأخف الأحمال مما فرض عليهم نقله بجرأة وأمانة ضمير من حيزٍ زمني لحيز مستقبلي آخر.

وبناء على ذلك جئنا بكتابنا هذا للمكتبة العربية أولاً، إيماناً منا أن المكتبة العربية هي أجرأ وآآمن من يحمل أكثر الأثقال وأجلَّ الأحمالِ لأحقاب متواترة ومتعاقبة من الأزمان ومن جيلٍ لجيل ليعلم خلف من يأتوا شيئاً عن تاريخ سلف يأتون مضى من كرام الناس وأشراف العرب .

قد يكون هذا الكتاب المتواضع أتم وأعم، وأكمل وأشمل لو توفر لي، ليس ما أشترطه. بل بعض وسائل ومستلزمات ما يجب أن يكون عوناً لي على تحقيق شريحة معينة من بني البشر أنا أعلم إنها تريده أعم وأتم وأكمل وأشمل.

وقد يكون لها ما أرادت لو أنها حاولت أن تجعل من الأماني أفعال حق ومواقف صدق فوضعوا قدمَ همةٍ على طريق صواب. لكن حقاً (ماكل ما يتمنى المرء يدركه).

وأنا أيضاً لا أدعي أني أرسخ من غيري قدماً أو أسلم من سواي درباً. فقدمي ثابتة، وثابتة رغم محاولات الزعزعة الخارجية لها لكنها ثابتة والحمد لله وبعونه. ودربي مستقيم وسليم رغم من حاول أن يقف لي حجر عثرة في هذا الدرب لهذا الكتاب ولكل كتبي السابقة. ولكن كوني واثق من نفسي (فإن يقيني بالله يقيني) .

كتابنا نسخة تراثية تضمنت أحاديث الزمن عمن اعتز بهم الزمن وهم أبناء وأمراء قبيلة شمر ومن وجد أنا نسينا بحثاً فمعذرة ـ وسبحان من لا يسهو ولاينسى ـ ومن وجد أنا قللنا في بحث شخصي واحد لأحد كرماء وأجواد هذه القبيلة العربية. فأيضاً معذرة وألف مثلها والمرء يحاسب على نيته قبل فعله فما من غاية تتوخاها إلا كسب رضاء الجميع من أفراد وجماعات و الكتاب فاتح أبوابه ويرحب بكل إضافة أو زيادة ويرفع نداءه الحار من أوسع زوايا التاريخ لكل من يدعي أن أمر قبيلة شمر يهمه. فليأتنا بأبحاثه أو بما يعتقد إنه تكملة مهمة أو تتمة مفيدة .

وأخيراً وليس آخراً ، فإن بعض غاياتنا في هذا الكتاب وهي الغاية الأهم هي أن نبعث صرخة التاريخ في صدور الشباب الناهض المثقف من أبناء هذه القبيلة عسى أن يتحرك ويكتب. فإن المكتبة العربية رغم ثرائها بكتب التراث. فإنها بكل تأكيد ليس بغنية عن جهود من سيجود عليها ولو بصفحة قيمة من كتاب كريم . فتحية لكل العاملين... وأخص منهم كل من يعمل بإخلاص وشرف.

المؤلف

مصادر الكتاب

١ ـ الكامل في التاريخ ـ لإبن الأثير .

٢ ـ الدرر السنيّة في الأنساب الحسنية والحسينية الهاشمية تأليف : أحمد صالح البرادعي الحسني .

٣ ـ قبائل بدو الفرات ـ للمستشرقة البريطانية أن بلانت .

٤ ـ معجم قبائل العرب ـ لعمر رضا كحالة .

٥ ـ عشائر الشام ـ لأحمد وصفي زكريا .

٦ ـ عشائر العراق ـ لعدنان عباس العزاوي .

٧ ـ وثائق شبه الجزيرة العربية ـ لعبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم بعهد محمد علي.

٩ ـ معجم قبائل شبه الجزيرة العربية ـ لحمد الجاسر.

١٠ـ الجرباء في التاريخ والأدب ـ لأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري.

١٢ـ معلومات شخصية من مذكرات المؤلف.

١٣ـ معلومات متفرقة من عدة مصادر بشرية من رجالات قبيلة شمر.

١٤ـ المجلة المصرية من الدراسات التاريخية ـ لجنة الدراسات التاريخية والقوانين القاهرة ـ مصر .

١٥ـ مذكرات طه الهاشمي رئيس أركان الجيش العراقي الملكي لأحمد حسين البر

١٦ـ مذكراتي ـ لعبد العزيز القصاب.

١٧ـ الأمم والملوك ـ لإبن جرير الطبري.

١٨ـ تاريخ العبر في الإنشاء والخبر ـ لابن خلدون .

تراث المؤلف

١ ـ الخيزران والريحان

٢ ـ عذراء شمر

٣ ـ سوريا يا وطني

٤ ـ أخ سوريا يا بلدنا

٥ ـ دمشقنا

٦ ـ بين الجبل والسهل

٧ ـ عشائرنا

٨ ـ اسلامنا

٩ ـ عروبتنا

١٠ ـ باكستاننا

١١ ـ عراقنا

١٢ـ حياة المغفور له "الأمير دهام الهادي" أمير أمراء شمر

١٣ ـ سيرة حياة البطل غريب الشلاجي الشمري.

١٤ ـ من هو ؟

١٥ ـ المنصوري معاك برحاب الرحمن وساعات الغفران

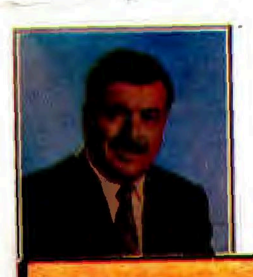
١٦ ـ دموع النار.

١٧ ـ ندى الجلنار

بين يــدي المؤلف

١ ـ حياة سماحة الإمام عز الدين الخزنوي وطريقته الخزنوية .
٢ ـ قبيلة البكارة .
٣ ـ قبيلة العكيدات الكبرى .

المحتويات



عندما يتزين الكتّاب بما يجمل أعمالهم الأدبية من ثمين الكلام وشريف القول، وصادق الحديث ودقيقه، وكريم المعاني وساميها....

فإن أزين الزين، وأجمل الجميل. هو أن يضيف المؤلف إلى كل تلك القيم. صفة واحدة هي : " الوفاء ".

قد يكون المؤلف وفياً لقلمه ، لقرائه ، للتاريخ ، فإنه يظل بمصاف المؤلفين الشرفاء الذين تعتز بأسمائهم معاجم الأدباء في كل اللغات . ولكن من خلت أعماله من روح الوفاء ورائحته فإنه سيخسر كل صفة مشرفة حتى وإن اتسمت كتاباته بكل تلك الصفات باستثناء صفة الوفاء . لأن كل صفاته ستصبح عندئذٍ كأوراق العملة الملغاة. تصبح مجرد حبر على ورق.

وعندما أكتب عن قبيلة شمر فليس إلا من باب الوفاء لا الرجاء. وعندما أعتز بأني أحسب على شمر فإن وفائي يدفعني لأن أفي لشرفائهم وكرامهم بحقهم عليّ، ولي أسمى الاعتزاز مثلما أعتز بأصلي ونسبي لبلدي (عنّة) فردوس البيان، وقلعة التيجان. وأعتز وأفتخر بأصلي كوني انتسب لأشرف بيتٍ في العرب والمسلمين بيت جدي الإمام السبط الشهيد الحسين بن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، على سيدنا محمد رسول الله وعليهما وعلى ذريتهما الطيبين الطاهرين أشرف الصلاة وأفضل السلام. ومن كان يعتز بإنسابه لهذا البيت مثلي فمن الإلزام المشرف أن أفي لقبيلة أشبعتنا بعد جوع ، وأمنتنا بعد خوف ألا وهي قبيلتي شمر عز البوادي وفخر الأمم.

فإلى قبيلتي أهدي هذا الكتاب مقدماً اعتذاري عن كل سهو أو خطأ غير متعمد. مع عظيم تحياتي.

المؤلف

أنور عبد الحميد العسكر

